

الفصل

مجلة ثقافية شهرية
AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 35 MARCH-APRIL 1980.

العدد (٣٥) - جادى الأول ١٤٠٠ هـ / مارس - إبريل ١٩٨٠ م (السنة الثالثة)





تقدم كل جديد
في عالم المفروشات
لترضي جميع الأذواق

مفروشات المطلق

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيفصل الثقافية

العدد (٣٥) جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ / مارس / أبريل ١٩٨٠ م

مُذ العدد

- ٤ من كتاب هذا العدد
- ٥ الحركة الثقافية في شهر
- ١٧ البعد النفسي للأدب..... د. نبيل راغب
- ٢١ فلسفة ابن رشد الأخلاقية د. ماجد فخري
- ٢٦ ويبقى الشعر د. عبد الحميد جيدة
- ٣٠ الغربيون وتقييم الحضارة العربية الإسلامية..... سليم طه التكريتي
- ٣٥ بصرى .. عنقود العنب (مدينة وتاريخ) د. عبد الرحمن حميدة
- ٥١ الحياة والأدب والشعر والمرأة .. (لقاء مع) أهد اللقاء: عبد الله الشيتي
- ٥٧ العقاد .. وعبقريّة اللغة العربية جلال العشري
- ٦٢ خط الطغراء (رحلة مع الخط العربي)
- ٦٤ استحالة ترجمة القرآن..... أحمد عز الدين خلف الله
- من رؤا جائزة الملك فيصل العالمية [د. عبد القادر القط، د. إحسان عباس]
- ٦٧ د. يوسف نوفل
- فيلسوف معاصر .. نيكولاي هارتمن .. الرجل وفلسفته الواقعية
- ٧١ د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم
- ٧٦ قالوا .. (عن الصبر)
- ٧٧ المعاملات المصرفية والربا (ندوة الشهر) إعداد: محمد مبارك
- الأرض والماء والرياح والشمس .. بدائلنا عن الطاقة (رحلة في كتاب)
- ٨٣ عرض وتحليل ياسر الفهد
- ٩١ فطر «عيش الغراب» .. (موضوع خاص) د. أحمد نبيل أبوخطوة
- ١٠٢ الموسيقى العجوز (لوحة وفنار) أحمد فلمبان
- ١٠٤ أوراق متناثرة
- المخطوط العربي .. دراسة في نشأته وملاحه البيبليوجرافية
- ١٠٧ د. شعبان عبد العزيز خليفة
- ١١٧ الاكتئاب .. أعراضه .. أنواعه .. علاجه د. عبد الرؤوف ثابت
- ١٢٢ الربيع العائد .. (قصيدة) طاهر زعشري
- ١٢٣ السانترات سيرا عكسياً د. عبد الرحيم بدر
- ١٣١ فيه شفاء للناس د. عبد المحسن صالح
- ١٣٤ الفيتامينات وطريقة تأثيرها في أجسامنا د. أحمد كرزة
- أصوات في الظلام (قصة قصيرة من الأدب الألماني المعاصر)
- ١٣٩ ترجمة: د. مصطفى ماهر
- ١٤٥ مستحيل .. (قصة قصيرة) نسي الفاروق
- صناعة الكتاب من المؤلف إلى الناشر إلى القارئ (مطالعات في الكتب)
- ١٤٧ عرض وتلخيص: فاروق صالح باسلامة
- ١٥٠ دائرة معارف (مدن وأماكن في المغرب العربي)
- ١٥٣ مناقشات وتعليقات
- ١٥٦ مع الأصدقاء
- ١٥٧ ردود قصيرة
- ١٥٩ مسابقة مجلة الفيفصل



★ استدعى اختراع الورق وانتشار استعماله ظهور طائفة من الناس يشتغلون بالكتابة وصناعة الكتب أطلق عليهم «الوراقون»، كما أطلق على ما يؤدونه من عمليات النسخ وبيع المخطوطات والورق «الوراق»، حيث كانوا يقومون بما يقوم به الناشرون في زماننا هذا، «طالع المخطوط العربي» ص (١٠٧) ★

★ تعد رسومات «عيش الغراب» التي عثر عليها منذ ٣٠٠٠ سنة داخل مقابر قدماء المصريين من أوائل السجلات التي أوضحت أشكاله كما كتب الرومان والإغريق قبل ظهور المسيح الكثير عنه. «طالع فطر عيش الغراب» ص (٩١) ★



★ يحظى موضوع الطاقة على الدوام بأهمية

خاصة، وتأتي فترات تزداد فيها أهمية هذا الموضوع ويعظم الاهتمام به وعلى الرغم من وجود عدة مصادر للطاقة كالأرض والماء وحركات المد والجزر والرياح والشمس والفضلات، إلا أنها جميعاً تعتبر متممة لمصادر الطاقة التقليدية لا بديلة عنها.

«طالع رحلة في كتاب» ص (٨٣) ★





سليم طه التكريتي

- ★ من مواليد العراق عام ١٩١٥ م.
- ★ آخر عمل له كان رئاسة تحرير جريدة «الوقائع العراقية» باللغة الإنجليزية.
- ★ عدد مؤلفاته المطبوعة ٤٠ مؤلفاً.
- ★ مارس المحاماة، ثم جذبته الصحافة إليها.
- ★ أصدر جريدة «العصور»



د. يوسف نوفل

- ★ من مواليد بور سعيد - مصر ١٩٣٨ م.
- ★ دكتوراه في الدراسات الأدبية.
- ★ عمل في حقل التعلم بمعهد التربية للمعلمين في الكويت، وكلية البنات في جامعة عين شمس، وفي جامعة الرياض.
- ★ من مؤلفاته : قضايا الفن القصصي، القصة بين جيلي طه حسين ونجيب محفوظ، ديوان الشعر في الأدب العربي، كلمات حب «ديوان شعر»، قراءات ومعادنات، ومجموعة قصص (الزاوية المعتمة) تحت الطبع.
- ★ يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً في كلية التربية - جامعة الرياض.



د. أحمد تبيل أبو خطوة

- ★ من مواليد مدينة الإسكندرية عام ١٩٤٠ م.
- ★ بكالوريوس العلوم الزراعية من جامعة الإسكندرية.
- ★ دكتوراه - جامعة بورندو بالولايات المتحدة الأمريكية.
- ★ عمل أستاذاً مساعداً في جامعة برن بسويسرا.
- ★ شغل وظيفة أستاذ باحث بالمركز الدولي لبحوث الحشرات في نيروبي - كينيا.
- ★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً بكلية العلوم - جامعة الملك عبد العزيز بجدة.
- ★ له العديد من البحوث العلمية في مجالات الكيمياء الحيوية وعلم السموم.



د. ماجد فخري

- ★ من مواليد الزرارية «لبنان» اللبنانية.
- ★ من مؤلفاته : أرسطوطاليس المعلم الأول، ابن رشد فيلسوف قرطبة، رسائل ابن باجة، تاريخ الفلسفة الإسلامية، الحركات الفكرية في عصر النهضة في لبنان.
- ★ له مجموعة مقالات ومجموعة ترجمات بالإضافة إلى بعض المنشورات باللغة الإنجليزية.
- ★ من مواليد الزرارية «لبنان» ١٩٢٣ م.
- ★ دكتوراه في الفلسفة - جامعة أدنبره ١٩٤٩ م.
- ★ محاضر في معهد الدراسات الشرقية - جامعة لندن - مساعد أستاذ في الفلسفة الجامعة الأميركية ببيروت، رئيس دائرة الفلسفة، أستاذ زائر بجامعة جورجنتون واشنطن، محاضر في الجامعة



د. عبد الرؤوف مصطفى ثابت

- ★ تخرج في كلية الطب، جامعة القاهرة عام ١٩٤٩ م.
- ★ عمل في الطب النفسي بعد فترة التمرين العام.
- ★ انتدب للعمل بالطوائف بالملكة العربية السعودية في الفترة بين عام ١٩٥٨ - ١٩٦٢ م.
- ★ اتجه بعدها كزميل في منظمة الصحة الدولية إلى جامعة كنتكي بأمريكا، ثم عمل في بريطانيا مستشاراً للطب النفسي بمستشفى كروبي.
- ★ يعمل حالياً في كلية الطب، بالرياض.
- ★ له كتب وأبحاث في الطب النفسي والأدب بالعربية والإنجليزية.

* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من إصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وأدبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني .
أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارئ .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق * *

في الوطن العربي :

- إنشاء متاحف جديدة للآثار في المدينة المنورة .
- مؤتمر عن تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .
- مسابقة لكتابة أدب الأطفال في فلسطين .
- مؤتمر في تونس للعناية بالأدب الشعبي .
- بعثة المانية لترميم الآثار في الأردن .
- موسوعة حضارية عن معطيات الفن العربي الإسلامي .

في العالم :

- إقامة معرض للرسام «دالي» في العاصمة الفرنسية .
- في اليابان قطع من الحرير تحمل آيات قرآنية .
- معرض دولي للكتاب في فرانكفورت .
- معرض في لندن عن المجتمع الإنجليزي في الثلاثينات .
- ترجمة كتاب «رسالة الغفران» إلى اليوغسلافية .

كتاب عن الحضارة الإسلامية

تعزيم رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة إصدار كتاب كبير يحوي ما كتب عن الحضارة الإسلامية ، وقد اتصلت الأمانة بالأساتذة والمختصين في هذا المجال على اختلاف تخصصاتهم وذلك لتزويدهم بما هو خاص عن تلك الحضارة .

الدليل والجامعات

ستصدر وزارة التعليم العالي ، مثلة في مركز المعلومات الإحصائية ، دليلاً شاملاً عن الجامعات في المملكة يتضمن معلومات عن كل جامعة من حيث عدد الكليات وأعضاء هيئة التدريس والطلاب والإمكانات المتوفرة إضافة إلى رسوم بيانية توضح تطور كل جامعة من تاريخ إنشائها حتى الآن .

الخويطر والمجمع العراقي

تم اختيار معالي الدكتور عبد العزيز الخويطر وزير المعارف ليكون عضواً مؤزراً في المجمع العلمي العراقي ، والمعروف أن الدكتور الخويطر له نشاطات في كتابة التاريخ ، وله كتاب صدر أخيراً بعنوان « حاطب ليل » .

كلية الطب والمؤتمر الطبي

سيعقد المؤتمر الطبي الخامس وذلك في كلية طب جامعة الرياض في شهر جمادى الثانية ، وسيحضر هذا المؤتمر أطباء من داخل المملكة وخارجها ، وبحث فيه عدد من المواضيع الهامة حول السرطان والمناعة ووسائل التشخيص في الأمراض المختلفة .

مواقع أثرية

سعت إدارة الآثار ، بوزارة المعارف ، وما زالت تسعى إلى اكتشاف العديد من المواقع الأثرية في المملكة العربية السعودية ، وقد بلغ حتى الآن عدد المواقع الأثرية التي تم اكتشافها (٤٠٠٠) موقع أثري في مناطق المملكة المختلفة . ومن المعروف أن طبيعة هذه المملكة غنية بالآثار مما يجعل الأمل لدى هذه الإدارة قوياً في اكتشاف المزيد من المواقع .

تكريم مفكر سعودي

تنوي الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون إقامة حفل تكريم لأول مفكر سعودي هو الشيخ محمد طاهر الكردي ، الذي يعتبر أول خطاط في المملكة ، كما أنه قام بتحقيق عدد كبير من الكتب في مختلف ألوان الأدب والفنون .

السعودية

متاحف بالمدينة المنورة

سيقام في المدينة المنورة ثلاثة متاحف جديدة تضم كل ما تم اكتشافه من آثار خلال الحفريات التي قام بها الباحثون عن الآثار ، وتقرر إقامتها في مناطق (العلا ، ودومة الجندل ، وتيماء) أعلن ذلك رئيس قسم الآثار والمتاحف بمنطقة المدينة المنورة وذلك ضمن خطة (مصلحة الآثار) التابعة لوزارة المعارف .

مسابقة نادي (أبها) الأدبي الثقافية

أعلن نادي أبها الأدبي عن أولى مسابقاته الثقافية في مجالات : الشعر والقصة القصيرة ، فبالنسبة للشعر ومسابقته فتشمل : قصيدة شعرية باللغة الفصحى لا تقل عن ثلاثين بيتاً ، وقصيدة شعرية شعبية (نبطية) تتناول أي غرض من أغراض الشعر . وقد اشترط لمسابقته هذه : بأن تكون القصائد والقصص هادفة وذات مدلول إيجابي للمجتمع . وقد وضع النادي جوائز تتراوح ما بين (٦٠٠٠) ريال إلى (١٥٠٠) ريال تقسم بالتساوي بين الفائزين .

التوباد

عنوان المجلة الجديدة التي ستصدرها اللجنة الثقافية بجمعية الثقافة والفنون ضمن إصداراتها الثقافية ، ومن المعروف أن (التوباد) اسم جبل موجود بمنطقة الأفلاج .

ندوة عالمية عن (الجمل)

سوف تعقد في كلية الطب البيطري التابعة لجامعة الملك فيصل بالمنطقة الشرقية ، ندوة عالمية عن (الجمل) ، يحضرها كبار الباحثين والعلماء في مجال تربية الحيوان والحيثيات الدولية المتخصصة ، وقد سبق أن عقدت ندوة (بالسويد) نظمتها المنظمة العالمية للعلوم حضرها (٢١) عالماً من المهتمين بعلوم الجبال ، وكانت جامعة الملك فيصل هي الجامعة العربية الوحيدة التي اشتركت في هذه الندوة .

كلمة

المجلات المتخصصة

الفكرة تطرح نفسها في صيغة علامة استفهام . لماذا لم تنتشر المجلات المتخصصة في الوطن العربي بصورة تناسب وانتشار المجلات الثقافية العامة التي تعنى بمختلف فروع المعرفة الإنسانية ؟ ومع طرح القضية بهذه الصورة المبسطة نقر أن كل مجلة لا تنشأ من فراغ ، ولا تصدر في فراغ . . فهي تصدر لحاجة ، واستجابة لميول ورغبات وإقبال شرائح من القراء .

فهل يعني أن المجتمعات العربية الثقافية ما زالت محكومة بظاهرة « الخانوت » الذي يعرض كل أنواع السلع مثل « السوبرماركت » بأسلوب العصر بدلا من التخصص في عرض سلعة معينة من السلع ؟ أم أن الشرائح القارئة للمجلات المتخصصة بأعدادها وإقبالها لا تشجع على إصدار مثل هذه المجلات نتيجة ضعف المناهج التعليمية ، وقدرتها على خلق جيل متخصص قارئ لمثل هذه المجلات ؟ أم أن المجتمعات العربية ما زالت تؤمن بالطريقة التراثية وهو الأخذ من كل علم أو فن بطرف . وهذا ما يجعل الإقبال على المجلات الثقافية العامة شديداً أو متزايداً مع مرور الأيام ، بحيث أصبحت هذه المجلات - المجلات الثقافية العامة - غير المتخصصة بعلم أو فن ظاهرة عامة في الوطن العربي .

ولكننا مع كل ذلك نجد في الساحة الثقافية بعض المجلات المتخصصة ظهرت رغم ما تعانيه من متاعب التسويق ، بكل ثبات ونجاح مثل مجلة « العرب » ، ومجلة « الدارة » ، ومجلة « البناء » ، ومجلة « الصقر » في المملكة العربية السعودية ، ومجلة « دراسات الخليج والجزيرة العربية » في الكويت ، ومجلة « الرواق » في العراق ، ومجلة « الفنون » في المغرب . ومع قلة إقبال الفئة القارئة لهذا النوع من المجلات إلا أنها استطاعت أن تكسر الجدار القائم في وجهها لمقابلة شرائح قليلة من القراء ، واستمرت تصدر بتواضع مع ما تحفل به من بحوث ودراسات جيدة . واليوم حين نسمع عن صدور مجلة تختص بالكتبات والكتب في المملكة العربية السعودية ، وأخرى في القاهرة ، فإن ذلك يدعو للسرور ، وإن المجتمعات الثقافية في الوطن العربي بدأت تحس بحاجتها إلى مثل هذه المجلات .

أملنا أن نسمع أيضاً عن صدور مجلات للهندسة . . والكيمياء . . والقانون . . والزراعة . . وغيرها من العلوم .

وحين يتحقق هذا العمل بصورة ناجحة بحيث تلقى هذه المجلات الترحاب والاستقبال من القراء ، عندها تكون المجتمعات الثقافية استطاعت أن تتجاوز نفسها ، وتعد بنيتها الثقافية المستقبلية بشكل معاصر .

علوي طه الصافي



★ د. عبدالعزيز الحويطر ★



★ الشيخ حمد الجاسر ★

* كتب جديدة *

● « ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة » ، تأليف الدكتور عبد الحليم عويس ، صدر عن نادي الرياض الأدبي .

● « جرح الآباء » ، ديوان شعري للشاعر أحمد فرج عقيلان ، صدر عن نادي المدينة المنورة الأدبي .

● « محاضرات نادي جازان » ، كتاب يضم المحاضرات التي أُلقيت في النادي لعام ٩٧ - ١٣٩٨ هـ .

● « من وجع الغربة » ، تأليف حمد المرزوقي ، صدر عن دار العلوم بالرياض .

● « رجل على الرصيف » ، مجموعة قصصية للقاص عبد الله سعيد جعان ، صدرت عن نادي الطائف الأدبي .

● « ترانيم الصباح » ، ديوان شعري للشاعر عبد السلام هاشم حافظ ، صدر عن نادي الطائف الأدبي .

● « صراع مع النفس » ، ديوان شعري للشاعر عبد الرحمن صالح العشماوي ، صدر عن نادي الرياض الأدبي .

● « أدب الخواص » ، تحقيق حمد الجاسر ، صدر عن نادي الرياض الأدبي .

● « ثمن التضحية » ، طبعة ثانية ، رواية من تأليف حامد دمنهوري ، صدرت عن نادي الرياض الأدبي .

● « بين الغزل والهزل » ، ديوان شعري للشاعر هويشل ابن عبد الله بن هويشل ، جمعه ورتبه سعد عبد الله جنيديل .

● « رحلات في بلاد العرب - شمال الحجاز والأردن » ، تأليف عاتق بن غيث البلادي ، صدر عن دار المجمع العلمي بجدة .

● « العقوبات الشرعية - وكيفية تطبيقها في المملكة العربية السعودية القصاص ، الدية ، الكفارة » ، تأليف محمد ابن إبراهيم الهويش ، صدر عن نادي الرياض الأدبي .

● « دموع الوجد » ، ديوان شعري للشاعر الحميدي حمد نفجان .

اليونسكو، ويقوم هذا الاتحاد بحصر المصطلحات العلمية المستجدة في جميع حقول العلم والمعرفة، ثم يقوم بوضعها على شكل قوائم يرسلها إلى أكثر من خمسين بلداً لوضع المقابلات لها في اللغات المختلفة. ومن المعروف أنه يصدر عن هذا الاتحاد مجلة فصلية تسمى (بابل) BABEL، تنشر فيها المقابلات العلمية، وقوائم المصطلحات العلمية الحديثة لاطلاع الباحثين والمتخصصين عليها.

ندوة

تعليم العربية لغير الناطقين بها

بنوي مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية، والذي يتخذ من (الرباط) مقراً له، عقد ندوة خلال الفترة من ١٤/٤ إلى ٢٠/٤/١٤٠٠ هـ، عن (تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها)، وذلك بالتعاون مع المركز الثقافي الألماني والمسمى بمعهد (جوته)، وسيشارك في هذه الندوة عدد من الخبراء والأساتذة وذوي الاختصاص في هذا المجال من مختلف الأقطار العربية والإسلامية ومن معهد (جوته) في ميونخ، وسوف تناول هذه الندوة عدداً من المواضيع الهامة منها: مشكلات تعليم هذه اللغة لغير الناطقين بها، وافتقار المكتبات إلى كتب

مقابلات عربية لمصطلحات جديدة

يعكف خبراء في مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط على إضافة المقابلات العربية لمصطلحات علمية جديدة في مختلف العلوم الطبيعية في الجيولوجيا، والكيمياء، والأحياء، وعلم الأثرية، وعلوم البيئة والمحيط وغيرها، وكان المكتب قد حصل على هذه القوائم من اتحاد المترجمين الدولي (F.I.T.) والذي يتخذ من مدينة (فارصوفيا) في بولونيا مقراً له، ويتمتع بدعم ورعاية منظمة

جمع من مشاهير علماء الأزهر العاشر، وكان أجل أولئك العلماء، شيخه الأكبر الشهاب الحفاجي، والشيخ ياسين الحمصي، والشبرامسلي، وسري الدين الدروري. إلا أن الذي بأسف له المرء أن لا يجد عنه شيئاً من الأخبار لدى المحبي صاحب «خلاصة الأثر» أشهر من ترجم له من المؤرخين، عن نشأته في بغداد مسقط رأسه وحاضنة طفولته وسنوات شبابه الأولى. أما عمل المحققين في الكتاب فقد تمثل في الرجوع إلى مخطوطات الكتاب التي توفرت لها وهي ثلاث نسخ، الأولى مخطوطة مكتبة (أيا صوفيا) التركية، والثانية مخطوطة مكتبة (عارف حكمة) في المدينة المنورة، والثالثة نسخة

أبيات المغني لابن هشام، إلا أن الموازنة بين العملين تثبت رجاحة كفة البغدادي كماً وكيفاً، فقد بلغ ما شرحه البغدادي في مصنفه هذا (٩٤٦) بيتاً، وما شرحه السيوطي (٨٧٩) بيتاً، أي باسقاط سبعة وستين بيتاً.

ونظرة سريعة يلقيها المرء على سيرة البغدادي العلمية تلقي الضوء على سعة تحصيله وافر ثقافته في علوم العربية، ولا غرو فالرجل جلس إلى كبار علماء عصره الذين يشار إليهم بالبنان في علوم العربية، والتفسير، والنحو، منهم العلامة كمال الدين الحسيني، والعلامة محمد بن يحيى الفرضي، هذا في الشام أما في مصر التي رحل إليها سنة (١٠٥٠ هـ) فقد أخذ العلم عن

اللغوي عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ)، صاحب «خزانة الأدب»، بتحقيق الأستاذين عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق.

وكانت الأجزاء الخمسة الأولى قد صدرت تباعاً منذ عام ١٣٩٣ هـ، والكتاب كما يعرف أهل الاختصاص اللغوي، موسوعة أدبية قيمة لكون المؤلف رحمه الله من رجال القرن الحادي عشر، وهذا يعني أنه استفاد الكثير من مصنفات ومخلفات الكثيرين من علماء اللغة من سبقوه في البحث والتصنيف، وأول من استفاد من وافر علمه هو السيوطي (أحد رجال القرن التاسع) الذي سبقه إلى شرح

- الكتاب : شرح أبيات مغني اللبيب
- تصنيف : عبد القادر البغدادي
- تحقيق : عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق

عن دار المأمون للتراث بدمشق صدر مؤخراً الجزء السادس من كتاب «شرح أبيات مغني اللبيب» للعلامة

تعليم اللغة العربية المخصصة لغير الناطقين بها .

مركز ثقافي سعودي بالمغرب

سوف يفتتح مركز ثقافي سعودي بالمغرب ، وسيضم قاعتين ومكتبة عامة ، تضم أهم المراجع والمخطوطات ، وسيتم تخصيص يوماً واحداً في الأسبوع للقراءة والاطلاع .

المحور

* كتب جديدة *

- «عرزال حمد السالم» ، رواية من تأليف عادل عبد الجبار ، صدرت عن وزارة الثقافة والفنون العراقية .
- كما صدر عن وزارة الثقافة والفنون العراقية الكتب التالية :
- ★ «غرف نصف مضاءة» ، مجموعة قصصية تأليف موسى كريدي .
- ★ «الأعمال القصصية الكاملة» ، للقاص عبد الحق فاضل .

الفن العربي والإسلامي

تعتزم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إصدار موسوعة حضارية في خمسة مجلدات ، تتناول «معطيات الفن العربي الإسلامي في مختلف البلدان العربية والإسلامية عبر عصور التاريخ» .

معرض للكتاب

أقيم (بدار ابن رشيق) معرض للكتاب التونسي استمر أسبوعاً عرضت فيه مجموعة من المؤلفات والكتب والمطبوعات التونسية التي ساهمت فيها دور النشر المحلية .

* كتب جديدة *

- «يا ليل الصب ومعارضاتها» ، تحقيق وتعليق الجيلاني بن الحاج ويحيى محمد المرزوقي ، صدر عن الدار العربية للكتاب بتونس وليبيا .
- «طه حسين : نقده الأدبي ومصادره الفرنسية» ، تأليف مفتاح طاهر ، صدر باللغة الفرنسية عن الدار العربية للكتاب في تونس وليبيا .

● صدر عن الدار التونسية الكتب التالية :

- ★ «الإسلام والمستقبل» ، تأليف إسكندر فونتان ، صدر باللغة الفرنسية .

(دار الكتب المصرية) بالقاهرة ، وقد قاما بمقابلة المخطوطات على بعضها أول الأمر ، ثم اعتمدا نسختين خطيتين من الكتاب في التحقيق هما (أيا صوفيا وعارف حكمة) لكونها أقرب في النسخ إلى عصر المؤلف رحمه الله ، ثم اعتمدا نسخة (أيا صوفيا) لدقة ضبطها من جهة ، ولكونها معارضة على نسخة المؤلف من جهة ثانية ، كما قاما بتخريج أبيات الشواهد المشددة من المصادر النحوية والأدبية وغيرها ، وترجما كثيراً من الشخصيات التي مرت في تضاعيف الشرح ، وخرجا الآيات والأحاديث الواردة في الكتاب ، وفسرا كثيراً من الكلمات المهمة ، كما قاما بكتابة مقدمة وافية للكتاب سجلا فيها ما انتهت إليه دراستها

محمود الأرنؤوط

دمشق - سورية

- « طليعة الفكر التقدمي » ، تناول عدد من الكتاب والمؤلفين منهم فدوى طوقان ، صدر عن دار الأسوار في عكا .
- من منشورات دار صلاح الدين بالقدس الكتب التالية :
- ★ « الحركات الاجتماعية في الإسلام » ، تأليف الدكتور إميل توما .
- ★ « أغاني العمل والعمال في فلسطين » ، تأليف علي الخليلي .

مصرية

- * كتب جديدة *
- « الورد الآن ... والسكين » ، مجموعة قصصية قصيرة تأليف زهير جبور ، صدرت عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق .
- « مهنة الجلاد » ، تأليف جان دولاري ، ترجمة نزار الدراوشة ، صدر عن دار الجماهير بدمشق .
- « التخوم » ، مجموعة شعرية للشاعر زهير غانم ، صدرت عن اتحاد الكتاب بدمشق .

لبنان

- * كتب جديدة *
- « يحيى بن الحكم الغزال - أمير شعراء الأندلس في القرن الثالث الهجري ، وسفير الأندلس لدى إمبراطورية القسطنطينية وملك النورمان ١٥٠ - ٢٥٠ هـ ، ٧٧٠ - ٨٦٤ م » ، تأليف محمد صالح البنداق ، صدر عن دار الآفاق في بيروت .
- « الفرائض وشرح آيات الوصية في القرآن الكريم » ، تأليف الإمام السهيلي ، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا ، صدر عن مطبعة دار الشرق للنشر والتوزيع .
- « الفكر الأخلاقي العربي » ، ج ١ ، تأليف الدكتور ماجد فخري ، صدر عن الدار الأهلية للنشر والتوزيع بيروت .
- « لبنان المهجر » ، تأليف الياس عبود ، وهو عبارة عن دراسة ميدانية وثائقية ، صدرت عن المركز العربي في بيروت .
- « الرحيل بين السهم والوتر » ، رواية جديدة تأليف حليم بركات ، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
- « الفلسطيني الطيب » ، رواية تأليف علي فودة ، صدرت عن دار ابن خلدون .
- « الصورة في الحلم » ، مجموعة قصصية لرجاء نعمة .

- ★ « الإسلام والحوار » ، تأليف محمد الطالبي ، صدر باللغة الفرنسية .
- ★ « فراشة جميلة » ، قصة للأطفال بالفرنسية ، تأليف بيار اليفي .
- ★ « قدور والنجوم » ، قصة للأطفال بالفرنسية ، تأليف بيار اليفي .
- ★ « الراعي تحت القمر » ، قصة للأطفال بالفرنسية ، تأليف بيار اليفي .
- ★ « المسرح الصغير » ، تأليف مصطفى عزوز .

فلسطين

- مسابقة كتابة أدب الأطفال
- أعلنت اللجنة الثقافية لجمعية الهلال الأحمر في قطاع (غزة) عن مسابقة في (كتابة أدب الأطفال) قصص ، مسرحيات ، أشعار ، أناشيد ، على أن تكون ملائمة للأطفال ومستوحاة من الواقع الفلسطيني .
- * كتب جديدة *
- « مغناة الطائر الأخضر » ، مجموعة شعرية للشاعر سليمان مصالحة ، صدرت عن دار الكتاب في القدس .
- « الجبل لا يأتي » ، المجموعة القصصية الثانية للقاص زكي العيلة ، صدرت عن دار الكتاب بالقدس .
- « ليل الغرباء متى يرحل » ، ديوان شعري للشاعر محمد الأسمر ، صدر عن مطبعة الأمل التجارية في القدس .
- « الوجه والعجيزة » ، مجموعة قصصية للقاص أحمد حسين ، صدر عن دار الصوت في عكا .
- « رحلة الشوق والعناق » ، مجموعة شعرية للشاعر محمود عبد الله الصح ، صدرت عن مكتبة المجتمع في الناصرة .
- « جعفر ينهض من قبره » ، مجموعة شعرية للشاعر عبد الحكيم سمارة ، صدرت عن دار الأسوار في عكا .

ناقذة

الحرم القدسي الشريف ... وخطط الصهيونية

إن أول القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة، والحرم القدسي الشريف، إنها جميعاً في خطر مائل... هكذا أذرت وثيقة أصدرها أهالي مدينة القدس في بيان موجه إلى الأمة العربية الإسلامية. وتتلخص الوثيقة بالسود التالية:

١ - القدس العربية الإسلامية منذ خمسة عشر قرناً تزج تحت الاحتلال الصهيوني الخائن منذ اثني عشرة سنة. وقد عمدت سلطات الاحتلال الصهيونية إلى دمج المدينة العربية بالقطاع الصهيوني المختل منذ ١٩٤٨ م، وذلك في أعقاب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ م. وكان هذا الدمج التعسفي قد لفتته سلطات الاحتلال تحت شعار (التطوير الاستراتيجي).

٢ - يتلخص ابتلاع القدس العربية الإسلامية من قبل دولة صهيون بخطوات أهمها: هدم الأحياء العربية القديمة بحجة تصدع مبانيها وخطر ذلك على السكان؛ عدم منح رخص لترميم المباني الفاتحة؛ مصادرة المباني الخالية من السكان (وأغلبها أوقاف إسلامية)؛ إنشاء حزام ضخم من عوارض الشقق حول المدينة القديمة؛ إنشاء ضواحي جديدة لتجسير السكان العرب إليها وبالتالي مصادرة ممتلكاتهم العقارية التي آلت إلى أصحابها الشرعيين عبر قرون عديدة من الثورات الشرعي؛ مصادرة الأرض غير المبني عليها؛ إجراء حفريات (أثرية) تكون من حفر أنفاق تحت المباني الفاتحة بقصد إضعاف أساساتها (ومن ذلك ما حفروه تحت المسجد الأقصى المبارك)؛ السماح للمزمتيل اليهود بإقامة طقوسهم السبيلية في ساحة الحرم الشريف بحماية الشرطة والجيش الإسرائيلي.

٣ - مضايقة السكان العرب اقتصادياً واجتماعياً ومهنيًا، وتسهيل خروجهم إلى الأقطار العربية بقصد العمل. فقد دأبت سلطات الاحتلال الصهيونية على إنشاء المخارات وترويج الدعاية بين السواح الأجانب، وذلك في وسط الأحياء السكنية العربية، من أجل إذلال السكان ونهجرهم. كما تمتع السلطات إعطاء رخص مزاولة المهنة كالمطب والصيدلة والهندسة إذا كان ذلك في حدود القدس العربية. وتلاحق السلطات المختلة جميع من يقوم بنشاطات فكرية أو تربوية. كل ذلك بقصد كسر شوكة الصمود البطولي لسكان القدس العربية الإسلامية.

وتقدم الوثيقة المذكورة اقتراحات عملية مدروسة تهدف إلى إنقاذ عروبة القدس وإسلامها. وهذه هي الاقتراحات:

- ١ - تقوية جهاز دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس مادياً ومعنوياً.
- ٢ - إجراء مسح شامل للمقدسات والأبنية الإسلامية ذات الصبغة الدينية والتاريخية، والأماكن الوقفية العامة بما في ذلك الأراضي، بغية رصد كل ما تخشاه هذه من إشراف وتدمير. (وقد قامت السلطة الإسلامية في القدس بعدد من الخطوات في هذا الاتجاه منها: (أ) إعمار المسجد الأقصى المبارك بعد الحريق النعمد عام ١٩٦٨ م، (ب) صيانة عدد من أبنية الحرم الشريف، (ج) ترميم أجزاء من قبة الصخرة المشرفة، (د) إنشاء المتحف الإسلامي للعناية بالعاديات الأثرية الصغيرة).
- ٣ - تنفيذ مقترحات دائرة الأوقاف الإسلامية التي تقدمت بها إلى الحكومة الأردنية ومؤتمرات القمة العربية، وهي مشاريع تهدف إلى حفظ الأرض والسكان العرب؛ إسكانياً وثقافياً ودينيًا وصحياً.
- ٤ - العمل الفوري على ترميم الأبنية الدينية الأبله إلى السقوط بسبب الحفريات والأنفاق الإسرائيلية الهادفة إلى تدميرها.

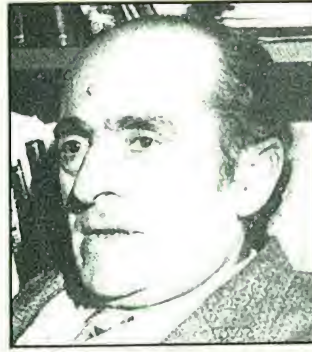
وتختتم الوثيقة بالملاحظات التالية:

إن القدس الممن من أن تقوّم بالمال. وكم يرخص المال أمام الخطر الذي يهدد أول القبلتين وثالث الحرمين الشريفين مسرى عمده عليه الصلاة والسلام. إن المال والجهد اللذين تبدلتهما السلطات الإسرائيلية لتحويل مدينة القدس إلى مدينة يهودية لا حدود لها، فكما بالأحرى، ونحن العرب المسلمين نملك المال ونقدر على بذل الجهد، أن تكون أقدس على البذل من أجل قدس العروبة والإسلام.

وما عجباً من جد هؤلاء في باطلهم وتفاعسنا عن حقنا!

إن هذا البيان المهم الذي وزعه أهالي القدس، يكشف بوضوح لا لبس فيه ولا جدال، أن المخطط الإسرائيلي الرهيب يستهدف الاستيلاء على الحرم القدسي الشريف.. فالحلهم أجمع العرب والمسلمين لما فيه سداد الرأي كيلا تصح رابطة العرب والمسلمين بالقدس كرايتهم بالاندلس...

د. فواز أحمد طوقان
عمان/الأردن



★ خليل حاوي ★



★ ندوى طوقان ★

صدرت عن دار الآفاق الجديدة في بيروت.

● «علم نفس الحاسة السادسة»، تأليف الكاتبان الأمريكيتان شيلا أوتراند، ولين شرودر، ترجمة هنرييت عبودي، صدر عن دار الطليعة.

● «الإنسان والتحدي التكنولوجي»، تأليف ج. فولكوف، ترجمة سامي كعكي، صدر عن دار الطليعة.

● «الفرنسية في لبنان»، تأليف الدكتور عبد الله نعمان، صدر عن دار نعمان للثقافة ببيروت.

● «بحوث في الثقافة الإسلامية»، تأليف الدكتور محمد خديري، صدر عن الدار المتحدة في بيروت.

● «ديوان خليل مطران»، ثلاثة أجزاء صدرت عن دار مارون عبود.

● «الإسلام ومنطق القوة»، تأليف محمد حسين فضل الله، صدر عن الدار الإسلامية في بيروت.

● «في المركبة»، مجموعة شعرية للشاعر اليمني محمد عبده غانم، صدرت عن دار العودة.

● «عمر بن عبد العزيز - خامس الخلفاء الراشدين»، تأليف الدكتور محمد عمارة، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

● «صفحات في القضية العربية»، تأليف أحمد الشقيري، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

● «الفحص النفسي - مبادئ الممارسة النفسانية، تقنياتها، خطواتها واشكالاتها»، تأليف الدكتور مصطفى حجازي، صدر عن دار الطليعة في بيروت.

● «إرواء الغليل في تحريج أحاديث منار السبيل»، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، يقع في عشرة أجزاء في مجلد واحد، صدر عن المكتب الإسلامي في بيروت.

● «من جحيم الكوميديا»، ديوان شعري للدكتور خليل حاوي، صدر عن دار العودة.

● «سلخ المجلد»، مجموعة قصصية تأليف محمد برادة، صدرت عن دار الآداب.

● «الفكر اليوناني قبل أفلاطون»، تأليف الدكتور حسين



المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

- « ذئب البوادي » ، رواية ألفها الكاتب الألماني هيرمان هيسه ، ترجمة النابغة الهاشمي ، صدرت عن دار ابن رشد .
- « السُّكْرِي » ، تأليف الدكتور شامل إبراهيم معكرون ، كتاب طُي صدر عن الدار الأهلية للنشر والتوزيع .
- « العرب » ، تأليف مكسيم رودنسون ، ترجمة الدكتور خليل أحمد خليل ، صدر عن دار الحقيقة .
- « مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة » ، تأليف الدكتور الشيخ صبحي الصالح ، صدر عن دار العلم للملايين .

تونس

رابطة عربية للأدب الشعبي

قرر المؤتمر العربي الأول الذي عقد في تونس للأدب الشعبي ، إنشاء رابطة عربية تعنى بشؤون الأدب الشعبي باعتباره تراثاً عربياً أصيلاً ينبغي الاهتمام به ، وستكون مهمة هذه الرابطة دراسة هذا النوع من الأدب في الوطن العربي وتقريب أساليبه ولغته إلى اللغة الفصحى .

مؤتمر لآثار الإسلامية

قررت إدارة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية ، عقد مؤتمر عالمي لدراسة الآثار الإسلامية في مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي ، والتنبيه إلى صيانتها ، وإقامة معارض - أثناء انعقاد المؤتمر - لتصويرها ، وإنتاج فيلم سينمائي عنها ، وإصدار موسوعة عن روائع الفنون والآثار الإسلامية .

معرض للكتب

أقامت الشركة التونسية للتوزيع معرضاً خاصاً بالكتب العلمية والفنية بدار الثقافة ، وقد احتوى هذا المعرض على حوالي (٣٠٠٠) كتاب من إنتاج بعض دور النشر الفرنسية .

* كتب جديدة *

- « أعمدة من دخان » ، مجموعة قصصية تأليف نافلة ذهب ، صدرت عن (منشورات صفاء) بتونس .
- « حكايات عبد العزيز العروي » ، ج ٥ ، صدر عن الشركة التونسية للنشر بالتعاون مع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائرية .
- « مؤلفات ابن خلدون » ، بقلم عبد الرحمن بدوي ، صدر عن الدار العربية للكتاب .

حرب ، صدر عن دار الفارابي .

- « الصناعة الإسرائيلية » ، تأليف الكاتب الفلسطيني حسين أبو النمل ، صدر عن دار الطليعة .
- « كانكان العوام الذي مات مرتين » ، رواية من تأليف الكاتب البرازيلي جورج أمادو ، صدرت عن دار الفارابي بترجمة محمد عيتاني .

● « رقيق القرن العشرين » ، مجموعة قصصية لنجوى قلعجي ، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

● « مدخل إلى الأدب الجاهلي » ، تأليف إحسان سركتيس ، صدر عن دار الطليعة .

● « مأزق إسرائيل في الحرب والسلام » ، تأليف حسن محمد طوالبه ، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

● « التعليم الهيكلي للغات الحية » ، تأليف الدكتور رضا السويسي ، صدر عن الدار العربية للكتاب .

● « معجم الشعراء في لسان العرب » ، تأليف الدكتور ياسين الأيوبي ، صدر عن دار العلم للملايين .

● « مدار الكلمة - دراسات نقدية » ، تأليف أمين ألبرت الريحاني ، صدر عن دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري في بيروت والقاهرة .

● « مديح لمقهى آخر » ، ديوان شعري للشاعر أجمد ناصر ، صدر عن دار ابن رشد .

● « مطر في صباح دافئ » ، رواية ألفها سلوى البناء ، صدرت عن دار الحقائق .

● « الرأي الآخر » ، تأليف بوعلي ياسين ، صدر عن دار الحقائق .

● « دموع القمر » ، مجموعة قصص تأليف وصال خالد ، صدرت عن دار الآفاق الجديدة ببيروت .

● « تغريبة بني فلسطين » ، ديوان شعري للشاعر وليد سيف ، صدر عن دار العودة .

● « مختارات من الشعر الرومانتيكي الإنجليزي » ، ترجمة الدكتور عبد الوهاب المسيري ومحمد علي زيد ، صدر عن

الكويتية .

- «الإبداع في الفن والعلم» ، تأليف الدكتور حسن أحمد عيسى ، صدر ضمن سلسلة (عالم المعرفة) التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .
- «الطيور المهاجرة» ، ديوان شعري للشاعر إسماعيل أبو شقرة ، صدر عن دار القبس الكويتية .



* كتب جديدة *

- «النفوس اليماني» ، تأليف عبد الرحمن بن سليمان الأهدل المتوفي سنة ١٢٥٠ هـ ، صدر عن مركز الدراسات والأبحاث اليمنية .



متحف للتراث الأثري

تقوم بعثة ألمانية متخصصة في آثار منطقة الشرق الأوسط بتنفيذ وإقامة متحف للتراث الأثري العريق الذي تشتهر به الأردن ، وذلك ضمن خطة تقوم على إحياء وترميم الآثار القديمة .

* كتب جديدة *

- صدر عن رابطة الكتاب الأردنيين الكتب التالية :
- ★ «البيت القديم» ، مجموعة قصصية للقاص يوسف الغزو .
- ★ «الأبلة» ، رواية من تأليف فايز محمود .
- ★ «في أحراج يعبد الشيخ عز الدين القسام» ، قصة للأطفال تأليف روضة الهدهد .
- «تاريخ منطقة شرقي الأردن - في عصر دولة المماليك الأولى» ، تأليف الدكتور يوسف غوانمة ، صدر عن وزارة الثقافة والشباب الأردنية .



* كتب جديدة *

- «طه حسين يتحدث عن أعلام عصره» ، تأليف الدكتور محمد الدسوقي ، صدر عن الدار العربية للكتاب بليبيا وتونس .
- «ديوان صفي الدين الحلي» ، في جزئين تحقيق الدكتور محمد إبراهيم حور ، صدر عن إدارة المطبوعات والنشر بكلية آداب جامعة قاريونس بينغازي .



★ أمين الربحاني ★



* كتب جديدة *

- «مصر الخضراء» ، تأليف الدكتور فاروق الباز ، صدر عن دار المعارف ضمن سلسلة (كتابك) وهو كتاب مدرسي .
- «القانون الطبيعي وقواعد العدالة» ، تأليف عبد السميح سالم المراوي ، صدر عن دار المعارف بالقاهرة .
- «الجديد في رسالة الغفران» ، تأليف الدكتورة عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطئ - صدر عن دار المعارف بمصر .
- «توفيق الحكيم اللامنتهي» ، تأليف أحمد محمد عطية ، صدر عن دار الموقف العربي ، وهو عبارة عن دراسة في فكر الحكيم السياسي .
- «الأئمة الأربعة - أبو حنيفة ، مالك ، الشافعي ، ابن حنبل» ، تأليف الدكتور مصطفى الشكعة ، صدر عن دار الكتاب المصري اللبناني بالقاهرة .
- «أصول القانون الدولي العام» ، ج ١ ، تأليف الدكتور عبد البارّي أحمد عبد البارّي .
- «الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية» ، تأليف الدكتور محيي الدين عبد العليم ، صدر عن مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- «مستقبل الإسلام والقرن الخامس عشر الهجري» ، تأليف الدكتور محمد البهي ، صدر عن مكتبة وهبة .
- «جيل وراء جيل» ، تأليف جلال العشري ، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .



* كتب جديدة *

- «أسطورة دون كيشوت» ، مسرحية ألفها الكاتب الإسباني بويرو بايخو ، ترجمة الدكتور صلاح فضل ، صدرت ضمن سلسلة (في المسرح العالمي) ، التي تصدر عن وزارة الإعلام

- ★ «خمسون سراً من أسرار البحر» ، إعداد جون كانيغ .
- ★ «كيف تفهم الموسيقى» ، بقلم أنتوني هوبكنز .
- ★ «الملكة والوطن» ، بقلم دافيد سنكلير .
- ★ «الموسوعة الجغرافية الدولية» ، وتحتوي على شرح لـ ٢٥,٠٠٠ كلمة .
- ★ «موسوعة لكل إنسان» ، موسوعة ثقافية مكونة من ١٢ مجلداً .

معرض

معرض للرسام دالي

أقيم بمعرض (جورج بومبيدو) بالعاصمة الفرنسية معرض يضم (١٢٠) لوحة من أشهر اللوحات التي رسمها الرسام (سلفادور دالي) .

وفاة النحات الفرنسي (مور)

توفي عن عمر يناهز الثالثة والسبعين الرسام والنحات الفرنسي (سان مور) الذي ذاعت شهرته في الثلاثينات ، ومن المعروف أنه ولد في سنة ١٩٠٦ م ، ولعب دوراً كبيراً في حركة الفن التي كان يقودها وهي «حش الفنانين بالرسم على الجدران والأثاث» ، وقد قام بالنحت والرسم على المباني العامة وبعض المدارس الفرنسية والكنائس .

متحف للعلوم الصناعية

سيقام في باريس متحف جديد أطلق عليه اسم (المتحف الوطني للعلوم والصناعة) ، والذي سيفتح في سنة ١٩٨٣ م . ويتقسم المتحف الجديد إلى أربعة أقسام ، ويتوقع أن يكون رواده سنوياً أكثر من (٣) ملايين زائر .

موسوعة فرنسية عن «الخيال العلمي»

ظهرت أحدث موسوعة فرنسية بعنوان «موسوعة الخيال العلمي» ، وقد خصصت فؤاة هذا النوع الجديد من الخيال ، وهي تضم الألفاظ المستخدمة في هذا النوع .

الكتب

اليابانيون والخط العربي

أنتجت إحدى الشركات اليابانية قطعاً من الحرير تحمل كل قطعة آية قرآنية كريمة تصلح لتعليقها على الجدار بعد وضعها في إطار لتزين المنزل والمكتب ، وقد أتقن الخطاطون اليابانيون الكتابة باللغة العربية بأحرف كوفية بالغة الدقة ، وتعزّم الشركة تسويق هذه التحف الحريرية إلى العالم الإسلامي .

الكتب

المجتمع الإنجليزي في الثلاثينات

أقيم في لندن معرض في أحد المتاحف موضوعه (المجتمع الإنجليزي في الثلاثينات) ، ضم هذا المعرض أعمال أشهر النحاتين والرسامين الإنجليز التي تعكس صورة المجتمع الإنجليزي خلال تلك الفترة خاصة العاطلين الذين بلغ عددهم في ١٩٣٢ م ، حوالي (٤) ملايين عاطل .

* أحدث الكتب *

● صدرت الكتب التالية عن دار نشر دابليو . جي .

فويلز :

★ «تشارلز : أمير ويلز» ، بقلم أنتوني هولدن .

★ «الإغياز» ، بقلم برنارد ليثين .

★ «حرب البوير» ، بقلم توماس باكينهام .

★ «أيام في البيت الأبيض ١٩٦٨ - ١٩٧٢ م» ، هنري

كيسنجر .

★ «كان الفن غالباً» ، مجموعة قصصية بقلم ف . سكوت

فيتز جيرالد .

★ «شوبان» ، بقلم آدم زامويسكي .

★ «مختارات شعرية» ، بقلم جون بنجمان .

★ «دليل الفارس الدولي» ، شارك في إعداده نخبة من

المؤلفين .

★ «رباعيات عمر الخيام» ، ترجمة إدوارد فيتز جيرالد .

★ «عندما كنت شاباً» ، ترجمه عن الفرنسية شارل أزنافور .

★ «الأوركسترا» ، بقلم أندريه بريشين .

● وصدرت الكتب التالية عن دار نشر (فويلز) :

★ «عبقريّة برنارد شو» ، إعداد ميتشيل هولرويد .

★ «الحديقة الإنجليزية» ، بقلم لورنس فليمنغ .

اليوم و الغد

الطبق العائم

● أنتج العلماء في فرنسا طبقاً عائماً من (مادة بولسترين) وهي مادة يعادل وزنها ١/٨ من وزن الفلين وقدرة موتورته ثلاثة أحصنة ويزن ٧٥ كيلوغراماً.. السرعة القصوى ١٥ كلم في الساعة.

رادار لخدمة قائد السيارة

● تمكن العلماء مؤخراً من اختراع جهاز جديد يشبه الرادار وهو يركب في مقدمة السيارة ليكشف لقائدها على شاشة صغيرة شبيهة بشاشة التلفزيون الأخطار التي تواجهه مثل السيارات أو الجبال أو العوائق... قبل الوصول إليها بوقت كافٍ، كما أنه يبين حالة الطقس باستمرار، وهذا الرادار مزود بعقل إلكتروني صغير.

سيارة تسير بالماء

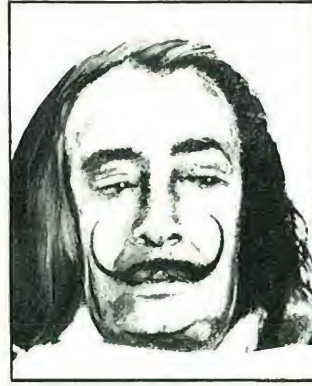
● توصل علماء جامعة أريزونا الأميركية إلى صنع سيارة تستخدم الماء كوقود لها بدلا من البنزين، وقد صرح (هارفن) الأستاذ بالجامعة أن الموتر مصنع من معادن خاصة، وأن صناعته استغرقت ٣ سنوات ونصف السنة، وأنه يستعمل ماء الميثانول بنسبة تلوث لا تذكر إذا قورنت بآثار تلوث السيارات الأخرى التي تستعمل البنزين.

صاروخ لإطفاء الحرائق

● أعلن مؤخراً عن ابتكار صاروخ جديد خاص يستطيع إطفاء الحرائق في الطائرات بسرعة، وذكر أن هذا الصاروخ يقوم بعد إطلاقه مباشرة من قاعدته في المطار بصب ٥٠٠ كيلوجرام من مادة رغوية على الطائرة الملتهبة، وبذلك تحمد النيران في الحال.

الزواج بواسطة العقل الإلكتروني

● بدأ العالم يدخل عصر الإلكتروني وأجهزة الكمبيوتر بسرعة رهيبه، فلقد فكر العلماء في استخدام هذه المخترعات في شتى فروع الحياة، حتى إنه صار بإمكان أي شاب أعزب أو شابة اختيار شريك الحياة باستشارة العقل الإلكتروني بدل استشارة قلبه، وذلك بأن يجلس الشخص الذي يهيمه الأمر أمام الجهاز الإلكتروني، ويدلي ببعض المعلومات الشخصية التي يفرزها هذا العقل العجيب، ويتبين صدقها من كذبتها حتى لا تكون هناك عملية غش أو خداع، ثم يقذف من أحد جوانبه بطاقة تحمل صورة الطرف الآخر - المناسب - وعنوانه ورقم هاتفه، استناداً إلى طلبات زواج سابقة أودعها «العزاب» في الجهاز.



★ سلفادور دالي ★



★ هنري كيسنجر ★

السياحة

معرض دولي للكتاب

أقيم المعرض الدولي للكتاب على مساحة تقدر بـ ٧٠,٠٠٠ متر مربع في مدينة (فرانكفورت)، وقد حضر هذا المعرض (٥٠٠٠) دار للنشر تمثل (٨٠) بلداً، وقد عرض فيه أكثر من (٣٠٠,٠٠٠) كتاب منها (١٠٠,٠٠٠) كتاب لأول مرة.

السياحة

* أحدث الكتب *

● «قراءات في علم اللغة العربي»، تأليف الدكتور سلمان العاني، صدر عن جامعة (أنديانا) بأميركا.

السياحة

* أحدث الكتب *

● «رسالة الغفران»، لأبي العلاء المعري، صدرت باللغة البوغوسلافية عن معهد الدراسات الشرقية في يوغوسلافيا، ترجمة نخبة من الباحثين والأدباء البوغوسلافيين.

● «الأيام»، تأليف الدكتور طه حسين، صدرت باللغة البوغوسلافية عن معهد الدراسات الشرقية، قام بترجمتها نخبة من الباحثين والأدباء.

السياحة

معرض للكتب

أقيم في (بكين) معرض للكتب لمدة عشرة أيام في (قصر الثقافة العالمية) وقد بيع فيه أكثر من (٧٥٠,٠٠٠) كتاب لمختلف الكتاب الصينيين والأوروبيين وكذا الأميركيين.

أفكار من ش ووة

أفكار من ش ووة



★ محمد حسين زيدان ★

● أدباء الرعيل الأول أثمة في اللغة ، وبحار زاخرة في العلم والمعرفة والثقافة ، وما قصرُوا اطلاعهم على الأدب القديم وحسب ، بل اطلعوا على الأدب الحديث ، وما زالوا يتابعون نتاجه ويطلعون على كل جديد فيه .

أما أدباء الرعيل المتأخر فلا يولون اللغة أي اهتمام ، فكلهم لا يحسنون العربية ، إلا النادر منهم ، فهم لا يفهمون معاني الكلمات التي يستعملونها ولا ذوق لديهم في الاستعمال ، ولا بصير عندهم بالمعنى الأصيل للكلمة ، فيستعملون الكلم في غير مواضعه ، ويحرفونه ، ويستعملون بعضها مكان بعض ، ولا رابط بين الجملة ، وأساليبهم غاية في الركاكة ، ونسجهم مهلهل ، وهندسة بنائهم مختلفة . وهذه العيوب ليست وفقاً على بلادنا ، بل هي عيوب البلدان الأخرى أيضاً .

أحمد عبد الغفور عطار - جريدة (عكاظ) السعودية



★ أحمد عبد الغفور عطار ★

● الإسلام دين الفطرة ، فالفطرة إيمان إنما يخرب إيمانها التربية الفاسدة (يولد الولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) ، ويضاف إلى عناصر هذا الإفساد ما يفعله المصللون الذين يخرجون على الإسلام بآراء ومذاهب ونحل باطلة ، يفعلون ذلك باسم الإسلام وهي ليست من الإسلام في شيء . لكن هذا الدين القيم - الإسلام - يحرز الانتصار على كل أعدائه بنضال المؤمنين به ، فمن عجائب هذا الدين أنه ينتصر بالحرب عليه .

محمد حسين زيدان - جريدة (البلاد) السعودية

● بدأ النقد في القدم ذاتياً فردياً ثم - ومع تطور الحياة - ظهرت مدارس واتجاهات نقدية واحتدم الصراع بينها . وقد أثرى الأدب هذا الصراع .. ومن أهم مظاهر النقد الأدبي الحديث النقد المنهجي الذي ، من أهم مناهجه ، المنهج الفني والمنهج التاريخي والمنهج النفسي ، ثم ظهر المنهج التكاملي وهو منهج يقيم جميع المناهج السابقة ، وللأسف الشديد فإن النقد المنهجي الذي دعا إليه المرحوم الدكتور محمد مندور كان آخر هذه المدارس النقدية المنهجية ، وهو منهج تقويمي توجيبي هادئ ، منهج يوضح أبعاد العمل الفني الأدبي ويحلله تحليلًا وافيًا ؛ ويعد مندور عاد في رأيي النقد ذاتياً مرة أخرى . لا شك أن هناك نقاداً كباراً أفادوا من تجارب غيرهم وأضافوا إليها ولكن بصورة فردية . وربما تحول النقد في غالبته إلى انتقاد وتجريح أو مديح وكلاهما ضار بالأدب والأديب . ونحن في الحقيقة في أمس الحاجة إلى الناقد الأدبي المختص المتذوق للأدب الذي يبين ما للعمل الأدبي وما عليه دون تحامل أو تجريح .. ينصح ولا يجرح ... يبني ولا يهدم ... وأتمنى أن تقوم الجامعات في غيبة المدارس النقدية بدورها الطبيعي الرائد كمؤسسة مؤهلة للقيام بهذا الجهد لتقويم مسيرة النقد الأدبي .

ديب خصاص - مجلة (اقرأ) السعودية

● من أخطر آفات الفكر البشري الجمود أو التزمّت ، والمكابرة أو التشبث ، وتبدي عوارضه في الإصرار على الرأي والاعتقاد بأن فكرك الأفضل ، وطريقتك الأمثل ، وشعبتك الأقوم .

د. مصطفى محمود حلمي - جريدة «القبس» الكويتية

البعد النفسي للأدب

بقلم : د. نبيل راغب

كان علم النفس من العلوم التي استفاد منها الأدب إلى حد كبير ، واستخدمها في إضافة الكثير إلى مناهجه ، سواء الإبداعية أو النقدية . ولا ترجع استفادة الأدب بعلم النفس إلى الفترة التي اكتشف فيها سيجموند فرويد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فقط ، بل ترجع إلى أيام أرسطو ونظريته في التطهير الذي تحدثه التراجيديات في نفوسنا . فقد قال إن التراجيديات تطهر نفوسنا من الأحاسيس المضطربة والمشوشة التي تحدثها فينا الحياة اليومية ، وذلك بإثارة عاطفتي العطف والخوف من مصير البطل المأسوي الذي يتحرك إلى الهاوية رغماً عن إرادته الإنسانية الضعيفة . ومع ذلك يصر على تحدي قدره إلى أن يلقى حتفه بطريقة أو بأخرى .

فنحن نتعاطف معه لأنه يشاركنا إنسانيتنا بكل ثغرات ضعفها التي تعمل من داخله لكي تورده موارد التهلكة . . . ونتعاطف معه أيضاً لأنه يضحي نيابة عنا . أما عاطفة الخوف فتأتي من إحساسنا بإمكانية أن نقف في مكان البطل التراجيدي ذات يوم ، لأننا لا نملك الضمانات التي تؤكد لنا استحالة الوقوع في نفس المآزق المصري الذي لا عودة منه .



أدى هذا الاتحاد في بعض الأحيان إلى وجود أعمال أدبية قائمة أساساً على منهج التحليل النفسي الذي ابتدعه فرويد . فالبطل مصاب مثلاً بعقدة نفسية ترسبت في لا وعيه منذ حدثاته لكنه لا يعرف كنهها برغم أنها تؤثر في سلوكه الظاهري ، وخاصة عندما تمس ما يوقظها من مكانها . وغالباً ما تكون الرواية رحلة ممتعة في تيار الشعور واللاشعور عند البطل إلى أن تحدث الأحداث المتشابكة وتضغط على العقدة بحيث تطفو على السطح . عندئذ يتخلص منها البطل ويعود إلى حالته الطبيعية ، وغالباً ما تنتهي الرواية عند هذه الحدود .

وقد يتساءل البعض عن الفارق بين الرواية السيكولوجية التي يؤلفها الروائي وبين الحالة المرضية المعروضة على الطبيب النفسي؟

والإجابة على ذلك : أن الرواية تجسد البطل ، وتحيله إلى إنسان له ملامح من السهل أن يتعرف عليها القارئ برغم أنه قد يكون شخصية خيالية محضة . أما الطبيب النفسي فينظر إلى المريض على أنه مجرد حالة تنتهي بتكشاف العقدة ولا يمر بنفس التجربة الجمالية والوجدانية التي يمر بها الروائي أثناء تأليف الرواية ، أو القارئ أثناء القراءة .

وإذا كان علم النفس ينهض على التحليل والشرح

يقول أرسطو إن الإحساس بالعطف والخوف من شأنه أن يخلصنا من العواطف المشوشة والتافهة ، ويجعلنا أكثر قرباً من الوجدان الإنساني العام ، البعيد عن الأنانية وتضخم الذات وضيق الأفق . والواقع أن كل النظريات التي حاول علماء النفس ابتداعها منذ أواخر القرن الماضي حول الأثر النفسي الذي يحدثه العمل الأدبي داخل المتذوق ، هذه النظريات لم تذهب بعيداً عن نظرية التطهير التي وضعها أرسطو قبل الميلاد بحوالي ثلاثة قرون ونصف ، بل كانت بمثابة الشروح والتحليلات التي قدمتها لها في ضوء مناهج علم النفس الحديث واكتشافاته . وهذا يؤكد لنا أن علم النفس كان موجوداً بطريقة أو بأخرى من خلال الفلسفة والأدب اللذين اهتما أساساً بدراسة النفس البشرية منذ فجر المعرفة الإنسانية ، وأن ما فعله فرويد وغيره من علماء النفس الرواد كان تقنياً لهذا الفرع من المعرفة ووضع المنهج العلمي له . لذلك كان الأدب أسبق من علم النفس في دراسة النفس البشرية ، ولما تم تقنين علم النفس ومنهجه كان من الطبيعي أن يتحد الاثنان من أجل المزيد من المعرفة للذات الإنسانية التي تعد من أكثر ألغاز هذا الكون غموضاً .

● ● كان الأدب السبع من علم النفس في دراسة النفس البشرية ، ولما تم تصنيته علم النفس ومنهجته كان من الطبيعي أن يتحد الاثنان من أجل المزيد من المعرفة للذات الإنسانية ...

● ● إذا كان علم النفس يترفع على التحليل والشرح والتوضيح والتبصير ، فالأدب يعتمد على التركيز والتجسيد والإيجاز والتركيب . من هنا يبدو الاختلاف في الوسائل التي يستخدمها كل من علم النفس والأدب برغم اتفاقهما في الهدف الذي يتمثل في الحصول على المزيد من المعرفة الإنسانية . ومنذ أرسى فرويد القواعد الأولى لعلم النفس التحليلي ، تأثر بها الأدب بصفة عامة والرواية بصفة خاصة ابتداء من أواخر القرن الماضي .

لا يفيد فيه ولا يستفيد منه .

فتحليل نفسية الكاتب عن طريق عمله الأدبي ، ثم تفسير هذا العمل في ضوء الظروف النفسية التي يمر بها لا يزيد من استيعابنا للعمل الأدبي أو من استمتاعنا به بل يشتت تركيزنا بعيداً عنه . فهو منهج يربط العمل الأدبي بأشياء خارجة عنه ، بينما النقد هو تحليل العمل الأدبي إلى عناصره الأولى و إبراز مدى توفيق الكاتب أو فشله في مزج هذه العناصر لكي تمنح تأثيرها الجمالي النهائي من خلال التجربة النفسية التي تشكل داخل وجدان القارئ .

فإذا كانت هناك علاقة بين علم النفس والنقد الأدبي ، فيجب أن تنصب على التأثيرات التي يمارسها العمل الأدبي على نفسية القارئ وليس على شرح نفسية الكاتب . لكن أتباع المدرسة السيكلوجية يفيدون أبحاث علم النفس بينما مجهودهم في ميدان النقد الأدبي يصير إلى لا شيء . في هذا يقول ١٠١ . ريتشاردز في كتابه « أصول النقد الأدبي » : « إن ما يدور في ذهن الكاتب من عمليات ليس ميداناً مفيداً جداً للبحث النقدي . هذا على الرغم مما ينادي به علماء التحليل النفسي ، وذلك لأن هذه العمليات توفر لنا ميداناً خصباً للتخمين الصرف . حقاً إن العناصر التي يتألف منها العمل الأدبي تشمل الكثير من العناصر اللاشعورية ، وربما كانت هذه العناصر اللاشعورية أهم بكثير من غيرها . لكننا حتى ولو افترضنا أننا نعلم أكثر بكثير مما نعلمه الآن عن طبيعة العمليات الذهنية ، فلن نسل من احتمال الوقوع في الخطأ الجسم إذا حاولنا أن نبين العمليات الخفية الباطنة التي تدور في ذهن الفنان ، مستندين في ذلك إلى شهادة نتاجه وجده . وإذا قسنا بما نشره فرويد عن ليوناردو دافنشي أو يونج عن جيته في كتاب « سيكلوجية العقل الباطن » فإنه يمكننا أن نقول بصفة عامة إن المحللين النفسيين هم غالباً نقاد فاشلون بشكل ملفت للنظر .

ومصدر الصعوبة هنا هو أن جميع الافتراضات تقريباً ، التي تحاول أن تفسر ما يدور في ذهن الفنان ، لا يمكن تحقيقها ، بل إنها أصعب تحقيقاً من الافتراضات المائلة التي تحاول أن تصف لنا ما يدور في ذهن الحالم . وأكثر هذه التفسيرات إقناعاً يميل إلى الارتكاز على ملامح معينة في العمل الفني يعزوها إلى أسباب غير الأسباب الحقيقية التي أوجدتها . ولا أعلم أن أحداً غير روبرت جريفز قد حاول أن يحلل قصيدة « كوبلاخان »

والتوضيح والتبصير . فالأدب يعتمد على التركيب والتجسيد والتركيز والإيجاز ، من هنا يبدو الاختلاف في الوسائل التي يستخدمها كل من علم النفس والأدب برغم اتفاقهما في الهدف الذي يتمثل في الحصول على المزيد من المعرفة الإنسانية . ومنذ أرسى فرويد القواعد الأولى لعلم النفس التحليلي ، تأثر بها الأدب بصفة عامة والرواية بصفة خاصة ابتداء من أواخر القرن الماضي .

فبعد أن كان التركيز كله على الحياة الخارجية والعلاقات الاجتماعية للشخصيات والمواقف ، تحول معظم الاهتمام إلى ما يدور داخل الإنسان من انفعالات وصراعات تؤثر على تفكيره وسلوكه ، وأصبح النقد يتداولون مصطلحات سيكلوجية جديدة على النقد الأدبي مثل العقدة النفسية ، وتيار اللاشعور ، والعقل الباطن ، والسادية ، والماسوشية ، والرجسية ، والصراع النفسي ، وعقدة أوديب والكتر ... الخ . وتحول النقد بعد ذلك إلى اتجاه متطرف عرف بعد ذلك باسم المدرسة السيكلوجية في النقد .

ينظر تلاميذ المدرسة السيكلوجية إلى العمل الأدبي على أساس أنه تعبير مباشر عن شخصية الكاتب وتكوينه النفسي ، ويتخذ نقادهم من الرواية ، مثلاً ، وسيلة للكشف عن هذه الشخصية والقاء الأضواء على معالمها المختلفة وتحليل خباياها الدفينة . كانت النتيجة أن تحول اهتمامهم من العمل الأدبي نفسه إلى حياة الكاتب الشخصية ، إذ يتحتم على الناقد أن يكون ملماً بحياة الكاتب من جميع جوانبها . وهذه المعرفة الدقيقة الشاملة تساعد في بحثهم الذي غالباً ما يخرج من ميدان النقد الأدبي إلى مجال التحليل السيكلوجي . وهذا من الأسباب التي أدت إلى كثرة ظهور تراجم حياة الكتاب والفنانين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، والنصف الأول من القرن العشرين ، لأن هذه التراجم تساعد النقاد من أتباع المدرسة السيكلوجية على تحليل النص الأدبي وتفسيره في ضوء حياة كاتبه الشخصية ، وعندما يتحقق لهم هذا الهدف يفقد العمل الأدبي كل دلالة بالنسبة لهم .

ونحن لا نعترض على هذا المنهج الذي يعتمد على استقراء المكونات النفسية للكاتب من خلال كتاباته ثم تفسير كتاباته في ضوء حياته . فهو منهج علمي سليم من جهة علم النفس ، أما من وجهة نظر النقد الأدبي ، فقد أسيء استعماله في الوقت الذي كان من الواجب عدم إقحامه في مجال



★ ليوناردو دافنشي ★

والراحة ، وزاد عدد القراء الذين يشاركون في هذه المتعة التابعة من إعادة تنظيم إحساساتهم وتطهيرها من كل الشوائب العالقة بها بفعل اضطرابات الحياة المعاشة . في هذا الصدد يقول **روبين جورج كولنجود** في كتاب « مبادئ الفن » :

« مهمة الفنان هي التعبير عن الانفعالات . إنها انفعالاته على أية صورة من الصور . ولن يستطيع أحد أن يحكم هل عبّر عنها سوى من شعر بها . ولو كانت هذه الانفعالات خاصة به ولا تخص أحداً غيره ، فلن يوجد أحد سواه قادراً على الحكم بأنه قد عبّر عنها أولاً . وإذا جعل لأحكام متذوقيه أية أهمية فلن يرجع هذا إلا إلى اعتقاده بأن الانفعالات التي حاول التعبير عنها هي انفعالات ليست خاصة به وحده ، بل يشاركه فيها المتذوقون وإلى اعتقاده بأن التعبير الذي يخصهم والذي عبّر عنه — **لو كان قد قام به بحق** — له قيمة في نظر المتذوقين ، كما هو الحال عنده .

بعبارة أخرى فإنه سيضطلع بأعباء عمله الفني لا باعتباره محاولة شخصية يقوم بها لصاحبه الشخصي ، بل باعتباره عملاً عاماً لصالح المجتمع الذي ينتمي إليه . وأي حكم ينطق به خاص بالانفعال يجب أن يبدأ بإشارة موحية بأن هذا الانفعال شعور جماعي وليس شعوراً ذاتياً . لا يعني هذا بالضبط أن العمل الذي اضطلع به هو عمل يخص المجتمع . إنه عمل يحمل دعوة موجهة منه إلى المجتمع لكي يشاركه فيه . إذ إن مهمة هذا المجتمع باعتباره متذوقاً ليس تقبل عمله تقبلاً سلبياً ، بل إعادة تمثله مرة أخرى . وهو لم يقدم على دعوة المتذوقين للقيام بذلك ، إلا لاعتقاده بأنهم سيلبون دعوته ، أو بعبارة أخرى لاعتقاده أنه دعاهم للقيام بما يرغبون القيام به فعلاً .

وفي حالة إحساس الفنان بكل ذلك — **وأي فنان لا يشعر بذلك لن يشعر بأي دافع ملج لنشر عمله أو للنظر جدياً فيما يقول الناس** — فإنه لن يشعر به بعد اكتمال عمله الفني فحسب ، بل سيشعر به من بداية الأمر وخلال فترة إخراج العمل الفني . فالمتذوقون حاضرون معه على الدوام باعتباره يمثلون جانباً من عمله الفني . ودورهم ليس دوراً متعارضاً مع جمالية العمل الفني وموضوعيته ، أي دوراً يفسد الاخلاص الذي يتحلى به عمله بالزج به في نواحي الشهرة والكسب ، بل دور جمالي وموضوعي يساعد على تحديد القضية التي يحاول الفنان تجسيدها ، أي تحديد أية انفعالات سيقوم بالتعبير عنها وعلى أي أساس سيعتمد هذا التجسيد الدرامي . من هذا يتضح أن المتذوقين الذين يشعر الفنان بشاركتهم له قد يكونون كثرة أو قلة ، إلا أنه لا يصح القول بعدم وجودهم إطلاقاً .

في هذا المجال يمكن أن يفيد التحليل النفسي الفنان في تجسيد وتحديد مجرى الانفعالات التي سيثيرها في قارئه ، وبالتالي يمكن تحديد البناء الدرامي على ضوء التجربة النفسية القائمة بالفعل في ذهن الفنان ووعيه ، مما يساعده على التحكم في جماليات الشكل ، والابتعاد به عن العفوية الساذجة والتلقائية التي قد تحيل العمل الفني إلى نوع من الاعترافات . وأية اتجاهات للكاتب — سواء كانت مثالية رومانسية أو

لكولردج التي يوحى موضوعها ، وطريقة تأليفها ، بأنها قابلة للتحليل النفسي . ويستطيع القارئ الملم بطرق التحليل الشائعة أن يتخيل النتائج التي أسفرت عنها هذه الهجمة الفرويدية العنيفة على تلك القصيدة . يجتاز الكاتب الأسلوب الأدبي الذي يلائم مضمونه وينقله إلى القارئ داخل الشكل دون انفصام ، وليس ذلك الأسلوب الذي يميل إليه شخصياً بحكم ميله النفسي إليه . لذلك يختلف منهج الأديب من عمل إلى آخر طبقاً لمضمونه مما يجعل شخصيته تتوارى وراء الأعمال ، لأنها إذا فرضت نفسها — **كما يظن أتباع المدرسة السيكلوجية في الأدب** — فإن الأعمال الأدبية كلها تتحول إلى نسخ باهتة وصور مكررة لنفسية كاتبها . وإذا كان علم النفس يفيدنا في ميدان النقد الأدبي فإن مهمته تتركز في تحليل الشخصيات من الداخل وإبراز العلاقة الجدلية والعضوية بين واقعها النفسي وواقعها الاجتماعي ، وكيف يؤثر هذا بدوره على العلاقات والصراعات بينها ، وبشكل بالتالي الشخصية المميزة للعمل الأدبي كشكل فني متكامل وكوحدة جمالية عضوية . لذلك يفيد التحليل النفسي في دراسة الدوافع الكامنة وراء السلوك الاجتماعي للشخصيات ، بحيث يلقي الضوء على التفاعلات والصراعات التي تدور في وجدانها مع بيان مدى التوافق أو التعارض أو التصادم بين تيار الشعور واللاشعور عندها وبين تيار المجتمع السائد حولها .

يفيد علم النفس التحليلي أيضاً في تفسير دلالات التأثير السيكلوجي الذي يمارسه العمل الأدبي على نفسية القارئ ، إذ إن نفسية القارئ قبل القراءة والتذوق لا يمكن أن تظل كما هي بعد الانتهاء من استيعاب العمل الأدبي . والآثار التي تحدث يبدو أثرها أيضاً على الوجه والجسد ، وهي مهما اختلفت طبيعتها فإنها على درجة كبيرة جداً من التعدد والتنوع ، أو كما يقول تيتشنر في كتاب « **المرشد في علم النفس** » : « ليس في استطاعتك أن تري أحداً زخرفة على ورق الحائط دون أن تسبب بفعلك هذا اضطراباً في تنفسه ودورته الدموية » . كما أننا لا نعلم ما هي الاضطرابات الأخرى التي تحدث بالإضافة إلى ذلك . فالجسد بأسره يستجيب على نحو يكاد يبدو منهجياً . هنا يمكن لعلم النفس أن يفيد النقد الأدبي ، لأنه يقدم للفنان منهجاً يمكنه من المعرفة المسبقة للانفعالات التي سوف يثيرها في نفس قارئه ، لأن العمل الأدبي ليس كلمات على صفحات داخل كتاب ، لكنه بناء نفسي ينهض داخل نفسية القارئ . وكلما كان هذا البناء متناسقاً وجميلاً زاد إحساس القارئ بالمتعة

واقعية اجتماعية أو رمزية شعرية - لا بد وأن تخضع لحتميات التجربة النفسية التي يحاول الفنان نقلها كما هي إلى القارئ لكي يمر بنفس الإثارة والمتعة العاطفية .

هذه التجربة النفسية تتميز بصفتين أساسيتين :

أولاهما استجابة تسري في أعضاء الجسد وتنشأ عن طريق الأجهزة العاطفية ، والثانية نزوع نحو فعل من نوع محدد أو مجموعة من أنواع محددة .

هذه التغيرات الشاملة في الأجهزة المعوية والوعائية التي تميز عمليات التنفس والإفرازات الغددية ، تحدث عادة في الاستجابة إلى المواقف التي تثير إحدى النزعات الغريزية . ونتيجة لهذه التغيرات تظهر إلى الوعي موجة من الإحساسات مصدرها جسدي باطني ، ومن المتفق عليه عامة أن هذه الإحساسات يتألف منها على أقل تقدير معظم الوعي الخاص بالانفعال .

هذه الإحساسات أو صورها هي أحد العناصر الرئيسية التي تتألف منها التجربة النفسية ، وهي التي تفسر لوئها الخاص أو نغمتها التي تميزها ، وتحلل أيضاً كثافة الانفعالات أو حداثتها . لكن العنصر الذي يساوي هذه الإحساسات في الأهمية ، إن لم يكن يفوقها ، هو التغيرات التي تطرأ على الوعي ، والتي مصدرها استجابات الأجهزة العصبية التي تسيطر على الحركة ، وتتحكم في الاستجابة العضوية للموقف المنبه . هذه التغيرات كما يقول ريتشاردز تندرج في حالة الخوف مثلاً ، من إيقاظ نزعة بسيطة مثل دافع الهروب أو الاختفاء تحت المنضدة ، إلى تعديلات بالغة في التعقيد مثل التعديلات التي نقوم بها حين نتأهب لمجابهة خطر يهدد أحد آرائنا الأثيرة .

وكقاعدة عامة نستطيع أن نقول انه بين إدراكنا للموقف ووقوفنا على طريقة لمجابهة هذا الموقف تحدث عملية بالغة في التعقيد ، هذه العملية المعقدة تتأزر مع الإحساسات وصور الإحساسات ، فتضفي على التجربة النفسية طعمها الخاص أو نكهتها التي تميزها .

وعندما يحول الشاعر مثلاً تجربته النفسية إلى قصيدة ، فإنه لا يعزل عنها الجوانب الفكرية ، ويبقى على الجوانب الانفعالية الجاححة لكي يعبر عنها وحدها ، فإن ما يقوم به الشاعر هو خلط الفكر ذاته في الانفعال ، أي أنه يفكر بطريقة معينة ثم يعبر بعد ذلك عن كيفية الشعور عندما يفكر على هذه الصورة .

لقد قام دانتي مثلاً بمزج فلسفة توماس الاكوييني بإحساساته الذاتية في إحدى قصائده ، بحيث عبر موضوعياً عن كيفية الشعور بالحياة في عالم زاخر بالأفكار المشتتة وبأوضاع الحياة العتيقة المهلهلة التي تؤدي إلى تشتت النشاط الفكري ذاته بحيث لا يظهر إلا في صورة لمحات فكرية اختفت منها كل روابط منطقية . وهذا ما جعل طابع انفعال الفكرة السائدة هو الإحساس بهذا التشتت . وتكرر التعبير عن هذه الفكرة في قصائده كما نجد في قصيدة « المرأة » .

وبعد سبعة قرون من دانتي يأتي ت . س . إليوت لكي يقدم لنا قصيدة « الأرض الخراب » ويحدد فيها موقفه من تدهور الحضارة الحديثة

التي نهضت على الكثير من المظاهر الخارجية الجوفاء ، بينما يزخر باطنها بتصدع الأوضاع الاجتماعية وتبلد ينابيع الانفعال بالحياة والجمال . لكن لا يعني هذا أن يفرض الشاعر وعيه الحاد على كل جزئيات القصيدة وإلا أحالها إلى مركب صناعي يخلو من التدفق التلقائي للحياة . لذلك فإن حدة الوعي لدى الشاعر لا بد أن تتراوح طبقاً لمتطلبات الخلق الفني ، لأنها إذا سارت على وتيرة واحدة فسوف يرفضها الجسم الحي للقصيدة . يجب على الشاعر أن يخفف من حدة وعيه إذا وجد أن القصيدة تشق طريقها الطبيعي طبقاً لتكوينها العضوي ، لكن عليه أن يزيد من حدة وعيه حتى تصل إلى أعلى درجاتها إذا وجد أن القصيدة قد ضلت الطريق الطبيعي .

في هذا يقول **إليوت** : « إن الشاعر الناضج هو الذي يتحكم في درجة وعيه بأن يفرض فكره وعقله في اللحظة المناسبة ثم يضعها جانباً إذا لم يكن في حاجة إليهما » . لكن الاستغناء المؤقت عن حدة الوعي لا يعني بلوغ مرحلة الهذيان أو الهلوسة أو الجنون الشعري كما يظن أفلاطون أو ماكس نوردو . لذلك يقول ا . ا . ريتشاردز : « إن الشعر يوصل لنا تجارب دون مشقة في تعلمها أو بلوغها ، بل إنه يجعل في مقدور الكثيرين أن يصلوا إلى حالات شعورية كانت ستظل مقصورة على القليلين بدون هذا الفن أو الفنون الأخرى عامة » . فالفنون في نظر ريتشاردز وسيلة تمكن الفنانين أنفسهم من أن يعيشوا تجارب نفسية وفكرية ما كانوا يستطيعون أن يمروا بها بدون الفنون . فدراسة الفنون وممارستها تضفي على الفنان قوة هائلة وتحميه من تشتت طاقاته ، وذلك أعظم خطر يهدده ، عن طريق ما تتطلبه الممارسة من تركيز نفسي وتجميع لقواه الفكرية يصعب عليه أن يحققها في حياته العادية الزاخرة بالاضطرابات والتشوش . فالفن هو وسيلة تمكن الجهود البشرية من الاستمرار على نحو لا يقل دقة عن وسيلة العلم بكل معايير ومناهجه .

ويتفق كولنجوود مع ريتشاردز عندما يقول بأن الشعر يجب أن يتنبأ لا بكشفه عن الغيب ولكن بابلاغ القراء بالتيارات النفسية التي تحتاج وجدانهم بغير مراعاة لشعورهم بالكدر . لأن ما يفصح عنه ليس أسرار الفنان الخاصة ، إذ باعتباره لسان حال الجماعة فإنه يفصح عن مكنونات نفسها ، والسبب الذي جعلها في حاجة إليه هو عدم وعيها الكامل بما يجتاحها من أحاسيس ومشاعر . وهي عندما تفشل في هذه المعرفة فإنها تضل الطريق تماماً . والشاعر لا يصف الدواء ولكنه يقدمه فعلاً . فالعلاج هو القصيدة ذاتها ، والشعر هو الدواء لأبشع مرض يصيب الروح ، أي فساد الوعي .

وما ينطبق على الشعر ينطبق على الأنواع الأدبية الأخرى من مسرح ورواية . وهي الأنواع التي كان علم النفس دائماً في خدمتها بمناهجه التحليلية ، وعلى الأديب أن يستفيد منها بالقدر الذي يتطلبه عمله الأدبي ، لأن التجربة النفسية التي يمر بها الأديب ليست إلا مادة خام قابلة للصياغة والتشكيل حتى تتحول إلى التجربة الجمالية التي يشترك فيها القراء جميعاً ، وتثير في نفوسهم أثبل الدوافع وأجل الأحاسيس .

فلسفة ابن رشد الأخلاقية

بقلم : د. ماجد فخري



★ ابن رشد ★

إن دور أبي الوليد ابن رشد (المتوفي سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م)، في بسط فلسفة أرسطوطاليس بشقّي جوانبها غنيّ عن البيان. فقد تناول بالشرح أو التلخيص جميع مؤلفات هذا الفيلسوف، باستثناء كتاب «السياسة»، فضلاً عن كتاب «أيساغوجي» لفرفوريس وكتاب «الجمهورية» لأفلاطون^(١). ويهمنا في هذه الدراسة إبراز الجانب الخلق من فلسفة ابن رشد، وصلتها بأشهر مؤلفات أرسطو الخلقية، أعني «الأخلاق النيقوماخية»، التي اكتشفت ترجمتها العربية في مكتبة القرويين بفاس في أوائل الخمسينات، ولكنها لم تنشر بعد.

تنسب المصادر العربية القديمة إلى ابن رشد «تلخيصاً» لكتاب الأخلاق لأرسطوطاليس يبدو أنه ألفه سنة ١١٧٦م^(٢). وهذا الكتاب لم يصلنا في أصله العربي، بل وصلنا في ترجمة عبرية محفوظة في مجموعة مخطوطات جامعة كمبريدج بإنكلترا وترجمتين لاتينيتين، إحداهما من وضع برنارد فليتشيانو، نشرت سنة ١٥٦٢م، والأخرى من وضع هرمان الألماني، نشرت سنة ١٥٧٥م، وقد أعيد طبع الترجمة الأولى في فرانكفورت بألمانيا سنة ١٩٦٢م، ضمن مجموعة مؤلفات أرسطو، المقرونة بشرح ابن رشد^(٣).

وبالإضافة إلى هذا التلخيص، تنطوي «جوامع سياسة أفلاطون» على جانب من فلسفة ابن رشد الأخلاقية. وهذا الكتاب وصلنا في ترجمة عبرية نشرها أروين روزنتال سنة ١٩٥٦م، مع ترجمة إنكليزية أصلاً، وفي ترجمة لاتينية من وضع يعقوب مانتينو، نشرت سنة ١٥٧٤م^(٤).

يُميّز ابن رشد في مطلع «تلخيص الأخلاق» و«جوامع سياسة أفلاطون»، على غرار أرسطو، بين أقسام العلوم الثلاثة، العملي والطبيعي والإلهي. ويشتمل الأول عنده على السياسة والأخلاق، ويدور على الأفعال الإرادية، بينما يدور العلم الطبيعي على الموجودات الطبيعية، والعلم الإلهي على «الأشياء الإلهية». والعلم العملي يختلف بوجه عام عن العلوم النظرية (التي تشتمل على الرياضيات بحسب التقسيم الأرسطوطالي)، من حيث الغرض. فبينما تنوخي هذه العلوم المعرفة من أجل المعرفة وحسب، ينوخي هذا العلم العمل أيضاً. وهو يقع في قسمين متميّزين: يتناول القسم الأول منها الملكات والأفعال الإرادية وصلتها بعضها ببعض، بينما يتناول القسم الثاني ترسيخ هذه الملكات في النفس حتى تصبح كاملة ما أمكن، بحكم العادة والدربة^(٥). ويقارن ابن رشد بين هذين القسمين وقسمي الطب الخاصين بالصحة والمرض من جهة، وحفظ الصحة والعلاج من المرض، من جهة ثانية. وهو ينسج في هذا الباب على منوال كبار فلاسفة الأخلاق، أشباه الفارابي ومسكويه، الذين أخذوا بهذا الرأي فيما يبدو عن

جالينوس ، الطبيب والفيلسوف الإسكندراني الشهير (توفي ٢٠٠ م) .
ومن المقدمات الكبرى التي يبني عليها علم الأخلاق ، عند ابن رشد ، أن
الكالات الإنسانية أربعة أقسام : الفضائل النظرية والفكرية والعملية
والصناعات . إلا أن أسمى هذه الكالات جميعها العلوم النظرية ، التي سخرت لها
سائر الكالات الأخرى ، كما تسخر الصناعات أو المهن الدنيا للصناعات أو المهن
العليا (كالفروسية تسخر لها صناعة اللجامة) (٢٦) .

أما مقومات هذا الكمال النظري الذي اعتبره ابن رشد من «عاجيب
الطبيعة» ، ورأى فيه ضرباً من القربى إلى الله ، فسنعود إليه فيما بعد . ونكتفي هنا
بذكر إحدى المقدمات الأخرى للعلم العملي ، وهي أن بلوغ الفرد جميع هذه
الكالات بمفرده عسير ، إذا لم نقل مستحيلاً ، لذا احتاج الفرد إلى معونة أقرانه ،
فكان من جزاء ذلك حيواناً مدنياً بالطبع . وهو لا يحتاج إلى هؤلاء الأقران ، كما
يقول ابن رشد ، من أجل بلوغ الكمال وحسب ، بل حتى من أجل البقاء أيضاً .
من هنا كان الاجتماع ضرورياً لكمال الإنسان وبقائه معاً ، وهو ما يتوفر على التحضر
عنه العلم المدني أو السياسة ، وهي القسم الرئيسي الثاني من أقسام
العلم العملي (٢٧) .

- ٣ -

من هنا كان مدار فلسفة ابن رشد الأخلاقية ، لا سيما في
«تلخيص كتاب الأخلاق» على تعريف ماهية الفضيلة وصلتها بقوى
النفس وأقسامها . وكل ذلك على أسس أرسطوطالية مشهورة . فيبتدئ
أولاً بتقسيم قوى النفس إلى عاقلة وغير عاقلة ، على غرار أرسطو في الكتاب
الأول ، الفصل ١٣ . ثم يقسم غير العاقلة إلى غازية ونزوعية . وهو يلاحظ
في هذا المقام أن النزوعية تنقسم بدورها إلى قسمين لا اسم لها عنده ، هما القسم
المؤثر بأمر العقل ، والقسم المناوئ له . وأقرب تسمية لها هي التسمية
الواردة في «تلخيص كتاب النفس» ، حيث يدعو ابن رشد هذين الضربين من
النزوع : الحيواني والفكري (٢٨) ومن الجدير بالذكر أن أرسطو نفسه لم يسم هاتين
القوتين ، مكتفياً بالقول إن إحداهما تشارك في مبدأ عقلي ، والأخرى تضاده .
إلا أن موقف ابن رشد من أقسام قوى النفس وصلتها بالفضائل لا تخلو من
تعقيد . فعلى غرار جبهة فلاسفة الأخلاق العرب ، ابتداء بالكندي (توفي حوالي
٨٦٦ م) ، وانتهاء بابن سينا (توفي ١٣٠٧ م) ، والغزالي (توفي ١١١١ م) ،
يعتمد هذا الفيلسوف في بعض المواضع القسمة الأفلاطونية الثلاثية لقوى
النفس ، وهي الناطقة والغضبية والشهوانية ، وهي قسمة كان أرسطو قد
تخلى عنها ، كما هو معروف ، في كلا كتاب «النفس» وكتاب «الأخلاق» ، لأنها
تفترض أن النفس قابلة للتجزئة . وعنده أن النفس واحدة في الجوهر ، وإن كانت
متعددة القوى (٢٩) .

نمثل على ذلك بالإشارة إلى مقارنة ابن رشد في «جوامع سياسة أفلاطون» بين
أجزاء المدينة الثلاثة ، وفضائلها ، وأجزاء النفس وفضائلها ، على غرار أفلاطون .
فهو يذهب إلى أن المدينة إنما تكون حكيمة بمقدار ما يحكم الجزء الناطق فيها
الجزئين الآخرين ، أي الغضبي والشهواني ، وتكون شجاعة بمقدار ما تتحرك القوة
الغضبية فيها ، في الوقت والمقدار اللذين يقضي بهما العقل ، وتكون عفيفة بمقدار ما
تنقاد القوة الشهوانية فيها إلى الناطقة . أما الفضيلة الأفلاطونية الرابعة ، وهي
العدالة ، فهو يعرفها بقوله : «إنها ليست إلا تكلف كل امرئ في المدينة الأفعال
التي تخصه بالطبع ، على أفضل وجه ممكن . ولا يتحقق ذلك ما لم تنفذ سائر أجزاء
المدينة لما يمليه العلم النظري أو الحكام» (٣٠) . وعليه تقاس العدالة التي تستند إلى
النفس ، فهي عبارة عن تكلف كل من أجزائها ، ذلك الفعل الذي يخصصها دون
سواه ، بالقدر المناسب وفي الوقت المناسب ، ويحصل ذلك عندما تنقاد أجزاء النفس
جميعها لحكم العقل . وواضح أن هذه القسمة للفضائل ، سواء في المدينة أو في

النفس ، إنما ترتبط بمذهب أفلاطون في النفس الذي عليه بني فلسفته الخلقية .
ومع ذلك فن الإنصاف الإشارة إلى أن ابن رشد يخرج في مؤلفاته
النفسية والأخلاقية الأخرى عن العرف الذي درج عليه الفلاسفة ،
في باب جوهرية النفس وخلودها واستقلالها عن الجسد . فهو ينهج في
هذه المؤلفات بوجه عام نهجاً أرسطوطالياً واضحاً ، فينكر القضايا الثلاث الأنفة
الذكر ، ويسند إلى النفس القوى الخمس التي أسندها إليها أرسطو في كتاب
«النفس» : وهي الفاذية والحساسة والمتخيلة والناطقة والنزوعية . ويعتمد في تبويب
الفضائل في تلخيص كتاب الأخلاق خاصة ، النهج الأرسطوطالي ، فيقسمها إلى
قسمين رئيسيين هما : الفضائل الفكرية والفضائل الخلقية .

ويدرج في عداد الفضائل الخلقية الشجاعة والعفة والسخاء وكبر النفس
والتواضع والألفة والصدق والعدالة ، بينما يدرج في عداد الفضائل الفكرية الرئيسية
العقل الفطري (أي البديهة) والعلم اليقيني والتعقل والحكمة والصناعة ، على
غرار أرسطو ، وفي عداد الفضائل الفكرية الفرعية جودة الرأي (كما دعاها
الفارابي) ، وباللاتينية bona consultatio فجودة الظن (perspicacia) ،
فالروية (sententia) ، فصواب الظن (bona conjectatio) (٣١) . وهو
يرى أنها تدخل جميعاً في باب التعقل (phronesis) إلى حد ما ، ما دامت تدور
على معرفة الممكنات ، من أفعال إرادية وصناعية ، خلافاً للفضائل النظرية التي
تدور على معرفة الضروريات .

ولعله من المفيد أن نذكر أن عامة فلاسفة الأخلاق العرب توفروا على هذه
الفضائل الفكرية توفراً عظيماً . ولكنهم انقسموا في هذا الباب قسمين رئيسيين ،
قسم نسج على منوال أرسطو في الكتاب السادس من «الأخلاق النيقوماخية» ، كما
فعل الفارابي وابن رشد خاصة ، وقسم بني على أسس مشائية ورواقية متأخرة
تبويباً مختلفاً كل الاختلاف هذه الفضائل . ولا شك أن أشهر نموذج لهذا التبويب
هو الجدول الوارد في كتاب «تهذيب الأخلاق» لمسكويه ، الذي أخذ عنه عدد
من فلاسفة الأخلاق اللاحقين ، كالغزالي ونصير الدين الطوسي (توفي
١٢٧٤ م) ، وجلال الدين الدواني (توفي ١٥٠١ م) وسواهم . وخلافاً لكلا
الفارابي وابن رشد ، يدرج مسكويه في عداد الفضائل الواقعة تحت الحكمة : الذكاء
والذكر والتعقل وصفاء الذهن وجودة الفهم وسهولة التعلم (٣٢) .

وهذا الجدول قريب من بعض الجداول المشائية المتأخرة التي وردت بالعربية في
«مقالة في المدخل إلى علم الأخلاق غير منسوبة إلى واضع» ألحقت بترجمة «الأخلاق
النيقوماخية» المحفوظة في مكتبة القرويين ، كما مر . ويبدو أن هذه المقالة التي
تلخص مبادئ علم الأخلاق على الطريقة المشائية المتأخرة هي من وضع نيقولاوس
اللاذقي ، الذي عاش في القرن الرابع للميلاد ، على ما يرى المستشرق
دنلوب (٣٣) . وهي من هذه الناحية مصدر يوناني هام من مصادر الفكر الأخلاقي
العربي ، الذي لم يلتزم كل الالتزام بالخط الأرسطوطالي ، والذي تأثر بالإضافة إلى
ذلك بشرح فرفوريوس الصوري على كتاب «الأخلاق» ، وكتاب «الأخلاق»
لجالينوس .

- ٤ -

كانت مسألة السعادة هي المسألة الثانية الكبرى التي دارت عليها
المباحث الخلقية العربية . وهنا يتبين المرء أثر أرسطو بوضوح كبير أيضاً .
فالفضيلة إنما هي إحدى السبل المفضية إلى بلوغ الخير الإنساني الأسمى ، الذي رده
أرسطو إلى الإدراك النظري أو العقلي البحت ، وسخر له جميع الأفعال والخبرات
الأخرى من ثروة أو جاه أو كفاح عسكري ، أو نشاط سياسي واجتماعي (٣٤) . ومع
أن الفارابي كان قد تطرق إلى هذه المسألة في عدد من كتبه الإلهية والخلقية ، وانتهى
إلى أن سعادة الإنسان تكن في ضرب من الانصال بالعقل الفعال . فيبدو أنه قد

تردّد في هذا المقام بين الكمال السياسي والكمال النبوي، وكلاهما كمالان عمليان بالإصطلاح الأرسطوطالي. يؤيد ذلك ما ذكره ابن رشد في شرحه الكبير لكتاب «النفس»، من أن الفارابي أنكر الاتصال في شرحه «لنيقوماخيا»، معتبراً أن «العقل الفعّال ليس إلا العلة الفاعلة لنا وحسب»^(١٥)، كما يقول ابن رشد.

أما سلف ابن رشد الأندلسي، أبو بكر بن الصائغ (توفي ١١٣٨ م)، فلم يتردّد في باب اتصال الإنسان بالعقل الفعّال، وإن كان قد أنساه بشروط فائقة للطبيعة يدعوها أحياناً «معونة إلهية»، وأحياناً «إمكانات إلهية»^(١٦).

ويبدو أن ابن رشد أخذ برأي هذا السلف بادئ الأمر، ثم رجع عنه، كما يتبيّن من مقارنة نسختين مختلفتين من تلخيص كتاب «النفس»، هما نسخة القاهرة ونسخة مدريد. ففي نسخة القاهرة، وهي الأقدم، يقول ابن رشد في باب الاتصال على غرار ابن باجه: «إذا تامل كيف حال الإنسان في هذا الاتصال، ظهر أنه من أعاجيب الطبيعة»، وأنه «يوجد لسائر قوى النفس في تلك الحال من الدهش والبهت، وبالجملة من تعطل الأفعال الطبيعية ما يوجد، حتى يقال إنه قد عرج بأرواحهم. وهي بالجملة موهبة إلهية»^(١٧). إلا أنه يعود في نسخة مدريد عن هذا الرأي، لما انطوى عليه من فرضيات فائقة للعقل، مستدركاً: «وإنما هو أوّل من قاله أبو بكر ابن الصائغ، فغلطنا». ثم يحيل القارئ على شرحه الأكبر لكتاب النفس، الذي بيّن فيه حقيقة المسألة، كما يقول.

وحقيقة هذا الرأي، كما يتبيّن من شتى مؤلفاته، ولا سيما «رسالة الاتصال»، أن العقل الهولاني (وهو العقل الإنساني المنفعل)، إنما يخرج إلى حيّز الفعل حتى اتصل أو اتحد بالعقل الفعّال، وعندها يصبح عقلاً مستفاداً، أي إننا نستفيد من النظر في المعقولات بالفعل. ذلك أن العقل الهولاني ينظر إلى العقل الفعّال، فيعقله بعقل ناقص، هو العقل بالملكة، المتوسط بين الموجودات الهولانية وبين العقل الفعّال. فإذا عقله على التمام آخر الأمر، بات عقلاً مستفاداً. وهذا التأويل هو الذي اختاره الإسكندر الأفروديسي، كما يقول ابن رشد، ويذكر أنه «طريقة الحكم» (أي أرسطو)، وهي «في غاية الوثاقة»^(١٨).

أما تعريف ابن رشد للاتصال فلا يتخلو من طرافة، إذا قيس بتعاريف أسلافه، ومنهم ابن سينا. فهو يصفه في «رسالة الاتصال» بأنه «عبارة عن أن ندرك بالفعل شيئاً مجرداً بالكلية»، (أي خارجاً عن العقل بالملكة)، ماهيته أنه جوهر مفارق وأنه في نفسه عقل بالفعل، أي العقل الفعّال. أما في تعليقه على الفصل السابع من الكتاب العاشر من «الأخلاق»، فهو يكتفي على غرار أرسطو بالقول، إن موضوع الإدراك الأخير هو «التأمل في أفضل الأشياء»، وهي الأشياء الإلهية.

Et videtur isti potentia (sive intellectus) sit meditatio in melioribus rebus, et sunt res divine.

دون أي إشارة إلى العقل الفعّال.

وهذا التناقض يعكس، فيما نرى، تردّد ابن رشد بين مذهب أسلافه، أشباه ابن سينا وابن باجه، في مسألة الاتصال بالعقل الفعّال، بما انطوت عليه من متضمنات كوزمولوجية وإلهية مستمدة من الأفلاطونية الحديثة، وبين مذهب أرسطو الحق، كما فسره الإسكندر الأفروديسي خاصة، والذي لم يكن فيه متسع لوضع جوهر مفارق من هذا النوع، تنهي به سلسلة المفارقات التي تفيض عن الواحد.

وقد انتبه ابن رشد إلى هذا التناقض في بعض مؤلفاته. ففي المقالة الرابعة من «تلخيص ما بعد الطبيعة»، يتناول مسألة مبادئ الجواهر، فيقرّر أن هذه المبادئ، وهي الحركات للأفلاك أو الجواهر المفارقة، لا بد أن ترتقي، على الرغم من تعددها، إلى مبدأ واحد يتقدّم عليها جميعاً بالشرف والمرتبة، وهو العلة القصوى لها جميعاً. وماهية كل من هذه الجواهر عنده أن تدرك ذاتها دون سواها، على ما يرى أرسطو في كتاب اللام، الفصل ٩، ١٠٧٤ ب ١٥ الخ. إلا أنه لا ينكر،

خلافاً لأرسطو، أنها قد تدرك ما دونها من جزء كونها وإياه واحدة بالنوع، مختلفة بالشرف^(١٩).

ويقود ابن رشد الكلام على ترتيب الجواهر وتسلسلها إلى الأخذ بمذهب الصدور، على وجه يتناقض ما وضعه أرسطو من استقلال هذه الجواهر واحداً عن الآخر. إلا أنه أدرك الشبهات المختلفة التي تلحق بهذا المذهب. فهو يقول مثلاً، في باب ترتيب هذه الجواهر بعد الأول: «فليس بأيدينا في ذلك طريق يقيني»، وأنه إنما «أنزل الأمر على عادة المفسرين». ويردّف أن هذا المذهب (أي مذهب الصدور) قد يظن أنه مذهب ثامسطيوس وأفلاطون، وهو بالفعل «مذهب المحدثين من فلاسفة الإسلام، كأبي نصر وغيره». ويعتذر عن الأخذ به بقوله، أنه «أوثق البيانات التي اعتمدها في هذا المذهب»، وهو لا يخلو مع ذلك من خلل^(٢٠)، ثم يضي إلى القول إن العقل الفعّال هو من بين هذه الجواهر أقرب شيء من جوهرنا، ولذلك رأى قوم أنه يمكن أن تصوّر ذاته على كنهها، حتى نكون نحن هو»^(٢١).

وعلى الرغم من كل هذه التعقيدات، التي لم يكن ابن رشد غافلاً عنها، كما مرّ، يأخذ في «رسالة الاتصال» بالمذهب المعروف القائل بالتحاد العقل البشري بذلك الجوهر المفارق الذي يهيمن على عالم الكون والفساد، وإن كان قد علّكه على طريقته الخاصة، التي يبدو أنها طريقة الإسكندر الأفروديسي. فهو يذهب في تلك الرسالة إلى أن فعل العقل الفعّال الأخير هو إدراكه لذاته، فكانت منزلته من العقل الإنساني (أو الهولاني) بمنزلة الغاية، وكان إدراك العقل الفعّال، وهو عبارة عن العلوم أو المعقولات المجردة برمتها، نهاية طريق الإدراك البشري، وهو ما يدعى بالاتصال. ويلوِّغ هذه المرتبة من الإدراك عند ابن رشد هو سرّ السعادة والكمال اللذين ارتضاهما الله للإنسان، «أشرف الموجودات التي ههنا»^(٢٢).

من هنا يحقّ لنا أن نعتبر الخوض في مسألة الاتصال من القضايا الخلقية، وإن كان يبدو من ظاهرها أنها من القضايا المتصلة بنظرية المعرفة. فالفلاسفة العرب الذين تأثروا بالأفلاطونية الحديثة، إنما اعتبروا الترقّي في معارج العلم النظري المنضي آخر الأمر إلى الاتصال بالعقل الفعّال، سبيلاً من السبل المفضية إلى السعادة، وهي المطلب الخلقى الأخير عندهم وعند أرسطو. وعلى الرغم من تجاوزه عن مذهب الصدور الأفلاطوني المحدث في الإلهيات والكوزمولوجيا، فابن رشد لم يتحرّر من ريقته في مضمار الخلفيات ونظرية المعرفة، كما رأينا.

- ٥ -

ونغم هذه الكلمة بمقتطفات من «شرح كتاب الأخلاق»، أثبتنا الناسخ في حواشي كتاب «الأخلاق النيقوماخية»، الذي تشتمل عليه مخطوطة القرويين بفاس، رقم ٢٥٠٨/٨ و ٣٠٤٣/٨. وقد نشرها لورانس برهان في مجلة Oriens مجلد ٢٠ (١٩٦٧ م)، وقارنها بنظائرها في الترجمة العبرية والترجمة اللاتينية، «لشرح الأخلاق». ويبدو أنها البقايا الوحيدة من هذا الشرح في الأصل العربي.

ملحق

١ - «ويشبه أن يكون كل واحد من الناس، خصوصاً واضعو النواميس أنفسهم، يشهدون بهذه الأشياء، إذ كانوا يعاقبون من يفعل الرداءة حتى^(٢٣) لم يكن أت ذلك الفعل قسراً أو جهل به (و) لم يكن هو سببه، ويجلّون من يفعل الأمور الجميلة ليحطوا هؤلاء على هذا الفعل، ويدعوا عن ذلك الفعل». (حاشية على الأخلاق، الكتاب الثالث، ٥، ١١١٣ ب ٢١).

٢ - «وقد تقال الشجاعة على أصناف آخر غير هذه، هي خسة، الأولى المدنية، لأنه يشبه أن تكون أخصصها...»^(٢٤) وذلك أن أهل المدن يرون أن يصبروا على الشدائد، من أجل ما تأمر به النواميس، من العقوبات والهوان

والكرامات . ولذلك يظن بهم أنهم أشجع الناس ، من قبل أن أهل الجبن ذوو هوان وأهل الشجاعة ذوو كرامة » . (الكتاب الثالث ، ٨ ، ١١١٦ أ ١٦) .

٣ — « وهذه الشجاعة تشبه الشجاعة التي وصفناها أولاً ، لأنها إنما تكون من أجل الفضيلة ، إذ كانت إنما هي بسبب الحياة والشهوة للجميل اللذين هما الكرامة والهروب من العار ، إذ كان قبيحاً ولذا على أن يجعل الذين يضطربهم الرؤساء ويجربونهم على أن يجعلوا شيئاً في هذه المدينة ، وأخصهم من يفعل ما يفعله ، إذا جبر ، خوفاً لا حياءً أو هرباً من الشيء المؤذي ، لا القبيح » . (الكتاب الثالث ، ٨ ، ١١١٦ أ ٢٧) .

٤ — « والذين يأمرون بضرب من يهرب من الحرب يفعلون هذا الفعل بعينه ، والذين يفعلون ما يفعلونه أمام القبور (يعني أمام الحالة التي هي تؤدي إلى القبور ، أي أمام الموت) . فمن يشجع خوفاً من أن يموت إذا لم يشجع ، فليس بشجاع ، وما أشبه ذلك ، فإن هؤلاء كلهم يجربون الناس على الفعل » . (الكتاب الثالث ، ٨ ، ١١١٦ أ ٣٦) .

٥ — « وقد يوجد إنسان دون إنسان في شيء دون شيء بهذه الحال . فالجند يوجدون كذلك في الحروب ، لأنه قد يظن أن في الحرب أشياء كثيرة بديعة ، يقف عليها هؤلاء خاصة ، فيرون أنهم من أهل الشجاعة لما يمكنهم أن يفعلوه في الحرب . . . فيأمنوا ألا يصيبهم ما لا يعلمه^(٢٥) غيرهم » . (الكتاب الثالث ، ٨ ، ١١١٦ ب ٥) .

٦ — « فهم بمنزلة قوم متسلحين يقاتلون قوماً بلا سلاح ، وقوم ميزين^(٢٦) يقاتلون قوماً أغداً . وذلك أن في أمثال هذا ليس المبرز هو الأشجع ، لكن الذي هو أعلم بصناعة الحرب ، كما قد يكون المبرز في الحرب الأقوى والذي هيئته بدنه هيئة فاضلة . (كذا لخص القاضي هذا الفصل وفيه زيادة على ما في النص ، ويشبه أن يكون في النص نقص) . أي^(٢٧) في أمثال هذا الجهاد ليس المبرز في الحرب هو الأشجع ، لكن الأقوى والذي هيئته بدنه هيئة فاضلة » . (الكتاب الثالث ، ٨ ، ١١١٦ ب ١٢) .

٧ — « وقد يتخيل من أمر الجاهل بالشيء المفزع أنه شجاع ، وليس هو ببعيد من الطمع ، إلا أنه أخشى منه ، من قبل أن الطمع له أصل موضوع يعمل عليه ، وذلك ليس له . ولذلك يقف زماناً . . . فاما الذين يخرجون إلى الحرب بالخدعة ، فإنهم إذا علموا أو توهوا أن الذين يحاربونهم غير الذين قصدوا لحاربهم هربوا » . (الكتاب الثالث ، ٨ ، ١١١٧ أ ٢٢) .

٨ — « فأما الأشياء التي تجلب الصحة واعتدال الهيئة وهي لذيفة ، فإنه يشتهيها بمقدار معتدل وكما ينبغي . وسائر الأمور للذيفة الآخر ، إذا لم تعق^(٢٨) هذه . وأما سائر اللذات الآخر فيتركها . . . إما لأنها خارجة عن الجميل أو لأنها تعوق جوهراً » . (الكتاب الثالث ، ١١ ، ١١١٩ أ ١٦) .

٩ — « فلذلك ينبغي أن تكون بقدر وتكون قليلة ، وألا تضاد التمييز . فإن من كان بهذا الحال سمي منقاداً مغموماً . . . وكما أن الصبي ينبغي أن تكون شهواته بحسب ما يأمه المؤدب ، كذلك الجزء الشهواني ينبغي أن يكون بحسب ما يوجهه التمييز » . (الكتاب الثالث ، ١٢ ، ١١١٩ ب ١١) .

١٠ — « والتبذير والتقتير زيادة على التوسط ونقصان عنه في الأموال . ونحن نلزم أبداً التقتير الذين يعنون بجمع الأموال أكثر مما ينبغي ، وربما الزمانهم التبذير . وأما التبذير ، فإنما ننسبه إلى المهملين في الشهوات والذين ينفقون أموالهم في اللذات ، لأن أمثال هؤلاء هم الذين يسمون مبذرين . . . لأننا نسمي المهملين في الشهوات والذين ينفقون أموالهم في اللذات مبذرين » . (الكتاب الرابع ، ١ ، ١١١٩ ب ٢٦) .

١١ — « ولذلك نظن بهم أنهم أرى من غيرهم ، لأن معهم شرواً كثيرة ، معاً . فلذلك لا . . . يليق بهم هذا الاسم ، لأن من شأن المبذر أن يكون معه شر واحد ، أعني اتلاف ماله » . (الكتاب الرابع ، ١ ، ١١١٩ ب ٣٢) .

١٢ — « وأفعال الفضيلة جميلة ، وبسبب الجميل تفعل ، وفعلها صواب ، لأنها إنما تفعل لمن ينبغي أن يفعل به وبالمقدار الذي ينبغي وفي الوقت الذي ينبغي ، وفي جميع الأشياء التي تتبع البذل . وبالجمل ، فيفعل جميع الأشياء التي تتبع العدل الصحيح . . . وهو الظاهر ، لأن البذل الصحيح لائق بالكلام في السخاء . وإنما تقدم القول في الفضيلة بالجمل وعلى أن يفعلها باستلذاذ وغير تأذ ، لأن اللذيل بالفضيلة هو إما ألا يكون معه أذى ، أو يكون أذاه يسيراً » . (الكتاب الرابع ، ١ ، ١١٢٠ أ ٢٣) .

١٣ — « فحالة التبذير لا تكاد تجتمع ولا تدوم . . . لأنه ليس سهلاً على الإنسان أن يعطي كل واحد ولا يأخذ من أحد شيئاً » . (الكتاب الرابع ، ١ ، ١١٢١ أ ١٦) .

١٤ — « ولأنهم مع ذلك لا يهتمون بالأمر الجميل . . . قد تضيق صدورهم فيأخذون من كل موضع ينسج لهم ، وذلك أنهم يشتهون أن يعطوا . ولا يبالون من أين أو كيف يأخذون » . (الكتاب الرابع ، ١ ، ١١٢١ ب ١) .

١٥ — « وينبغي أن نتبع ذلك بصفة الكرم ، فإنه قد يظن به أنه فضيلة ما في المال ، وليست تشتمل مثل السخاء على جميع الأفعال التي تكون في الأموال . لكنه إنما يكون في الإنفاق فقط ، فإنه يفضل الحرية . . . في السخاء بكثرة ما ينفق وعظمه ، كما يدل اسمه في لغة اليونانيين ، فإنه يدل على نفقة واجبة في أمر عظيم » . (الكتاب الرابع ، ٢ ، ١١٢٢ أ ١٨) .

١٦ — « والعظيم من المضاف إلى الشيء . ولذلك كانت النفقة على الركب الكثير عظيمة بالإضافة إلى النفقة على الواجب . . . فإنه ليس النفقة على الركب الكبير والنفقة على الأراكنة^(٢٩) واحدة بعينها . والواجب في النفقة يكون بحسب المنفق والشيء الذي ينفق فيه » . (الكتاب الرابع ، ٢ ، ١١٢٢ أ ٢٣) .

١٧ — « ولذلك ليس هو ثلأباً ولا لأعدائه إلا عند الحاجة إلى التهديد وفي الأشياء الضرورية والأمور الصغار . وليس هوذا يطمع . . . لأن ذلك إنما هو من شأن من يجذ في طلب هذه الأشياء » . (الكتاب الرابع ، ٣ ، ١١٢٥ أ ٨) .

١٨ — « لأن ذلك لا يمكن أن يكون ، إذ كان الشر يفسد نفسه إذا اجتمعت أجزاؤه كلها أو كان غير محتمل فالغضب قد يسرع إليه الغضب مما لا ينبغي على ما لا ينبغي وأكثر مما ينبغي . وقد يسكن غضبهم بسرعة » . (الكتاب الرابع ، ٥ ، ١١٢٦ أ ١٢) .

١٩ — « ويين^(٣٠) أن المتخاسس . . . يقابل الصدوق ، لأنه دونه » . (الكتاب الخامس ، ٧ ، ١١٢٧ ب ٣١) .

٢٠ — « ومن أجل ذلك لا ندع أن يرأس إنسان بالكلية من أجل أنه يفعل ذلك لذاته ويصير متغلباً . وترى الناس يتحامون أن يرأس إنسان عليهم بالكلية من أجل أنه يصير متغلباً ويقتسم الخير لذاته أكثر وإنما الرئيس حافظ العدل » . (الكتاب الخامس ، ٦ ، ١١٣٤ أ ٣٥) .

٢١ — « فإذا كانت من الاختيار ، فحينئذ يقال فاعلمها لا عادل ولا شرير^(٣١) . ومن أجل ذلك لا يقضي^(٣٢) على التي (أي الأفعال) تكون من الغضب (فقد كان بعض القدماء لا يقضي على الذي يفعل بغضب فعلاً صاراً ويعذر الغاضب . . . من أجل أنه^(٣٣) ليس الابتداء من الذي يفعل بغضب ، بل من الذي يغضب » . (الكتاب الخامس ، ٨ ، ١١٣٥ ب ٢٥) .

وتجدر الإشارة إلى أن لورنس برمان يعدّ نشرة محققة للترجمة العبرية التي وضعها صاموئيل بن يهوذا المرسيلي.

راجع : L. V. Bermans Le Commentaire moyen d'Ibn Rushd sur l'Ethique à Nicomaque, Archives Juives, 13 (1977), mo. 2.

(٤) المصدر السابق، المجلد الثالث، وقد أعاد ترجمة هذا الكتاب إلى الإنكليزية والف

ليرنر. راجع : R. Lerner, Averroes on Plato's Republic, Ithaca and London, 1974.

(٥) راجع : Lerner, Averroes on the "Republic", pp. 3f.

وقارن : In Moralia Nicomachia (Aristotelis Opera Vol. III), foll. 20a f. and 160a f.

(٦) Lerner, Op. Cit., pp. 5 and 92.

(٧) راجع : In Moralia, ad I, 7 & Lerner, op. cit., p. 5. 7.

(٨) راجع : تلخيص كتاب النفس، القاهرة، ١٩٥٠م، ص ٩٩

قارن : In Moralia, ad I, 13.

(٩) راجع : كتاب النفس، الكتاب الثالث، ٤٣٢ أ ٢٣ الخ.

(١٠) راجع : Lerner, op. cit., pp. 7f.

(١١) راجع : In Moralia, ad VI, 3 - 7.

وقارن : الفارابي، فصول منتزعة، بيروت ١٩٧١م، ص ١٥٠.

(١٢) راجع : تهذيب الأخلاق، بيروت ١٩٦٦م، ص ١٩.

(١٣) راجع : A Greek Ethical Treatise, Oriens, 13 - 14 (1960), 35f.

(١٤) راجع : الأخلاق، الكتاب العاشر، فصل ٧ وقارن تعاليق ابن رشد.

(١٥) راجع : Comment. magnum in Aristotelis de anima, ed. F. St. Crawford, Cambridge, Mass., 1953. p. 433.

(١٦) راجع : رسالة الوداع، في رسائل ابن ساجه الإفريقية، بيروت، ١٩٦٨م،

ص ١٤١ وسواها.

(١٧) تلخيص كتاب النفس، ص ٩٥.

(١٨) تلخيص كتاب النفس، ملحق ٢ (هل يتصل بالعقل الهيولاني العقل الفعّال)،

ص ١٢٠ - ١٢١.

(١٩) تلخيص ما بعد الطبيعة، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ١٤٤، وما يلي.

(٢٠) المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٢١) تلخيص ما بعد الطبيعة، ص ١٤٥.

(٢٢) رسالة الاتصال، ص ١٢٢ وما يلي. وقارن تلخيص كتاب النفس، ص ٨٩.

(٢٣) في النص المنشور : من .

(٢٤) تشير هذه النقاط إلى عبارة الناسخ : «وكذا لخصه القاضي»، يعني أبا الوليد ابن

رشد، فأسقطناها.

(٢٥) في النص المنشور : يعمل، قارن الفقرة التالية.

(٢٦) في النص : مبرّزون .

(٢٧) في النص : أن .

(٢٨) في النص : تعتم .

(٢٩) في النص المنشور : الأمانة. ويبدو أن ابن رشد أراد اللفظة اليونانية المعربة للرؤساء

وهي التي اثبتناها أعلاه.

(٣٠) في النص : ويبتن .

(٣١) في النص : وشريبر. والتصحيح يلزم عن عبارة أرسطو .

(٣٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٣٤) في النص : فيها. والتصحيح يلزم عن عبارة أرسطو .

(٣٥) في النص المنشور : مجزّبات .

(٣٦) في النص : يؤكدون .

(٣٧) في النص : يؤكدون .

(٣٨) في النص : غافين . والتصحيح يلزم عن عبارة أرسطو .

(٣٩) في النص : الخليل. وقد اقترح الناسخ قراءة أخرى هي: الجليل، وهي التي تنفق مع

نصّ أرسطو .

(٤٠) في النص : يكون .

(٤١) في النص : الخير .

(٤٢) في النص : كثير أصدقاء .

٢٢ - «فالذين يضافون إلى هذه من أجل أنها تزيد على العدل، (يريد على القدر) الذي هو فيهم^(٣٤)، فليس نقول إنهم لا ضابطون بنوع مبسوط، بل نقول إنهم لا ضابطون، إذا زدنا وقتلنا لا ضابطون في الريح والكرامة والغضب . وأما بنوع مبسوط، فلا نقول ذلك». (الكتاب السابع، ٤، ١١٤٧ ب ٣١).

٢٣ - «وأما من أجل المنفعة واللذة، فقد يمكن أن يرضى الواحد بكثير، من أجل أن هؤلاء كثيرون ويكونون مجربين^(٣٥) في زمان قليل، وتحصل التجربة لهم^(٣٦) في زمان قليل» (الكتاب الثامن، ٦، ١١٥٨ أ ١٦).

٢٤ - «من أجل أنهم لا يطلبون ذوات لذة مع فضيلة، ولا ذوات منفعة من الأشياء الخفيرة، بل يشتهون الهين . . . (أي) التنقل لمكان اللذة ويريدون الذها لفعل ما يأمرون به . وهذه لا تكون كثيراً في الواحد بعينه». (الكتاب الثامن، ٦، ١١٥٨ أ ٣٠).

٢٥ - «وأما الذين يشتهون الكرامة من الذين هم ذوو استيهال ومعرفة، فإنهم يشتهون أن يؤكدوا^(٣٧) رأيهم فيهم، ويفرحون أنهم أحياء ويصدقون بقضية القتالين (ويتصدق المكرم لهم . فذلك إذ لا يكرم الأخير إلا الأخير) . وكذلك يفرحون بأن يحبوا، ومن أجل أن المحبة مختارة بذاتها». (الكتاب الثامن، ٨، ١١٥٩ أ ٢٢).

٢٦ - «ولذلك سمي أوميروش أغامخن^(٣٨) راعي الناس، والرياسة الأمثل هذه أيضاً، وإنما تختلف معظم المنافع، فإنه يظن به (أي الأب) أنه علة لأنية الأولاد . . . والكون والتربة والأدب». (الكتاب الثامن، ١١، ١١٦١ أ ١٤).

٢٧ - «واجتماع التربة أيضاً كثير الموافقة في المحبة وكذلك اجتماع الجبل^(٣٩) . . . يمكن واحد، فإن القرين يحب قرينه والخلطاء أصحاب». (الكتاب الثامن، ١٢، ١١٦١ ب ٣٣).

٢٨ - «ولما كانت المحبات على ثلاثة أنواع، كما قيل في الابتداء، وكان في كل واحدة منها بعض الأصدقاء بالتساوي . وبعضهم بالزيادة، فإن الأخير يكونون أصدقاء بالسوية . ولا بأسقاط لا، لخصه القاضي، ويحتمل هذا المعنى ما تقدم من أن صداقة اللذة والمنفعة تكون بين الأردى والأجود، وبين الذين هم لا أرباء بالجملة ولا أخياراً بالجملة، وإذا ثبت لا يكون المعنى أن الأجود لا يكون صديقاً للأردى، أي لا تكون الصداقة ولا اللذة متساوية، يكون الأجود صديقاً للأردى، ويكونون^(٤٠) أيضاً ملتذين ويكونون متساوين في الصداقات، لمكان المنفعة ومختلفين أيضاً». (الكتاب الثامن، ١٣، ١١٦٢ أ ٣٤).

٢٩ - «فإن الأجود يرى أنه ينبغي أن يكون له الأكثر من أجل أنه ينبغي أن يعطى الأكثر للخير^(٤١) . وكذلك يرى أنه أنفع . ولا يزعمون أنه ينبغي أن يكون للردى أسوة بما لهم . ولا يزعم أحد أنه ينبغي أن يكون مساوياً للفاضل . . . وأن أمور المحبة إن لم تكن على قدر استيهال الأفعال، يظن بها أنها تكون خدمة لا محبة». (الكتاب الثامن، ١٤، ١١٦٣ أ ٢٦).

٣٠ - «وقد يمكن أن يكون هذا في الأشياء أيضاً، فإنه لا يكون أصدقاء كثير^(٤٢) في الصداقة الصحابية التامة . . . وأما التي تتقدم بالشرف، فيقال إنها في اثنين». (الكتاب التاسع، ١٠، ١١٧١ أ ١٣).

الهوامش

(١) راجع : Harry A. Wolfson, Revised Plan..., Speculum 38 (1963), 90f.

(٢) راجع : ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، ١٩٦٥م،

ص ٥٣٢.

ويبقى

مقدرة عليها كما قدرت على شاعرها؟

البدايات

كانت البدايات الجميلة والمحاولات الفنية الكثيرة، والحرية المطلقة. كان القول طلقاً والتعبير عذرياً، فواحاً. كان الشعر إرضاءً لرغبات إنسانية كثيرة، كان كلاماً مرصوفاً متصللاً، لا نمطية ولا شكلية معينة، وكانت له بالضرورة فنية وجمالية ليست عند الكلام الشائع

المألوف. في هذه الحالة تتحد هذه التشكلات الجديدة لتؤدي غاية الارضاء عن طريق الغناء. وليس كل قول غنائياً، بل هناك عناصر كثيرة يجب أن تتوفر في الكلام المعنى منها، العاطفة الصادقة القوية،

والنغم الموسيقي الناجم عن أشكال تركيبية كثيرة ومختلفة: مثل الاعتماد على السجع والفواصل التي تقوم على مقاطع كلامية، لها امتداد زمني معين. على هذا المرمى الجديد، كانت اللغة بكرة،

والإنسان بدائياً يطرب لأي وقع خارجي، ولأي صوت غنائي، لأنه إلى جانب ذلك يعاني من أبسط الأمور. فتراكمت اللغة عليه، استهلكته ولم يستهلكها، فأصبحت تموج بصيغ مختلفة وألوان متعددة. كل صيغة تحتوي على نمط موسيقي معين مرتبط بإحساس معين، معبر عن تجربة معينة تترك أثراً مصبوغاً بلون عاطفي مختلف، فينشأ كلام جديد، نستطيع أن نقول عنه شعراً، يرتبط بالإحساس العام والمشاعر الإنسانية المشتركة.

في الزمن الطفولي هذه المرحلة الشعرية تكون المعاناة كبيرة، والعاطفة غزيرة جداً، والحرية مطلقة حيث لا نماذج، لا قوانين، لا

مذاهب، لا سلفية، ولا عرف ولا عادة. إنها البداية، وكل بداية ابداع جميل، ودهشة ورعشة: إنها ولادة الأشياء في زمن لا تعرف الأشياء نمواً ولا الحجر حركة. زمن يولد فيه ولا يموت فيه شيء.

ويبقى الشعر ما بقي الإنسان، الإنسان الذي اهتز وارتعش واندهش، ورأى وأحس ما لم يره ويحسه من قبل؛ وقال ما لم يقله من قبل، لأنه دخل أرضاً جديدة وزمناً شعرياً جديداً، وغرّ واقعاً مملاً وجواً قائماً مخيفاً، فانتسعت الأفاق وغلقت الكون والحياة رؤيا جديدة. واتحدت جميع العناصر المبدعة على اصطناع صياغة لفظية، جميلة، فريدة، تحمل في داخلها أسرار جهازا واستمرارها. كلما سمعت أدهشت وأراحت الإنسان في كل حقبة تاريخية، هذا الكلام يبقى خارج الزمان، يخضع لقوانين الغناء.

الزمن الشعري الأول

إن الجمال الكامن في صياغة التعبيرات الجديدة لا أول له ولا نهاية، ولا يرتبط بمفاهيم سائدة ومقاييس مادية ونسبية وبيئية وتاريخية. وبخاصة إن هذا النوع من الجمال - جمال القول - له سبيل إلى الإنسان عن طريق السماع، وإن تدخلت بعض الملكات التي لم تكن أصلاً. وهذا له أهمية في العودة إلى الزمن الشعري الأول، وفي تلخيص الطريقتين الصحيحة، ممسكين بالخيط التي توصلنا إلى كنه العمل الفني والغوص في داخله وكشف الممكن من أسرارها، وإظهار بعض خصائصه ومميزاته، ولا نقول وضع قوانين له لأنه من المستحيل والخطأ معاً أن نفعل ذلك، وإن قلنا بذلك جهلاً فنكون قد وقعنا بما وقع به النقاد القدماء، الذين ساهموا في قتل الإبداع عند الأجيال التي نشأت في مدارسهم ومؤسستهم.

إن الشاعر يقتحم المجهول دائماً، ويكتشف ويرسم ويرمي شبكته على آفاق الأفاق، فتعود بقصيدة شاملة، كونية، فيها أساطير الأولين وأحلام الطامعين وأسرار المجهول الآتي، ومعاناة الشرق الحزين.

إن القصيدة موقف من الوجود القائم والزمن المتغير. هي النغم الكوني السرمدي ودهشة الطفل الدائمة. فمن أين بدأت هذه القصيدة؟ وكيف نمت وترعرعت؟ وهل تحتفظ بأسرار البقاء؟ أم هي تعيش دورة

النشعر

بقلم : د. عبد الحميد جيدة

القصيدة العمودية

من هذا الزمن الشعري الأول ولدت القصيدة العمودية عملاً فريداً مبدعاً، أحدثها شاعر عظيم أو تطورت تطوراً زمنياً حتى وصلت إلى هذه الجمالية الرائعة على أيدي شعراء مبدعين. إن القصيدة العربية في العصر الجاهلي كانت في قمة هندستها الفنية، ونحن نجهل تاريخية نموها وتطورها، كما أننا نجهل جميع الأنواع الأدبية والأسلوبية القديمة في الزمن الشعري الأول. إن هذا النوع من الشعر الذي أدهش الناس في ذلك الوقت، هو الشعر الذي نسميه الآن الشعر التقليدي. لقد انصبت جميع قرائح الشعراء في هذا الاتجاه الفني، في هذا الغالب الجديد، النموذج الحي، الفريد، المدهش الذي أحدث خلخلة في الثقافة السائدة في زمنه، وقضى على باقي النماذج المتداولة. لقد كان خروجاً كلياً على المألوف المتداول، واصطنع لغته الشعرية الجديدة وتعابيره الجديدة وصياغته المختلفة. في هذا المجال تفتاوت أعمال الشعراء. الكل يكتبون شكلية القصيدة الجديدة ويقلدونها، من الوقوف على الطلل، مروراً بوصف الرحلة، حتى الوصول إلى الموضوع الرئيسي.

ولكن الحكم النقدي على شعرية هذه القصيدة كان ضعيفاً. في جميع مراحل القصيدة العربية، منذ الجاهلية حتى العصر الحديث، سموا كل نظم شعراً وأطلقوا على صاحبه لفظة شاعر، وانضم إلى قافلة الشعراء وارتبط بمؤسسات معينة يدافع عنها وعليها رزقه. وهذا مخالف للبدائيات، لأن الشعر لا يوظف ولا يخضع لقوانين علمية حتى يكتشف، لأنه ليس موجوداً في الواقع. بل إنه عملية ذاتية، مبتكرة، مبدعة، وهنا تكن عظمة الإنسان في صياغة بيت من الشعر وليس في كشف قانون طبيعي موجود أصلاً.

ما هو البيت الشعري؟ إنه صنع تعبير جديد يرسم أفقاً إنسانياً جديداً. يغير واقعاً بواقع، يتخلى عن شيء ليتبنى شيئاً آخر. إن اللغة الشعرية في هذه الحالة تخلق نفسها بنفسها بوعي حقيقي

من الشاعر، وتأخذ شكلاً جديداً، وهنا يكون الشعر خالداً بمعنى أنه خرق للواقع وزمنه. وعلى الرغم من إدراك هذا الكلام من بعض القدماء فقد سادت نمطية هذه القصيدة الجديدة، وأفرغوا فيها جميع نشاطاتهم الفكرية والعاطفية والعلمية حتى أصبحت فيما بعد ميداناً لتدوين الأحداث وأيام العرب واللغة والنحو والفلسفة والحساب والتنجم. وهذا ما أدى بالنهاية إلى قتل روح الشعر نهائياً اللهم إلا بعض الأبيات المتناثرة في قصائد الغزليين بصورة عامة. وفي رأينا، لقد استهلك القصيدة العربية في العصر الجاهلي، حتى رأينا الصور المادية تهيمن على جميع الشعر الجاهلي، وقلما نرى صوراً معنوية. وأصبحت القصائد متشابهة أسلوباً ومضموناً، وتحول الشعراء إلى بنائين ينقلون عن خارطة واحدة للمصمم الأول، المبدع الأول. فله الخلود وهم السقوط، له الشعر وهم التقليد والنظم.

ظلت الحالة الفنية راكدة حتى جاء القرآن الكريم. فكان حدثاً رائعاً، مبدعاً، مدهشاً لم يسمع العرب مثله آنذاك. وكانت الآراء مختلفة فيه «يوم نزوله» وبإمكاننا أن نصنف هذه الآراء على الوجه الآتي:

- ١ - كلام غريب لم يسمعو مثله من قبل.
- ٢ - شعر وصاحبه شاعر عظيم.
- ٣ - إنه كلام الله (المثل الأعلى عند العرب).
- ٤ - قالوا عن الرسول ساحر، لأن كلامه يأخذ بالألباب.
- ٥ - ليس الرسول شاعراً ولا ساحراً.
- ٦ - إن من البيان لسحراً.

ما يهمنا هنا هو الناحية الفنية. إن الذين أطلقوا عليه شعراً كانوا فئة تهتم بالشعر وتعرف أسرارها الحقيقية، طربت له وشعرت بروعة جمالية خارقة، وأحدث عندها هزة كبيرة. لأن فكرة الشعر كانت مرتبطة عندهم بالغيب. والمهم هنا أن الذوق العربي تقبل القرآن الكريم وأندھش له واعتبره شعراً على رغم وجود شكلية القصيدة المتبعة التي

الزمن الشعري الرابع

إن تبشير هذا الشعر الجديد بدأت مع شعراء القرن العشرين من الرومانطيين والرمزيين العرب .

وبذلك استهلوا الزمن الشعري الرابع الذي لم تكتمل ملاحه بعد . إن الشاعر الجديد يدخل منطقة الرفض المطلق والمستمر على صعيد اللغة والتجربة والرؤيا . الشاعر المبدع يكون في حالة توتر دائم مستنفراً جميع ملكاته الإنسانية . وإذا لم تكن التجربة الخارجية قادرة على بعث الكوامن الدفينة يلجأ الشاعر إلى عالم الذاكرة ، لأنه لا يبقى فيها إلا ومضات قديمة وحيمة تضيء عالم الخارج . من ضباب الذاكرة تخرج إشعاعات ولعان يشير إلى تجارب قديمة مرتبطة بحياة الإنسان . في هذه الحالة تكون الذات والموضوع في الداخل ، وتكون ملكات الشاعر الإبداعية في أقصى سلبيتها أي أنها لا تتلقى بل تعطي من الداخل وإلى الداخل . هذا ما يحدث خلال العملية الإبداعية . أن يكون الشاعر قطباً سالباً لا يتلقى أي تدخل خارجي ، بل يلتف على المنطقة الحافلة بأعلى حميمياته يستولدها أثر التجربة ، لينثره علينا بعد ذلك على شكل قصيدة مختلفة عن كل القصائد وكل الأشكال الأخرى . هذا ما نرى تبشيره في هذا الزمن الشعري الرابع ، الذي نحياه الآن والذي لم ينته بعد ، فلما زلنا في البدايات :

١ - لقد أصبحت الصورة الشعرية كثيرة الغموض ، متشابهة ، متلاحقة مرتبطة بخيط واحد على ضوءه يفسر الغموض . هذا الخيط هو ذات الشاعر .

٢ - لم تعد القصيدة تنقل معانٍ مباشرة ولا تفسر تفسيراً عادياً (بيتاً بيتاً) ، بل أصبحت ترسم أفقاً بل آفاقاً . فالقصيدة تقرأ كلها دفعة واحدة ، وتترك أثراً جمالياً يوحى ويدل إلى أسرارها ومعانيها .

٣ - اللغة الشعرية صارت جديدة ومتجددة :

أ - على صعيد اللفظة : يأتي الشاعر بألفاظ جديدة واشتقاقات جديدة تعرضها عبقرية الشاعر بما يتلاءم مع جو القصيدة العام . ولم تعد الألفاظ منفردة تفسر كل على حدة ، بل توحدت ، وتزاوجت .

ب - على صعيد التعبير : صار الشاعر يلعب بالكلمات لايجاد صياغة جديدة . وهذا ما يميز شاعراً عن آخر . وتكن عظمة الشاعر في صياغته المبدعة التي هي هويته وصوته . لأنه أصبح لكل شاعر رموزه الخاصة المرتبطة به ، بتجربته ، وبصياغته التي تحمل أسرار وجوده ورؤياه إلى الكون والحياة . ليست الصيغ القديمة ناتجة عن مواقف الشعراء القدماء وطريقة تفكيرهم وإحساسهم ومشاعرهم الصادقة ورؤياهم النافذة ، بل كانت مرتبطة بثقافة معينة وظروف ذاتية وموضوعية معينة ، فلا يجوز أن تكون قوالب تحدد فيها طرق تفكير الأجيال القادمة وتقتن فيها

يختلف عنها شكل الأسلوب القرآني اختلافاً جذرياً . وهذا رد عليهم القرآن بأنه ليس شعراً ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .

والقرآن وحي ونبوءة . وإذا اعتبرنا الشعر كشفاً والشاعر عَرَّافاً يكشف الأفاق ويتوغل في أبعاد المجهول ، وفي أعماق النفس الإنسانية ، فإن القرآن الكريم ، من الناحية الفنية ، هو أسلوب يختلف عن فنية القصيدة السائدة . هو أسلوب خالد لأنه يكتسب في كل لحظة رونقاً وجمالاً ، لأننا في كل آن نكتشف فيه أشياء جديدة ، فكلمها غصنا في أعماقه عدنا بالكنوز النفيسة التي تشهد بعظمة الخالق . هو أسلوب تخطى حواجز الزمن واحتل الأبدية .

نستنتج من ذلك أنه ليست كتابة كل قصيدة شعراً ، ربما تكون أو لا تكون . وما من شيء يمنع وجود شكل آخر يكون هو الشعر . وما يهمنا أن القرآن الكريم أحدث منهجاً على مختلف الأصعدة والمجالات الإنسانية ، ومن بينها المجال الفني والأدبي . خلال هذا المنهج أو هذه المعجزة التي هزت كل القيم السائدة قبلها ، خُفَّتْ صوت الشعر بعض الشيء ، وأخذت اللغة الشعرية تحزن المفردات والتعابير الجديدة ، زادت لإبداعية الآتين . ولا يمكننا أن نسمي هذا الزمن زمناً شعرياً لأن القرآن ليس شعراً بل وحياً يوحى ، ولذا فليكن هذا الزمن هو « زمن الوحي » . في هذا الزمن أصبح القرآن الكريم هو مصدر الإشعاع ، وصارت مفرداته ، وتعابير ، وعباراته ، وأصاليه ، نقاطاً مضيئة عبر العصور ، ومنهلاً لا ينضب نعود إليه دائماً نستلهمه ، نستنجد به ، نستمد منه روح التجديد والابداع .

الزمن الشعري الثالث

أما الزمن الشعري الثالث فكان زمن التقليد والتقيد . وإن كان ثمة تجديد فهو في التجربة ، ولكن ظلت قاشة الشوب الشعري ذات لون واحد وشكل واحد ، وصارت اللغة الشعرية مسطحة ، مستهلكة ومستهلكة . إن معظم القصائد التي كتبت في هذا الزمن كانت امتداداً متخفاً لنهايات الزمن الشعري الأول . ونحن لا ننكر وجود بشائر عند بعض الصوفيين والغزليين والخارجين على السلطة ، ولكن ذلك لم يكن سوى لمحات تجديدية ، وكما قلنا فإن ذلك كان من حيث التجربة لا الصياغة ، وقد تولدت عند بعض الشعراء صياغات جديدة ، لكن ما أحوجنا إلى خطوة إبداعية تنقلنا وتنشئنا من الرقابة الشعرية التي وقع فيها شعراء هذا الزمن .

إن الشعر الذي اصطلح على تسميته بالشعر التقليدي ينقل التجربة مباشرة بلغة مكشوفة ومعنى مرسوم بسهولة ، بينما الشعر العظيم الجديد هو رؤيا للكون والوجود وينقل أثر التجربة المباشر .

قصائدهم . إن الأمة التي تجتري تعابيرها وصيغ أسلافها تكون أمة استهلاكية وغير منتجة . من هنا يجب أن نحدد موقفنا من التراث الذي تربطنا به اللغة العربية باستمرار :

١ - عدم استهلاك التراث واجتراره .

٢ - الارتباط بروح العصر .

٣ - الإيمان بالتطور الدائم .

٤ - الاعتماد على الذات المميزة و« الأنا » الأسطورية .

٥ - ارتباط الحركة الإبداعية بالتراث .

وهذا يتم من معرفة القديم كله بجميع أشكاله واتجاهاته ، ومعرفة الجديد كله ، منابعه ، ومذاهبه ، وروافده . أن لا نكون أوروبيين كلياً ولا تراثيين كلياً ، وإنما أن نكون شخصية إبداعية فريدة ، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق الوعي الثقافي التام . أن أعرف موقعي وما يحيطه . ليس من المعقول لمن يدرس التراث دراسة واعية أن ينسلخ عنه نهائياً ، مهما كان داعياً إلى التجديد . إن التجاوز لا يكون اعتباطياً ولا دعوة مجانبة ، ولا حتى بنقد التراث ورؤية مثالية . إن التجاوز أن توجد نموذجاً إبداعياً جديداً مغايراً للنموذج القائم ، وأن نتخطاه سياسياً بكل ما تحمله هذه الكلمة من مدلولات فلسفية .

لا إبداع في ظل النموذج القائم في أي زمان ومكان ، ولا تفتح في ظل المناهج الفلسفية والقوانين الفكرية الثابتة . لكي نكون أحراراً مولدين لنا علينا إلا الإبحار لكشف أسرار الطبيعة ومجاهل النفس البشرية . إن أصحاب النماذج عباقرة ، يجب أن يكونوا هم نماذج لنا وليس إنتاجهم ، أن نحذو حذوهم ، أن نقرأ أعمالهم ونخرج منها لنبدع ونحقق شيئاً آخر . في هذه الحالة نخلق زمناً ثقافياً متحرراً تدعه الجماعة لا الفرد . على صعيد الشعر نحقق زمناً شعرياً جديداً ، زمناً تتجلى فيه الاتجاهات المستقبلية ، إن الشعر إضافة إلى النموذج السابق لأن هذا النموذج الجديد إن أصبح فله القدم .

الدعوة إلى التجديد

إن الدعوة إلى التجديد في الشعر ليست سيفاً يقطع عنق القدماء المبدعين ، وليست ماء الحياة لهم ، ولا استراحة المعاصرين ولا شفاء الآتين . إن الشعر الحقيقي تاريخ لألوان ، لعواطف ولصور الجبال ، ورسم للأحلام ، وموقف من العالم والوجود ، وإحساس بالزمن يتخطى الواقع باستمرار . وهنا يخلد الشعر أكثر من الفلسفة والعلوم . إن

الشعر طاقة حيائية باقية مدى الزمان ، ولا تلغى أو ترمى ما دام الإنسان موجوداً ، ولو انقطع تاريخه الفني ، فإنه يستطيع أن يبتدع تاريخاً فنياً جديداً ويشبع جوعه الجمالي . بينما العلوم على النقيض من ذلك ، إنها أسس موضوعة سلفاً وعلى العالم أن يكتشفها ، ويتصل بتاريخية علمه باستمرار . في العلوم تنفي نظريةً نظريةً وبلغى قانوناً قانوناً آخر . وكذلك الفلسفات والعلوم الأخرى كلها تتغير وتتبدل تبعاً للاكتشافات الجديدة ، أو لمتطلبات العصر وحاجيات المجتمع ، أو لارتباطها بعوامل اقتصادية وسياسية معينة . بينما الشعر يبقى شعراً من حيث فنيته وجماليته في كل زمان ومكان ؛ منذ امرئ القيس حتى اليوم ، مرت أزمنة من الشعر وبقي الشاعر هو الذي يحدد ويبدع زمناً شعرياً نموذجياً .

ومن الظلم كل الظلم أن ننزل في الزمن الشعري الحديث بأدوات نقدية كزمن ماضٍ . علينا أن ندخل إلى العمل الشعري متجردين ، ونخرج منه متشحين بانفعالات وانطباعات مصدرها ذات الشاعر . وهذا لا يتم إلا عندما تتوفر لدينا مادة شعرية ضخمة تستكمل شروطها الفنية وتبرز مميزاتا وخصائصها المتغيرة ، وهذا لا يتم إلا ما قيس بالشعر الكلاسيكي . فإن الفراهيدي ، على سبيل المثال لا الحصر ، استنبط القوانين الموسيقية للقصيدة العربية بعدما وضع بين يديه معظم الشعر العربي على امتداد تاريخه . هنا تكمن العلاقة بين العلم والشعر ، هو أن نستخدم روح العلم في كشف مواطن الجمال في الفن . بينما تنبع الاهتمامات الجمالية اهتمامات ذاتية تحملنا على تحقيق طموحاتنا وتزويدنا تعلقاً بالحياة والمستقبل وتغير قوانين الأشياء وما وجدت لأجله في الطبيعة . إن الأشياء صارت نماذج جمالية مرتبطة بالإحساس الداخلي عند الإنسان الذي يشعر بالجوع الجمالي ، كذلك الشعر كقيمة جمالية مرتبط ببناء الإنسان ذاته ، مرتبط بحركته ، برؤياه ، بداخله ، بماضيه ومستقبله ، باهتماماته المتواصلة ، بملكاته الإنسانية .

في البداية كان الشعر ضرورة جميلة هي الإفضاء . فأصبحت الضرورة فيما بعد غاية جمالية إلى جانب كونها ضرورة حياتية . فيكون التطور الشعري متحداً اتحاداً كلياً بين ما كان وسيكون ، بين المادة والجمال ، بين الكلام والشعر ، بين الشكل والمضمون .

من اللغة تخلق اللغة ومن الشعر يولد الشعر . ويبقى الإنسان مزوداً بطاقة روحية وقوى إبداعية خلاقة لا علاقة سببية لها من الخارج ، بقدر ما تحركها وتفجرها من الداخل ملكات كثيرة مرتبطة بأعماق الذات الإنسانية الفنية حيث يستوطن الشعور بالجمال والإحساس الكلي الذي يوحد الأشياء ويحدد علاقتها الكونية ، حيث تتفي بالضرورة الأسباب والعلل ، وتحتفي التناقضات . وتزول أكاذيب التاريخ ومهزلة الفلسفة .

أصبح الآن من نافلة القول ، التحدث عن التأثير العظيم
الواسع الذي أحدثته الحضارة العربية الإسلامية في المدنية
العالمية الراهنة ، وذلك بعد أن ثبت بالأدلة الكثيرة القاطعة

بأن المقومات الأساسية التي قامت عليها المدنية الحاضرة ، إنما
كانت منذ ظهورها مقومات لها جذورها العربية الإسلامية
العميقة ، وأن الفكر العربي الإسلامي كان من مصادرها
الرئيسية .

الغربيون

وتقييم الحضارة

ومع اكتشاف هذه الحقيقة الباهرة ، التي لم يعد مستطاعاً حجبها ، أو
عدم الاهتمام بها ، وذلك بفضل البحوث والدراسات الموسعة التي أجريت
في السنوات الأخيرة ، لما تم جمعه من المخطوطات العربية النفيسة في شتى
أنواع العلوم ، في مختلف المعاهد العلمية في العالم ، مع ذلك كله فما يزال
يوجد حتى الآن كثير من أرباب الفكر ، والسياسة ، والاقتصاد في عالم
الغرب ، ممن يحاولون أن يمحذوا فضل الحضارة العربية الإسلامية على
الغرب ، ويزعمون بأن المدنية العالمية الحاضرة ، هي مدنية غربية في
أصولها وفي تطورها .

ومنذ أن اتجه الغربيون إلى البحث والتدوين إبان عصر النهضة
الأوروبية ، بل قبله بسنين طويلة ، أخذوا يتغاضون عمداً عن ذكر كل أثر
من آثار الحضارة العربية الإسلامية دخل في حياتهم العامة ، وطور أسس
تفكيرهم ، وراحوا يحاولون طمس حقائق هذا التأثير العربي الإسلامي ،
ونكران فضله في التقدم والازدهار الذي أصابته أوروبا على مر العصور .

على أن هذا التنكر المتعمد للحضارة العربية الإسلامية ، ولما كان لها
من نفوذ في نهضة أوروبا وتقدمها لم يدم طويلاً . فما لبث المنصفون من
العلماء والمفكرين والمؤرخين الغربيين أن شرعوا يتحدثون بكل صدق عن
التطور الكبير الذي أحدثته الحضارة العربية الإسلامية في الحياة الأوروبية ،

وكيف أن هذه الحضارة قد هزت أوروبا هزاً عنيفاً ، وأيقظتها من السبات
العميق الذي كانت تغط فيه ، وفتحت أمامها مجالات التقدم والنهوض .

بدايات الاعتراف بالحق

بدأت أوائل الكتب التي تتحدث عن عظمة العرب والمسلمين ، وما

أحدثوه من تأثير واسع في أوروبا ، بالظهور في أعقاب الحروب
الصليبية التي استغلت فيها أوروبا ذلك التمزق الشنيع الذي أصاب
العالم الإسلامي ، وانقسامه إلى دويلات ضعيفة متطاحنة فيما بينها ، والذي
رمت من ورائه إلى بسط سلطانها على العالم الإسلامي ، واحتكار ثرواته
وكنوزه .

ولقد كان من أهم الكتب التي صدرت في تلك الفترة هو الكتاب
الذي أصدره «وليم» أسقف مدينة «صور» اللبنانية بعنوان [تأريخ
الأمراء المسلمين منذ ظهور محمد] . غير أن هذا الكتاب الذي
صدر في أجزاء عديدة ، قد ضاع بعد صدوره ، ولم تبق منه سوى بضعة
أجزاء دخلت ضمن كتاب آخر أصدره «وليم الطرابلسي» سنة
١٢٧٣ م ، بعنوان [بحث في حال العرب] .

على أن أقدم وأهم مؤلف صدر في الغرب كله ، وتحدث
بصدق واسهاب عن الحضارة العربية الإسلامية ، وتأثيرها على
أوروبا ، هو الكتاب الذي أصدره المستشرق الإنكليزي
«سيمون أوكلي» [١٦٧٨ - ١٧٢٠ م] بعنوان (تأريخ
المسلمين) .

كان «أوكلي» قد ولد سنة ١٦٧٨ م ، في مدينة «اكستر» بمقاطعة
«ديفون» في إنكلترا ، وقد درس في جامعة «كمبرج» ، وحذق
العديد من اللغات الشرقية ، وعلى رأسها اللغة العربية .

ولقد استطاع «أوكلي» في سنة ١٧٠٨ م أن ينشر أول كتاب عربي له
أهميته في تأريخ الدراسات العربية ، هو إخراج ترجمته إنكليزية لكتاب



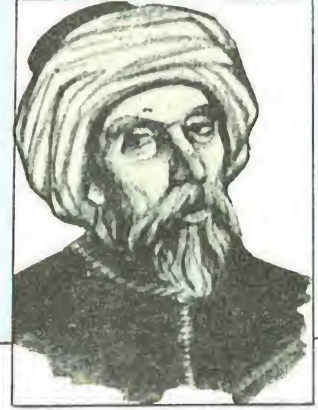
★ النبي ★



★ ابن خلدون ★



★ ابن سينا ★



★ الادريسي ★

العربية الإسلامية

بقلم : سليم طه التكريتي

عظماء الرجال ، وجلال الأعمال ، مثلما كان لأية أمة أخرى
تظللها السماء» .

وفي هذه المقدمة ينحي «أوكل» باللائمة على مؤرخي أوروبا الذين
أهملوا تاريخ العرب ، وهو جزء مهم من تاريخ المجد الإنساني ، ويؤكد
بأن هؤلاء المؤرخين قد دفعهم التعصب الأعمى إلى تشويه التاريخ
العربي ، وأنه لهذا السبب نذر نفسه لكي يحو ذلك العدوان الصارخ
على الأمة العربية ومدنيتها .

وعلى الرغم من الإهمال الذي لقيه الجزء الأول من كتاب «تاريخ
المسلمين» من لدن عامة الإنكليز ، وعدم تصديقهم لما أورده فيه من
حقائق ، فقد استطاع مؤلفه - رغم الضائقة المالية الحادة التي حلت به ،
والحكم عليه بالسجن لعجزه عن تسديد الديون التي تراكمت بزمته - أن
ينشر الجزء الثاني من كتابه الخطير هذا سنة ١٧١٨ م ، وقبل مرور سنتين
من وفاته في اليوم التاسع من شهر آب (أغسطس) سنة ١٧٢٠ م .

ولقد بقي كتاب «أوكل» هذا هو المرجع الوحيد عن تاريخ العرب
والمسلمين ليس في إنكلترا فحسب ، بل في أوروبا كلها طيلة قرن كامل ،
وأعيد طبعه عدة مرات ، ولم يدان في أهميته أي كتاب آخر صدر في
الغرب في تلك الأيام .

جهود هانز بروتس

وتولى أحد العلماء الألمان في أواخر القرن التاسع عشر التحديث

«حي بن يقظان» الذي وضعه الفيلسوف العربي الشهير «ابن
طفيل» . وكان المستشرق الإنكليزي المعروف «إدورد بوكوك»
الأصغر قد نشر النص العربي لهذا الكتاب ، مع ترجمة لاتينية له في سنة
١٦٧١ م .

على أن جهود «أوكل» ما لبثت أن انصرفت بعد ذلك ، إلى تأليف
كتاب شامل يتحدث فيه عن تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام ، معتمداً
في ذلك على ما استطاع جمعه من المصادر بلغات مختلفة ، ولا سيما المصادر
العربية القديمة التي يوثق بها ، ومتحلياً في هذا بروح النزاهة العلمية في
الدرجة الأولى .

ولقد وصف «أوكل» متاعبه في تأليف هذا الكتاب ، وذلك في
رسالة بعث بها إلى ابنته في «أكستر» يقول فيها : «ليست لدي أدق بارقة
من الأمل في العودة إلى أسرتي قبل اليوم الأول من شهر تشرين الأول
(أكتوبر) . ولولا ما أشعر به من الغبطة في تحقيق الغاية التي ترمي إليها
مهنتي ، وما أناله من لذة الكشف عن بعض الحقائق ، وما أتوقعه من
خدمة أمتي بتأليف تاريخ عن أعظم عاهلية قامت على وجه الأرض حتى
اليوم ، لولا ذلك كله لكنت أفضل القيام بأي عمل على هذا العناء» .

ومما ذكره «أوكل» في المقدمة المستفيضة التي وضعها لكتابه «تاريخ
المسلمين» قوله : «إن العرب الذين لم ينتبه إليهم مؤرخو
اليونان والرومان إلا قليلاً ، قد برهنوا على نباهتهم العلمية
منذ عصر محمد ، سواء في ميادين الفتح ، أم في ميادين
العلوم . ولذلك فإن دراسة تاريخهم أكثر لزماً علينا من
الإلمام بتاريخ أية أمة من الأمم ، فلقد كان لدى العرب من

بإسهاب عما أحدثته الحضارة العربية الإسلامية من التأثير البالغ في حياة أوروبا على إختلاف مناحيها ومراحلها . فلقد أصدر العالم «هانز بروتس» كتاباً موسعاً عن «تاريخ الحروب الصليبية» : HANS PRUTZ KULTE RGSCHICHTE DER KREUZZUGE الذي نشر في برلين في خمسة أجزاء سنة ١٨٨٣ م . ولقد خصص المؤلف الجزءين الرابع والخامس من كتابه للإفاضة في شرح ما أفادته أوروبا من علوم العالم الإسلامي وفنونه ، وتفصيل ما اقتبسه الصليبيون أثناء مكوثهم في الشرق من المسلمين من روائع العلوم والصناعات الإسلامية التي انتفعوا بها أيما انتفاع في تمدن أممهم ، وفي تطوير نهضتهم .

.. وغوستاف لوبون

ويعتبر العالم الفرنسي الشهير الدكتور «غوستاف لوبون» من خيرة الرجال المنصفين الذين أنجبتهم أوروبا في العقود الأخيرة من القرن الماضي ، ومن أعظم المؤرخين الذين كتبوا عن الحضارة العربية الإسلامية ، وذلك في كتابه الذي أصدره سنة ١٨٨٤ م ، بعنوان «حضارة العرب» وتولى الكاتب البليغ المرحوم «محمد عادل زعيتر» ترجمته إلى العربية ونشره في سنة ١٩٤٥ م .

فلقد انبرى «لوبون» في مقدمة كتابه للرد على أولئك المتعصبين المغرضين الذين يزعمون بأن الدين الإسلامي قد انتشر بقوة السيف ليس إلا ، فقال : «إن القوة لم تكن عاملاً في انتشار الإسلام . فالعرب قد تركوا المغلوبين أحراراً في أديانهم . فإذا انتحل بعض الشعوب النصرانية الإسلام ، واتخذت العربية لغة له ، فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس عهد به ، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى ... لقد انتشر الإسلام بالدعوة ، لا بالسيف» .

★ ★ ★

كتاب تراث الإسلام

وفي سنة ١٩٣١ م ، صدر في لندن كتاب موسوعي ، وإن كان مختصراً ، له قيمته الثابتة في الإشادة بفضل العرب والمسلمين على النهضة الأوروبية ، هو كتاب «تراث الإسلام» LEGACY OF ISLAM الذي شارك في تأليفه ثلاثة عشر عالماً من كبار المستشرقين الإنكليز تحت إشراف الأستاذ «توماس أرنولد» وتولت جامعة أكسفورد في لندن طبعه ونشره .

ولقد جعلته «لجنة الجامعيين لنشر العلم» في القاهرة ، التي تألفت سنة ١٩٣٤ م ، أول باكورة لأعمالها فقامت بترجمة ستة فصول منه نشرتها في جزءين سنة ١٩٣٦ م . غير أن من المؤسف حقاً أن يظل مثل هذا الكتاب القيم مهملاً من لدن أبناء العروبة طيلة ربع قرن أو أكثر ، إلى

أن تولى «جرجيس فتح الله» ترجمته كله ونشره في سنة ١٩٥٤ م ، في جزءين ، على نفقة «نادي ابن سينا للمهن الطبية» في الموصل . ولقد أعاد المترجم طبع الترجمة مرة أخرى في بيروت سنة ١٩٧٥ م .

زيغريد هونكه

ومن الكتب الجليلة التي صدرت في الغرب خلال السنوات الأخيرة ، وتولت الاسهاب في بحث ما أخذته أوروبا عن العرب المسلمين ، وانتفعت به في إشادة أسس مدنيها القائمة ، هو الكتاب الذي نشرته المستشرقة الألمانية «زيغريد هونكه» ، سنة ١٩٦٠ م ، بعنوان «شمس الله فوق الغرب» ALLAHS, SONNE UBER DEM ABENDLAND ولقد أقدم الدكتور المصري «علي حسنين» على ترجمة هذا الكتاب إثر صدوره إلى العربية بعنوان «فضل الحضارة العربية على أوروبا» ، ثم صدرت ترجمة أخرى له قام بها كل من «فاروق بيضون» و«كمال دسوقي» سنة ١٩٦٤ م بعنوان «شمس العرب تسطع على الغرب» . وقد دافعت المؤلفة في هذا الكتاب بكل حرارة عن الحضارة العربية الإسلامية ، وعن الدور الكبير الذي لعبته في التمهيد للحضارة العالمية التي نشهدها الآن .

★ ★ ★

كتاب عبقرية الحضارة العربية

على أن من أجل الكتب قدراً في تقييم الحضارة العربية الإسلامية ، وأعظمها حجة في الدفاع عن هذه الحضارة ، وما أفاضته على البشرية من أنوار العلم والمعرفة ، هو الكتاب الذي صدر في ربيع سنة ١٩٧٦ م ، بمناسبة انعقاد مهرجان العالم الإسلامي في لندن والمعروف باسم «عبقرية الحضارة العربية مصدر النهضة الأوروبية» GENIUS OF ARAB CIVILIZATION SOURCE OF RENAISSANCE

صدر هذا الكتاب الخطير تخليداً لذكرى المغفور له صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، وتولت مؤسسة «فيدون» للطباعة في لندن طبعه ونشره في حلة قشبية جداً ، وطبعة فاخرة أنيقة ، محلاة بالعديد من الصور والخرائط ، والرسوم ، بعضها من أصل عربي قديم ، وهو يقع في مائتين واثنين وثلاثين صفحة من القطع الكبير جداً^(١) .

لقد أشرف على تأليف هذا الكتاب النادر ، عدد من كبار الأساتذة المتخصصين في الجامعات الأميركية وغيرها ، معظمهم من الأساتذة العرب الذين يعملون في تلك الجامعات . وقد اشتمل الكتاب على مقدمة ، وتسعة فصول تناولت مختلف نواحي الثقافة العربية الإسلامية ودورها في النهضة الأوروبية .

يبدأ الكتاب بمقدمة وجيزة كتبها «د . ب . وندر» أستاذ التاريخ ولغات الشرق الأدنى في جامعة نيويورك تناول فيها أهمية الكتاب ومقام

الأساتذة الذين شاركوا في تأليفه . وتولى العلامة « جون ستوتفوف بادو » الأستاذ المتمرس في جامعة كولومبيا كتابة مدخل الكتاب وهو بعنوان « دور العرب في الثقافة الإسلامية » ، وكتب « منح خوري » أستاذ الأدب الإسلامي في جامعة كاليفورنيا ، الفصل الخاص بالآداب ، وخص « الجاحظ » و « المتنبى » بشيء من التفصيل .

وتحدث الدكتور « مجيد فخري » ، رئيس دائرة الفلسفة في الجامعة الأميركية ببيروت ، عن الفلسفة والتاريخ ، وأسهب فيه الحديث عن الكندي ، وابن رشد ، وابن خلدون .

وكان فصل العمارة والفنون من نصيب الدكتور « أولغ غرابو » أستاذ الفنون في جامعة هارفارد ، وقد خصص صفحات خاصة للتحدث عن قصر الحمراء ، وجامع القيروان ، ومسجد قرطبة الكبير ، ومدرسة السلطان حسن في القاهرة ، والحفر على الخشب في عهد بني طولون ، وعن إبريق بلوري من عصر الفاطميين ، والفاتحة المصورة لكتاب « ترياق السموم » المنسوب إلى « جالينوس » وغيرها .

وتخصص الأستاذ « عبد الحميد صبرة » من جامعة هارفارد في كتابة العلوم الأساسية عند العرب والمسلمين من أمثال الرياضيات ، والفلك ، والبصريات وغيرها ، ونوه بصفة مسهية بأولاد « موسى بن شاعر » ، و « ابن الهيثم » ، و « ثابت بن قرة » . أما علوم الحياة كالطب والصيدلة والزراعة والبيطرة وغيرها ، فقد كانت من حصة الأستاذ « سامي حمارة » أستاذ تاريخ الصيدلة في متحف واشنطن ، وقد ترجم فيه ، فضلاً عن ذلك ، لكل من حنين بن إسحق طبيباً ، لا مترجماً ، وأبي بكر الرازي ، وابن سينا طبيباً لا فيلسوفاً ، وأبي القاسم الزهراوي الأندلسي .

وكتب الأستاذ « دونالد هل » المهندس الشهير في لندن عن التقنية الآلية عند العرب ، وهو ما عرف باسم « علم الحيل » لدى مؤرخي الإسلام . وكتب الأستاذ « راجي الملاح » أستاذ الاقتصاد في جامعة كلورادو ، الفصل الخاص عن الصناعة والتجارة ، وأسهب فيه عن أبي الفضل الدمشقي ، وعن الإدريسي ، وابن بطوطة .

أما الفصل الختامي الذي يتحدث عن ماضي العرب ، وحاضرهم ، ومستقبلهم ، فقد كلفه الدكتور « إبراهيم مذكور » . فضلاً عن ذلك أرفق بالكتاب بحثاً موجزاً تناول أهم أسماء الكتب والمراجع التي صدرت عن موضوع هذا الكتاب .



جاء في الكلمة التي دمجتها المؤسسة الناشئة على حاشية غلاف الكتاب قولها « إن هذا الكتاب ليس سوى تجربة لبعث الماضي . ذلك لأنه

بالنسبة إلى حضارة حققت أعظم إنجازاتها شهرة قبل قرون خلت ، في عالم يختلف تمام الاختلاف عن العالم الذي نعرفه اليوم ، يكون الماضي فيها أوسع من التراث . فتلك الحضارة مصدر حي للإلهام ، ولإحياء ذاتية الحضارة الحديثة وإلهاماتها التي ورثتها عن تلك الحضارة . فيقدر ما قدمته عبقرية الحضارة العربية من عون للنهضة الأوروبية ، فإن هذه العبقرية ذاتها قادرة على أن تقود النهضة الاجتماعية والثقافية للعالم العربي الحديث .

إن ثقافة العالم العربي الحديث تعود في تأريخها إلى القرنين السابع والثامن ، حين استطاعت الحضارة العربية تحت راية الإسلام ، أن تؤلف إمبراطورية شملت منطقة البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى برمته ، وراحت تنافس روما التي كانت في أوج عظمتها .

إن هذا الكتاب إذ يتحدث عن إنجازات هذه الثقافة العربية ، فإنه يؤكد في الوقت ذاته ، المساهمات العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية ، وفي العالم الحديث القائم الآن .

وما قاله العلامة جون بادو في الفصل الذي كتبه « إن افتتاح العرب للعالم القديم خلال القرنين السابع والثامن قد أحدث تأثيرين هائلين ، أولهما تأثير مباشر هو إيجاد دولة عالمية حديثة في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط ، والشرق الأدنى .

أما التأثير الثاني فهو تطوير ثقافة عالمية جديدة داخل هذه الدولة . وهكذا وجدنا أن هذه الفتوح والثقافة قد أحدثت تأثيراً عميقاً في أنماط العصور الحديثة . إن ما حدث أثناء الفتوحات العربية لم يكن فرض ثقافة أجنبية بطريق الغزو ، على غرار ما فعلته الحضارة الغربية في الشرق ، أثناء عصور الاستعمار الأوروبي .

لقد فسر العرب فتوحاتهم بأنهم كانوا يجاهدون « في سبيل الله » ، وهم يقصدون بذلك أن نظاماً اجتماعياً جديداً قد شرع بإقامته بين الناس ، وأن فتوحاتهم تلك لم تكن سوى أداة لإيجاد مثل هذا النظام الاجتماعي الجديد . وهكذا نجمت عن الفتح العربي حضارة لها تأثيرها وذات صفة فريدة ، تعود في الدرجة الأولى إلى العقيدة الإسلامية التي نشرها العرب أثناء فتوحهم . ولذلك فإن العقيدة الإسلامية ، وليس الفتوح العربية ، هي التي رفعت اللغة العربية إلى أعلى مكانة لها في الثقافة الإسلامية ، ولهذا السبب تغلبت اللغة العربية على كل اللغات والآداب المحلية لتوجد وسطاً من الاحتكاك تم فيه تحويل الاتصالات السياسية لشعوب متباينة إلى ثقافة شاركت فيها كل الشعوب بصفة عامة .

وما أتى على ذكره الدكتور مجيد فخري في فصل الفلسفة والتاريخ قوله : « لقد استطاع العرب خلال فترة امتدت من تأريخ سقوط أمبراطوريتي فارس وبيزنطية حتى بداية النهضة الأوروبية في القرن

الرابع عشر ، أن يهضموا كل العلوم القديمة ، وأن يدخلوها في حياتهم الثقافية الخاصة بهم ، وأن يدفعوا مستوى المعرفة في ميادين الرياضيات ، والفلك ، والطب ، والفلسفة ، إلى مستويات رفيعة لم تبلغها من قبل قط .

ففي خلال القرن الثالث عشر ، وهو العصر الذهبي للحركة العلمية في أوروبا ، كانت تسيطر على الميدان الثقافي كله في أوروبا الغربية ، المنازعات الناشئة بين أبناء اللاتين من أنصار فلسفة «ابن رشد» وخصوصهم ، وكذلك بين اللاتينيين من أنصار فلسفة «ابن سينا» وخصوصهم ، كما توضح ذلك كتابات «روجر باكون» ، و«سان يونا فاترا» ، و«دوتس سكوتس» وغيرهم .

وفي الفصل الذي كتبه «دونالد هل» عن التقنية الآلية أو ما عرف لدى العرب باسم «علم الخيل» يذكر بأن المهندس الإيطالي «جوانللو توريانو» الذي كان يعمل في طليطلة خلال القرن السادس عشر قد اعتمد كل الاعتماد في استنباط الحركة من الماء ، على ما عمله المسلمون في هذا الشأن ، بالإضافة إلى اعتماده على الأسلوب الذي كان معمولاً به في ميدان هندسة المياه في إسبانيا العربية .

وكان صنع الآلات المتحركة ذاتياً على أيدي المسلمين ، والتي ظهرت مؤخراً في أوروبا ، من العوامل التي قادت الناس إلى التفسير العقلاني الآلي للظواهر الطبيعية ، وذلك موقف كانت له ثماره الواسعة جداً في تطوير العلم الحديث . ولقد ثبت أن الآلات التي صنعها الفنان الإيطالي «ليوناردو دافنشي» في القرن السادس عشر ، كانت من أصل عربي إسلامي ، وأن «دافنشي» قد حصل على معلوماته في هذا الشأن من بعض الكتب العربية التي ترجمت في القرن الثاني عشر .

ومع أنه لا يوجد سوى دليل ضئيل على أن آراء المهندسين العرب قد انتقلت إلى أوروبا عن طريق الكتب المدونة ، مع ذلك فإن الهندسة الأوروبية قد اقتبست الكثير من المفاهيم والفنون الصناعية العربية التي كانت تنتقل بصفة عملية .

وفي الفصل الذي كتبه «سامي حمارة» عن علوم الحياة ، يقول : «لقد أنشئت المستشفيات لأول مرة في الإسلام تحت رعاية الخلفاء العرب ، وازدهرت في كل أنحاء العالم الإسلامي خلال عصر الإمبراطورية العربية الإسلامية .

ولقد أصبح المفهوم العربي القديم للمستشفى ، نموذجاً لتطوير المستشفى العصري ، باعتباره مؤسسة يديرها أصحابها أو الحكومة ، وهي مكرسة لرفع مستوى الصحة ، ولعلاج الأمراض ، ولتعليم المعرفة الصحية وتوسيعها .

ففي داخل الدولة الإسلامية ، وابتداء من القرن التاسع وما بعده ، كانت الدولة تنفق بكل سخاء من خزانها على المستشفيات ، وتحسين إدارتها وتنظيمها ، وكانت الخدمات في هذه المستشفيات تقدم إلى الرجال والنساء على حد سواء .

وفي عهد الخليفة المقتدي بالله (٩٠٨ - ٩٣٢ م) قام «سنان ابن ثابت» بتوسيع خدمات المستشفيات بحيث أخذت تشمل المناطق

الريفية ، والسجون ، و «المدينة الداخلية» ، وذلك منهاج لم يتم تطبيقه في الغرب إلا مؤخراً .

وفي القرن العاشر ظفر المستشفى «العضدي» في بغداد بشهرة واسعة عريضة ، إذ كان يضم بين موظفيه أربعة وعشرين طبيباً ، وقد زود بقاعات للمحاضرات ، وبمكتبة عامرة ، وكان الطلبة من الأنحاء الشرقية والغربية للدولة الإسلامية ، يقطعون المئات والآلاف من الأميال للوصول إلى المستشفى العضدي ، والدراسة فيه .

وأصبحت الصيدلة في العهد الإسلامي ، علماً قائماً بذاته منفصلاً عن الطب رغم اشتراكه معه . فكانت الصيدليات تدار من قبل أخصائيين حاذقين ومتدربين . وقد افتتحت أول صيدلية خاصة في بغداد في أوائل القرن التاسع ، وكانت تتوفر فيها الأدوية والعلاجات التي كانت تزود بها بوفرة من أنحاء آسيا وإفريقيا . وسرعان ما انتشرت أمثال هذه الصيدليات ، وعلى نطاق واسع جداً ، في مختلف مدن العالم الإسلامي .

وفي فصل الصناعة والتجارة الذي كتبه «راجي المالاخ» يقول : «ربما كانت أعظم خدمة أداها العرب إلى أوروبا ، هي أنهم كانوا يجلبون السلع الجديدة من بلدان تقع فيما وراء منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط» وأنهم كانوا يوفرّون فيضاً متواصلاً من هذه السلع ، التي كانت معظمها غالية الثمن ويُعتبر استعمالها من دلائل الرفاه بالنظر إلى المستويات الأوروبية .

فن بين الصناعات التي أقامها العرب في إسبانيا ، معامل صنع الخزفيات وتزييقها ، بما في ذلك صناعة «القاشي» ، وكذلك معامل صنع المواد البلورية «كريستال» ، وقد اكتشفت هذه الصناعة في مدينة قرطبة في النصف الثاني من القرن التاسع ، أما في القرن العاشر فقد غدت المجوهرات التي تصنعها قرطبة مساوية في الجودة للمجوهرات التي كانت تصنعها بيزنطية .

وابتداء من القرن التاسع حتى القرن الثاني عشر ، كانت التجارة بين أوروبا والعالم الإسلامي تشتمل ، بصفة رئيسية ، على تبادل المواد الخام من أوروبا (الأخشاب ، والحديد ، والفراء ، وغيرها) بالمنتجات المصنعة ، والمواد الزراعية ، والمواد الترفيهية ، ومنها الأفافيه ، المتوفرة في الإمبراطورية العربية .

لم يأت التأثير الإسلامي المتواصل على أوروبا نتيجة الحروب الصليبية ، وإنما نتيجة الحكم العربي الطويل في إسبانيا وفي صقلية . فعن طريق المختبرات التي كانت تجلب إلى هذين البلدين ، تم ادخال السلع ، والصناعات والعلوم التقنية ، والمفاهيم الحديثة ، إلى أوروبا التي كانت متأخرة في تطورها عن العالم الإسلامي في ذلك الوقت .

(١) المجلة : طالع في العدد الثالث - السنة الأولى - رمضان ١٣٩٧ هـ / أغسطس ١٩٧٧ م .

عرضاً لهذا الكتاب .

بصريا

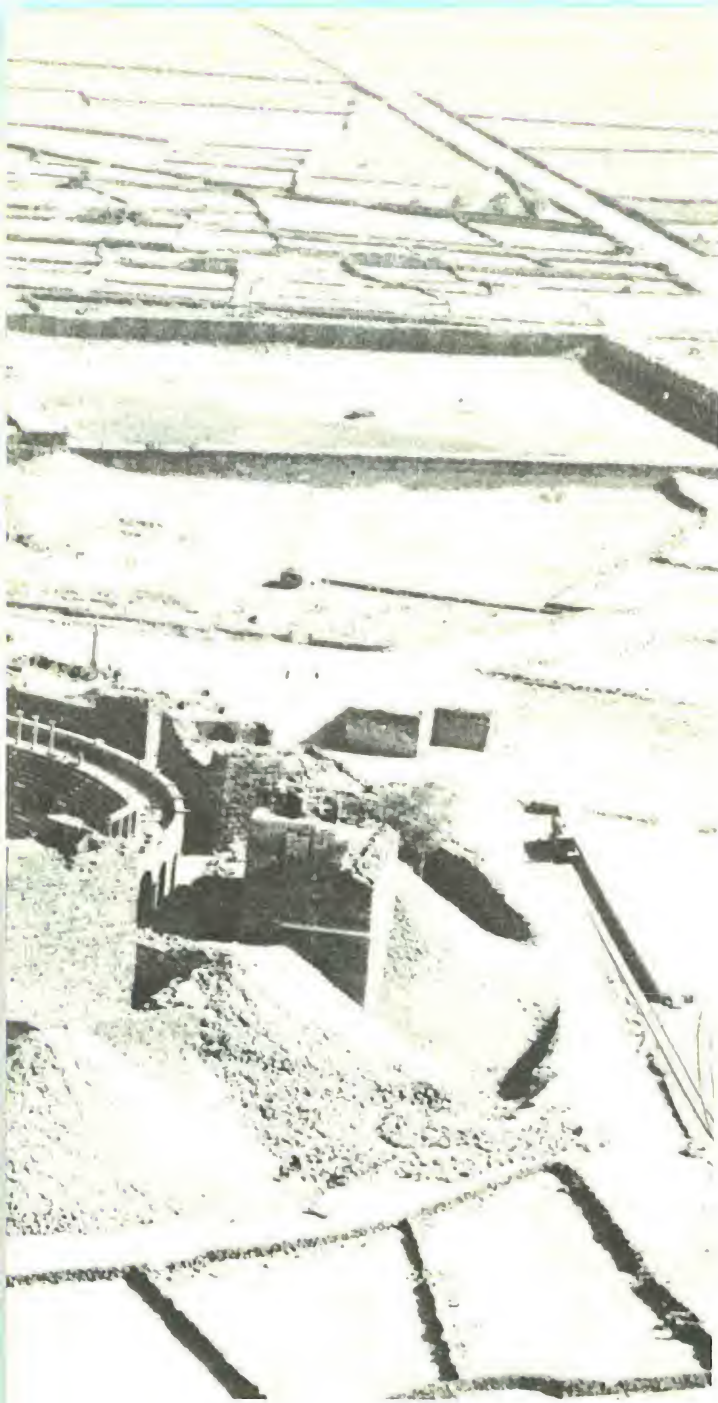
عذقتود العنكب

بقلم : د. عبدالرحمن حميدة

على الطرف الشرقي من سهل حوران ، وعلى مقربة من السفوح الغربية لجبل العرب ، أو جبل الدروز ، تقع مدينة بصرى على ارتفاع ٨٥٠ متراً فوق سطح البحر ، رابضة في وسط سهل فسيح خصيب ، كان منذ القديم عبر القمح لبلاد الشام الجنوبية ، والذي يمتد غرباً حتى أقدام جبل الشيخ المعتم بالثلوج في أكثر أيام السنة ، وجنوباً حتى مشارف جرش في المملكة الأردنية الهاشمية ، وشمالاً حتى غوطة دمشق .

مدينة
وتاريخ





وموقع بصرى هو الذي جعلها عقدة طرق هامة ، كأنها عنكبوت في قلب شبكتها الشعاعية ، فكان يربطها بدمشق طريقان يفصلهما وعر اللجاة ، وهو حرة عسيرة المسلك ، ويؤديان من جهة أخرى إلى صيدا الساحلية . أما الطريق الثالث فكان طريق درعا الذي كان ينتهي عند ميناء سيكاميوم القديم قرب حيفا الحالية . وكان ينطلق منها طريق رابع جنوبي هو طريق تراجان الذي يمر من قيلادلفيا ، (عُمان حالياً) والذي ينتهي على البحر الأحمر . أما الطريق الأخير فهو الشرقي الذي كان يخترق مدينة صلخد ، ويؤدي إلى الخليج العربي بعد أن يجتاز فيافي بادية الشام .

وقد ساهمت كل هذه العوامل متضافرة على استمرارية وظيفتها ، وعلى تعاقب الحضارات فيها ، إذ قدمت كل حضارة نصيبها في عمران بصرى ، دون أن تطمس معالم سابقتها ، فتركت كل واحدة منها بصمتها الواضحة كل الوجود . ولا تبدو بصرى الحالية ، التي لا تشغل أكثر من حيز صغير في وسط أسوارها القديمة ، وفي قلب ميدان أطلالها ، أكثر من عنقود غناب شهبي أسود اللون ، ضمن صحن كبير ، لأن عدد سكانها في الوقت الحاضر لا يزيد عن ١٢٠٠٠ نسمة . . . وتعني كلمة بصرى «الحصن» في الكتابات السامية القديمة .

بصرى .. والتاريخ

لم تدخل بصرى التاريخ من بابه العريض إلا في العصر الهلنستي ، حيث دُعيت بَصُورًا في لوحات تل العمارنة المصرية ، والتي تعود إلى عهد الفرعونين أمنوفيس الثالث والرابع . وكانت تسكنها جماعات وفدت إليها من جزيرة العرب ، التي كانت حتى قبل قرن مضى ، كالبحر الطامي الذي يدفع بموجات من القبائل العربية التي لا تلبث أن تستقر على أطراف الهلال الخصيب . وأصبحت بصرى ذات طابع إغريقي منذ بداية الاستعمار الذي أعقب فتوح الإسكندر المقدوني ، فاحتلت المكانة الأولى بين المدن الواقعة إلى الشرق من نهر الأردن ، بعد أن اختص بها بطليموس أحد قواد الإسكندر عام ٣٣٣ قبل الميلاد .

في عهد الأنباط

بنى الأنباط في بصرى قصوراً وهياكل تركوا فيها كتابات تدل على شيء من تاريخهم وعاداتهم ، وكانت في عصرهم ممراً للقوافل التي كانت تقصدها حاملة عطور الهند والأفاوية ، وسواها من أصناف البضائع . وفي زمن الملك رعبال الثاني أقيم في هذه المدينة الكثير من القصور والهياكل النبطية ، واعتنق السكان ديانة ذي الشرى واللات وآموس ، وأطلقوا أسماءها على هياكلهم التي شيدها لإقامة طقوس عباداتهم الوثنية .

في العصر الروماني

استغل الرومان فرصة وفاة الملك رعبال الثاني ، فانقضوا بسرعة على المملكة النبطية وقضوا عليها ، وأصبحت بصرى عاصمة ولاية جديدة تابعة لروما هي «الولاية العربية» ، وحصل هذا الإلحاق سنة ١٠٦ م . وعُيّن القائد كورنيليوس بالما الذي افتتحها والياً عليها من طرف الإمبراطور تراجان . ثم وصلت إلى مدن هذه الولاية الجديدة حامية اشتهرت باسم الفرقة السرقاوية الثالثة ، رابطة فيها بأمر من الإمبراطور هادريان ، ثم انتشرت على أطراف الولاية جميعها ، وتم تعبيد الكثير من الطرق وفرشت بالبلاط الأسود التي لا تزال بعض أقسامها باقية ، ويطلق عليها الأهليون اسم «الرصيف» . واتخذت بصرى تاريخاً خاصاً بها يبدأ من الفتح الروماني المذكور ، وكانت النقود

تضرب باسم المدينة وتحمل تاريخها الذي اعتمدته كل القرى التابعة لها ودُعيت «توفا تراجانا بوسترا» وأغدق عليها الإمبراطور سبتيم سيفير النعم ، كما رفعها الإمبراطور سيفير إسكندر إلى مرتبة مستعمرة كي يمنحها الإمبراطور فيليب العربي أخيراً لقب مدينة عظمى أو «ميتروبول» ، واختصّها بامتيازات كبيرة زادت في ثروتها العمرانية والاقتصادية . . . وبني مدينة شهبا شرقي بصرى ودعاها فيليبوس .

وقد لعبت بصرى دوراً هاماً في تاريخ النصرانية الأولى . فقد كانت مقر أسقفية ثم احتوت كرسي أبرشية ، وكان من أشهر أساقفتها بيريللوس الذي تميزت رسائله برشاقة أسلوبها . وفي القرن السادس شيدت فيها كاتدرائية عظيمة .



★ منظر جوي لبصرة ويظهر المسرح محاطاً بالقلعة كما تظهر القلعة في بركة الجامع ★

عهد الفساسة

الفساسة قبيلة عربية نزحت من اليمن ونزلت بلاد الشام الجنوبية ، ولا سيما بلاد حوران وعاصمتها بصرى . وفي سنة ٦١٤ م ، طغا أمر الفرس فاجتاحوا حوران وأصاب بصرى الكثير من أعمال التخريب .

الرسول الكريم في بصرى

في هذه الفترة جاء محمد عليه الصلاة والسلام ، وهو صبي صغير بصحبة عمه أبي طالب ، إلى بصرى التي كانت مقصد عرب الجزيرة ولا سيما قريش ، ومحط قوافلهم التجارية التي تنقل منها بضاعة الشام وغيرها من الأمصار ،

وتشير بعض المصادر إلى عقد اتفاقات تجارية بين تجار مكة والموظفين الإداريين في بصرى .

فلما نزل الركب بصرى ، وبها راهب يقال له بحيرا ، في صومعة له ، وكان انتهى إليه علم النصرانية يتوارثونها كابراً عن كابر عن أوصياء عيسى عليه السلام . وفي تلك المدة انتهى علم النصرانية إلى بحيرا .

وكان قد رأى وهو بصومعته رسول الله في الركب حين أقبلوا وغمامة تظلكه من بين القوم ، ثم لما نزلوا في ظل شجرة ، نظر إلى الغمامة قد أظلت الشجرة وتهصرت — أي مالت — أغصان الشجرة على رسول الله . ثم أرسل إليهم : إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش وأحب أن تحضروا كلكم صغبركم وكبيركم وعبدكم وحركم . فقال له رجل منهم : يا بحيرا إن لك اليوم لشأناً ما كنت تصنع هذا بنا

مرة . وقد قع هذا التمرد عبد الله بن علي عم الخليفة أبي العباس عام ٧٥٠ م .

وقد ذكر ابن عساكر خبر أبي الهيثم أحد فرسان العرب وشجعانهم وزعيم قيس في الفتنة التي وقعت بينهم وبين اليمنيين بدمشق أيام الرشيد : « أنه ركب وابنه وغلامه وكانوا في بصرى وخرجوا على الناس وهم منهزمون حتى انتهوا إلى ملعب الروم ، وهو حصن في مدينة بصرى وتسامعت خيل أبي الهيثم فجاءوا من كل وجه » .

وقد ظلت بصرى مدينة هامة خلال هذه الحقبة من الزمن كمنبر للقوافل والتجار ومركزاً للحجاج يستريحون به استعداداً لسفرهم الطويل . وفي عام ٩٠٦ م ، دمر القرامطة الكثير من أبنيتها عندما هاجموا أراضي شرقي الأردن .

واستردت بصرى بعض مكانتها السابقة في أيام الفاطميين والأيوبيين ، ففي عام ٤٨١ م ، كان عبد الملك أبا منصور والياً عليها ، وهو أحد السلافة الثلاثة الذين شادوا العديد من الأبنية في بصرى في العهد الفاطمي ، شأن شمس الدين سنقر الحكمي وأبي منصور كمشتكين ، وهو أشهرهم والذي كان قائداً لجيوش دمشق والياً على بصرى وصلخد . وقد رم جامع الخضر وقسماً من الجامع العمري ، وبنى المدرسة الحنفية التي بقيت الأثر الوحيد المحتفظ بكل رونقه حتى وقتنا الحاضر . ومن ولاتها أتابك زنكي سنة ٥٣٤ هـ ، وهو والد نور الدين زنكي ، ومعين الدين أئز سنة ٥٤١ هـ ، والتوتناش وفخر الدين سرجال في ٥٤٥ هـ .

وقد جاء في تاريخ القلانسي عن حوادث عام ٤٧٩ هـ « أنه خرج إيتيكن

★ امرأة من بصرى تملا جرتها من مياه البركة ★



وكنّا غمر عليك كثيراً ، فما شأنك اليوم ، فقال له بحيرا : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف وقد أحبيت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتاكلون منه كلكم . فاجتمعوا إليه وتخلّف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لخدمة سنة في رحال القوم أي تحت الشجرة . فلما نظر بحيرا في القوم ولم ير الصفة ، أي الغمامة على أحد من القوم ، ورأها متخلفة على رأس رسول الله فقال : يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي ، فقالوا : يا بحيرا ما تخلف عن طعامك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام وهو أحدث القوم سنّاً . قال : لا تفعلوا ، ادعوه فيحضر هذا الغلام معكم ، وقال : فما أقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع أي أراه من أنفسكم . فقال القوم : هو والله أوسطنا نسباً ، وهو ابن أخي هذا الرجل (يعنون أبا طالب) ، وهو من ولد عبد المطلب . ولما سار به من احتضنه ، ولم تزل الغمامة تسير على رأسه ، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته صلى الله عليه وسلم حتى إذا فرغ القوم من طعامهم تفرقوا ، قام إليه بحيرا فجعل يسأله عن أشياء من حاله ، وعن نومه ، وهيئته ، وأموره ، ويخبره رسول الله ، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ، أي صفة النبي المبعوث آخر الزمان التي عنده ، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة التي عنده فقفل موضع الخاتم ، فقالت قريش إن لمحمد عند هذا الراهب لقدراً ، ثم قال لأبي طالب : ارجع بابن أخيك إلى بلاده واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رآه وعرفوا منه ما عرفت لتبغينه شراً ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، أي نجده في كتبنا وروايته عن آبائنا ، واعلم أي قد آتيت النصيحة فاسرع به إلى بلده ، فوالله لئن قدمت به إلى الشام ، أي جاوزت هذا المحل ووصلت إلى داخل الشام الذي هو محل اليهود ، لتقتلنه اليهود . . فرجع به إلى مكة . ولما بلغ الرسول الخامسة والعشرين من عمره قدم بصرى للمرة الأخيرة بتجارة لخديجة بنت خويلد ، وحضر سوق بصرى ، فباع سلعه واشترى غيرها .

الفتح الإسلامي

يذكر الواقدي أن شرحبيل بن عمر الغساني قتل رسول النبي وحامل كتابه إلى ملك بصرى ، وقد كانت بصرى وقتئذ مدينة كثيفة السكان ، قوية الحامية ، غنية الأسواق ، وأنها كانت محجاً للناس وملقى القوافل . وفي ذلك يقول خالد بن الوليد مخاطباً شرحبيل بن حسنة : « أما علمت أن هذه ميناة الشام والعراق » يقصد بذلك بصرى . وقد كان المسلمون حولها عندما قدم عليهم خالد من العراق مدد أهل الشام ، فضيقوا الخناق على أهلها حتى ألجأوا قائد حاميتها وأتباعه إلى داخل السور . فلما عجز المدافعون صالح أهلها بواسطة واليها رومانوس الذي اعتنق الإسلام ، وانحاز إلى المسلمين بعد أن أمن دماء وأموال سكانها على أن يؤدوا عن كل عالم ديناراً وجريب حنطة . وافتتح المسلمون جميع أراضي حوران وغلبوا عليها وقتئذ ذلك سنة ٦٣٥ م ، وفقد الرومان نفقتهم بسكان البلاد العرب النصاري الذين حارب الكثير منهم في صفوف المسلمين . وهكذا كان سقوط بصرى نذيراً بجلاء جيوش الإمبراطور هرقل البيزنطي عن بلاد الشام عام ٦٣٦ م ، على أثر هزيمتهم على ضفاف اليرموك . ولم يلبث المسلمون أن بنوا مسجداً فيها هو الجامع العمري ، نسبة إلى الخليفة عمر بن الخطاب .

بصرى في ظل الحكم الإسلامي

لا تورد المصادر التاريخية المعروفة معلومات وفيرة عن بصرى في عهد بني أمية سوى قيام الحرث أحد موالى الخليفة يزيد الثاني ، وعثمان بن الحكم أحد أقرباء الخليفة ، بترميم جدران جامع بصرى العمري . وفي زمن العباسيين وقعت في حوران اضطرابات شديدة بسبب موالاة سكانه للأمويين تحت قيادة حبيب بن



★ منظر عام للمدرج ★

بعمرائها الظافر بن الناصر ، وسنقر الطغرلنكي الذي بنى أول برج من أبراج القلعة ، وركن الدين منكورس ، وكان من خيار الأمراء وأنقامهم ، وله صدقات كثيرة ، كما بنى أربعة أبراج من أبراج قلعة بصرى ، ويدر الدين داود ابن أبديكين ، وشمس الدين سنقر بن عبد الله الصالحى ، والشهاب غازي ، وشجاع الدين عنبر الصالحى ، والصالح إسماعيل بن العادل . وقد كان الملك الأشرف قد أوصى له بدمشق فلما شهراً قبل أن يستخلصها منه أخوه الكامل ، ثم ملكها من يد الصالح أيوب مدة أربع سنوات إلى أن استعادت من ، فالت إليه مدينة بصرى ويعلمك إلى أن أخذنا منه .

وظلت بصرى خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، نقطة تجمع القوافل القاصدة مكة المكرمة وعلى الأخص عندما كان الفرنجة الصليبيون يسيطرون على

الخليبي صاحب بصرى منها هارباً لتدبير كان بينه وبين أرتاش بن تاج الدولة فعائاً بناحية حوران فساداً وأرسلا بلدوين ملك الإفرنج مستنجدين به وتسوجها نحوه ، وأقاما عنده يجرضانه على المسير إلى دمشق ، فلم يصلا منه على نتيجة . وقد هاجمها الفرنجة الصليبيون للمرة الأولى عام ١١٤٦ م ، بقيادة بودوان الثالث ملك القدس ، وكانت بصرى بيد والو اسمه طانتس . فلما صار ملك الفرنجة في وسط الطريق أخذت فرق المسلمين تتناوشه ، فذاقت قواته مرَّ العذاب وعاد عنها خائباً يجر أذيال الفشل .

وكانت الحملة الثانية سنة ١١٨٢ م ، في أيام بودوان الرابع ، وفيها لاقى الصليبيون جيوش بصرى ، فلما عرفوا مناعتها وقوة شكيمتها قواها ولأوا عنها مدبرين بعد أن مثوا بخسائر جسيمة . ومن أشهر ولائها في هذه الفترة الذين اهتموا



★ الجامع العمري بعد الترميم ★

إذا هبطت بصرى تقطع وصلها
وأغلق أبواباً من دونها قصراً

آثار بصرى

لا تزال نفتقر للكثير من المعلومات عن أوضاع بصرى قبل العهد الروماني، لأن أعمال الكشف والتنقيب لم تقل بعد كلمتها الأخيرة. فمخطط هذه المدينة يشبه إلى حد بعيد تخطيط المدن اليونانية والرومانية القديمة. فتظهر أسوارها مستطيلة الشكل وذات أبواب معينة متقابلة. وكان تخطيط الشوارع المتقاطعة مع الشارع المستقيم على قدر كبير من الدقة والاتقان، فقد حرص مهندسوها الأوائل على أن تكون هذه الطرق عريضة ومزدانة بالأعمدة الرشيقة والأروقة التي توفر الظل للظليل أمام

فلسطين وعلى حصن الكرك شرقي الأردن، ويقطعون الطريق على قوافل الحجاج. ولكن ما إن اندحر الصليبيون الغزاة وقضي على خطرهم نهائياً بعد سقوط القدس بيد صلاح الدين، حتى أخذت طرق القوافل تنزلق إلى الغرب أي إلى درعا لاختصار المسافات.

عصر المماليك

وفقدت بصرى في أيام المماليك بعض أهميتها وتحولت إلى ولاية بسيطة، لكن ذلك لم يحل دون تشييد بعض الأبنية فيها كمئذنة جامع فاطمة التي بنيت في زمن الملك الناصر قلاوون سنة ٧٠٥ هـ، ومن مشاهير بصرى في العهد المملوكي فخر الدين البصراوي الذي تولى حسيبة دمشق سنة ٧١٤ هـ، ومحمد ابن الشيخ فخر الدين عثمان بن أبي القاسم البصراوي الحنفي الذي تولى الوزارة بدمشق عام ٧٢٣ هـ. وفي عام ٧٦٠ هـ، كان يتولى إدارتها والي الولاية المعروف بشنكل مئكل، وقد اشتهر بقسوته وشدة بطشه في أحكامه. وفي عام ٧٦٦ هـ، ولي دمشق الأمير علم الدين سليمان البصراوي.

وتتصف فترة الخلافة العثمانية بين ١٥١٦ و ١٩١٨ م، بحصول حادثين هامين أولهما دخول قبائل العنزة إلى بلاد الشام قادمة من مضاب نجد، وهجرة دروز لبنان إلى حوران بعد موقعة «المختارة» بينهم في إقليم الشوف.

وفي منتصف القرن السابع عشر زحفت جحافل قبيلة عنزة، وكانت أولى عشائرها الحسنة والغدعان، وقد رافق دخولهم وقوع بعض الاضطرابات التي أدت إلى انقطاع حبل الأمن، فتحول طريق الحجيج من بصرى إلى مزيريب نهائياً، ورفض أهل بصرى دفع الأتاوة لعرب العنزة والتي أقرت لهم بها أكثر قرى حوران. أما هجرة الدروز والتي امتدت على الفترة الواقعة بين عامي ١٦٨٥ و ١٧١١ م، فقد رافقها الكثير من النزاعات بينهم وبين سكان بصرى بسبب الخلاف على المراعي والأراضي.

وفي عام ١٩١٠ م، تم ربط بصرى بفرع من الخط الحديدي الحجازي الذي أنشئ بفضل تبرعات قدمتها غالبية الأقطار الإسلامية، والذي عمل لورنس الإنكليزي خلال سنوات الحرب العالمية الأولى على تخريبه بدعوى قطع الامدادات عن حامية فخري باشا التركية المحاصرة في المدينة المنورة.

موقع بصرى الجغرافي

يقول الجغرافي محمد الزهري الأندلسي المتوفى سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦١ م: «ومقرية من هذا الجبل (أي جبل العرب) أرض بصرى، وهي أرض خصبة، وفيها مدينة تسمى بصرى. وقيل أنها نسبت الأرض إليها. وأحسن الروايات إنما نسبت المدينة إليها، لأن الأرض فيها جبال تعرف بجبال بصرى، وفيها من الهياكل والكنائس للروم ما لا يوصف، وفيها الموضع المعروف برأس الكنائس وهو أول ثغور الشام».

ويقول ياقوت الحموي: بصرى قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً، ذكرها كثير في أشعارهم.. قال الصمّة بن عبد الله القشيري:

نظرت وطرف العين يتبع الهوى

بشرقي بصرى نظرة المتطاول

لابصر نارا أوقدت بعد هجعة

لرأيا بذات الرمث من بطن حائل

وقال الرماح بن ميادة:

الا لا تلطّي السرى أم جحدر

كفى بذكرى الأعلام من درننا ستر



★ مسجد مبرك النافقة ★

الهيكل النبطي

وهو الأثر الثاني من نوعه في بلاد الشام بعد البتراء في جنوبي المملكة الأردنية الهاشمية . ويذهب بعض علماء الآثار إلى أنه بوابة قصر الملك رثيال الثاني النبطي . ولكن الرأي الغالب هو أنه عبارة عن معبد نبطي ، لا تزال معظم أجزائه محجوبة عن الأنظار بالأبنية المحدثه حوله . وأهم أقسامه الظاهرة القوس الرئيسي المزين بمحراب وأعمدة تعلوها تيجان منحوتة حسب النمط النبطي ، ويظهر من فحص بعض أجزاء البناء المتداعية أن الواجهة كانت تزdan بجبهة هرمية الشكل وزخارف نبطية الأسلوب . ولا زال من المتعذر إعادة تمثيل هذا المعبد الذي تمتد بقاياه على مسافة تربو على المائة متر نحو الشرق ، حيث تبدو معالم أبواب وركائز

واجهات المخازن التجارية . ويبدو وجه السور من الجهة الغربية كقوس متجه نحو الشمال .

وتزخر بصرى بالآثار المتفاوتة في قدمها لأنها تقدم سجلاً للمدنيات وحضارات

تعاقت ، وتزداد أهمية بصرى على الصعيد السياحي مع الأيام ، ولا سيما منذ مطلع القرن الحالي ، وذلك بجهود مديرية الآثار والمتاحف التي لا زالت منذ عام ١٩٤٠ م ، تبذل جهوداً جبارة وتنفق الأموال الطائلة في سبيل الكشف عن آثار

بصرى وترميمها ، هذا فضلاً عن قراءة الكتابات النبطية والإغريقية واللاتينية والعربية القديمة ، وستعرض هذه الأوابد حسب تعاقبها الزمني جهد الإمكان .

وتيجان أعمدة وبلاط قديم ، يظهر لأول وهلة وكأنه يؤلف مجموعة لبناء ضخم واحد .

البركة الشرقية

وتقع هذه البركة شرقي الطريق المستقيم الرئيسي ، وتعتبر أقدم خزان للمياه قائم حتى الآن في المدينة ، وتشبه إلى حد ما تلك المواجه في منطقة القيروان التونسية ، حيث تجمع مياه السيول . وهي على شكل مربع تقريباً طول ضلعه ١١٤ م وعمقها ٦ م . ويستدل من الحروف النبطية المحفورة على معظم أحجار هذه البركة ، أن تاريخ بنائها يعود إلى القرن الأول قبل الميلاد ، عندما أخذت المدينة بالتوسع والتطور وأصبحت مركزاً للقوافل . وكانت البركة متصلة بالمدينة بواسطة أنابيب فخارية في منتصف جدارها الغربي . ويبلغ عرض جدرانها قرابة أربعة أمتار مدعومة بركائز متوصلة بعرض مترين تقريباً . وتتصل البركة بالأودية التي تجري خلال فصل الشتاء والقادمة من الشرق .

باب المدينة

ويسميه الأهليون «باب الهواء» ، وهو أول أثر يستقبل الزائر القادم من درعا . ويعود تاريخ عمارته إلى القرن الثاني بعد الميلاد وفي أعقاب بناء أسوار المدينة . ويعلو فتحة الباب قوسان متراكبان يستندان على ركائز مزدانة بمحاريب على واجهتيه ، الخارجية والداخلية ، وللسور أبواب أخرى أقل جساماً ودون تزويق ، لا تزال آثارها ماثلة في القسم الغربي والشمالي منه .

السوق الأرضية

ما إن يقترب الزائر من السوق الأرضية حتى يصادف بقايا أربع ركائز كانت تزين ساحة شبه مستديرة أقيمت عند تقاطع الشارع المستقيم مع شارع يمتد من الشمال إلى الجنوب . ويبدو أن بناء الساحة وتنظيمها تم في زمن متأخر عن بناء السوق الأرضية التي تم اكتشافها في سنة ١٩٦٨ م . ويعتبر هذا البناء فريداً من نوعه ، ويعود تاريخه إلى أوائل القرن الثاني بعد الميلاد . ويبلغ طول القسم المكتشف من السوق حتى الآن ١٠٦ أمتار بعرض خمسة أمتار . وتم إضاءة السوق هذه بواسطة أربعة وثلاثين نافذة جانبية مبنية في الجدار الجنوبي للمبنى . وقد أقيم تحت النوافذ عدد من المحاريب المستطيلة لترتين جدار البناء . كما أقيمت في الجدار الشمالي ستة أبواب للدخول إلى المبنى من جهة الساحة العامة أو الفوروم forum ، ويزدان هذا الجدار أيضاً بمحاريب مستطيلة . ويبلغ ارتفاع سقف السوق أربعة أمتار ، ومن المتوقع أن يبلغ ارتفاعه بعد إزالة البقايا المتراكمة فوق أرضه ما ينوف عن أربعة أمتار ونصف ، ويعتقد أن هذا المبنى الأرضي كان يستخدم لحزن البضائع خلال الليل .

قوس النصر

وعند مدخل الطريق الفرعي الثالث يظهر قوس النصر أو القوس المركزي ، ويسميه الأهالي «باب القنديل» ، والمعروف بفتحاته الثلاث والذي لا زال محفوظاً بشكل جيد . ويتألف من مدخل يرتفع إلى حوالي ١٣ م . ويعود تاريخ بنائه إلى القرن الثالث بعد الميلاد ، ويتألف من ثلاثة أقواس أعلاها القوس الأوسط . وتظهر فوق ركيزة واجهة البناء الغربية كتابة لاتينية تشير إلى أنه أقيم تمجيداً لذكرى انتصار جوليانوس جوليانيوس قائد الفرقة البارثية الأولى المنسوبة لفيليب العربي . ويتصل هذا القوس بمدرج بصرى بواسطة شارع يمتد نحو الجنوب . وقد كشفت أعمال التنقيب القائمة في هذا الموقع منذ عام ١٩٧٣ م ، عن

بلاط الشارع وقواعد أعمدته المنحوتة على الطراز الايوني ، وهي أولى الأعمدة المصنوعة من الصخر الكلسي التي تظهر في المدينة .

معبد حوريات الماء

يتألف القسم الباقي من هذا البناء من أربعة أعمدة منحوتة على الطراز الكورنثي ، والتي تسمو إلى ارتفاع يربو على الأربعة عشر متراً بقطر مقداره ١,٢ م . وهذا البناء كان منهدماً للماء عند تقاطع الشارع المستقيم مع الشارع الممتد نحو الشمال . ويظهر أن معظم أجزاء المنهل قد تقوضت بتأثير زلزال عنيف يستدل عليه عند منتصف جذع العمود الغربي من البناء الذي يعود تاريخ عمارته إلى القرن الثاني بعد الميلاد .

الكلية

ويسمى عند أهل بصرى سرير بنت الملك . و «كلية» اسم إغريقي عثر عليه في قرية أم الزيتون المجاورة حيث يقوم مبنى بمبنى «الكلية» في بصرى ، مما حدا بعلما الآثار إلى إطلاق هذه التسمية على سائر المباني المنتشرة في حوران على نفس النمط . ويغلب على الظن أنه معبد وثني أقيم لحفظ نذور الضباط وأوسمتهم . ويتألف من عناصر معمارية تعود لبناء أقدم . وعلى العموم فإن تاريخه يعود للقرن الثالث الميلادي . وقد زُين البناء بنقوش تستهوي الناظر لما حوته من دقة في الحفر وفي الزخارف المعهودة في أيام الرومان . وقد تهدمت أجزاء هذا البناء البديع ، ولم يبق منه سوى جزء صغير من الجدار وقطعة الزخرفة التي تتوجّه .

ويروي سكان بصرى أسطورة مفادها أن أحد ملوك بصرى لم يرزق من الولد سوى بنت واحدة ، كانت على قسط كبير من الجبال والظرف ، ولما بلغت سن الشباب خشي عليها من ريب المنون وهي في ريعان صباها ، فبنى لها هذا القصر كي تقيم في أعلاه حيث ترفع إليها سائر حاجاتها . وفي إحدى المرات رُفعت إليها سلّة من العنب كانت تخفي عقربة في أحد عناقيدها ، وما إن تناولته حتى لسعتها العقرب فماتت .

السوق الرئيسية

ويعرف الآن باسم خان الدبس . وقد دفع الظن ببعض علماء الآثار إلى الاعتقاد بأنه حمامات المدينة في العصر الوثني ، لكن أعمال التنقيب أثبتت فيما بعد أنه سوق المدينة القديمة ، الذي تعرض فيه صناعات ومحصولات المنطقة . ويتألف السوق من بناء مسقوف وفناء واسع تبلغ أبعاده ٧٠ متراً و ٢٠ متراً عرضاً . وكان السقف يتألف من حجارة بازلت صغيرة وكلس ورمل على شكل عقود متتالية . أما الفناء فكان مزداناً بمحارب كبيرة وصغيرة تبرز على جوانبها حجارة ناتئة لحمل التماثيل . وكانت الأسواق حافلة بالتجارة وأرباب القوافل في النهار كي تغلق ليلاً . وكانت تتميز بوقايها للعاملين فيها والزبائن من ثقلبات الطقس . هذا كما كانت بعض الغرف الصغيرة في السوق مخصصة لبيع السلع الثمينة كالمجوهرات والحلي والحجارة الكريمة .

دير الراهب بحيرا

يشير البيستاني ، في دائرة المعارف ، إلى أن بحيرا راهب نسطوري على مذهب أريوس ونسطور واسمه سرجيس بن إسكندر . وكان ينكر ألوهية المسيح



ويقول إن تسميته بإله غير جائزة بل يجب أن يكون كلمة . وكان يجرا قسناً عالمياً فلكياً ومنجماً وحاسباً ، ونظراً لتضلعه بهذه العلوم حرمه رئيس ديريه وطرده من سلك الرهبنة ، فسار هائماً على وجهه ودخل دير رهبان طور سيناء ، فطرده أيضاً من الدير . فسار إلى بركة الشام وصار يدعو القبائل إلى عبادة الله وينهاهم عن عبادة الأصنام .

ويعتبر هذا الدير أقدم كنيسة بنيت في المدينة على الطراز البازيليكي ، ويرجع تاريخها للقرن الرابع قبل الميلاد . وهي تختلف عن جميع الكنائس المبنية في بصرى . وأجل جزء فيها يتمثل في المذبح وقوسه الشاهق المبني على شكل بيضوي ، ويعتبر من أكثر الأقواس روعة حيث تجلّت فيه مهارة البناء وجمال المنظر . ويظهر أن راجحة البناء قد رمست في عصر متأخر ، ولا يزال باقياً منها زواياها الجانبية الأساسية .

الكنيسة الكبرى أو الكاتدرائية

يعود إنجاز بنائها لشهر آذار (مارس) ٥١٣ م ، أو ٤٠٧ م ، من تاريخ بصرى المحلي . وينسب بناؤها حسب كتابة موجودة فوق بابها الرئيسي إلى جوليانوس ، أسقف بصرى العربي وكان له مقام رفيع بين الكهنة وشأن عظيم لاستقامته وصراحته المقرونة بالجرأة التي جرّت عليه الكثير من المصاعب والآلام ، وهو بناء ذو مقام رفيع من الناحية المعمارية . وقد أمكن دراستها بصورة مفصلة من قبل البعثات الأثرية الفرنسية والأميركية التي أخذت لها مناظر متقنة . ويظهر أن قبتها الكبيرة قد تهدمت بعد الفراغ من بنائها بمدة قصيرة من جراء تصدع الركائز التي كانت تقوم عليها .

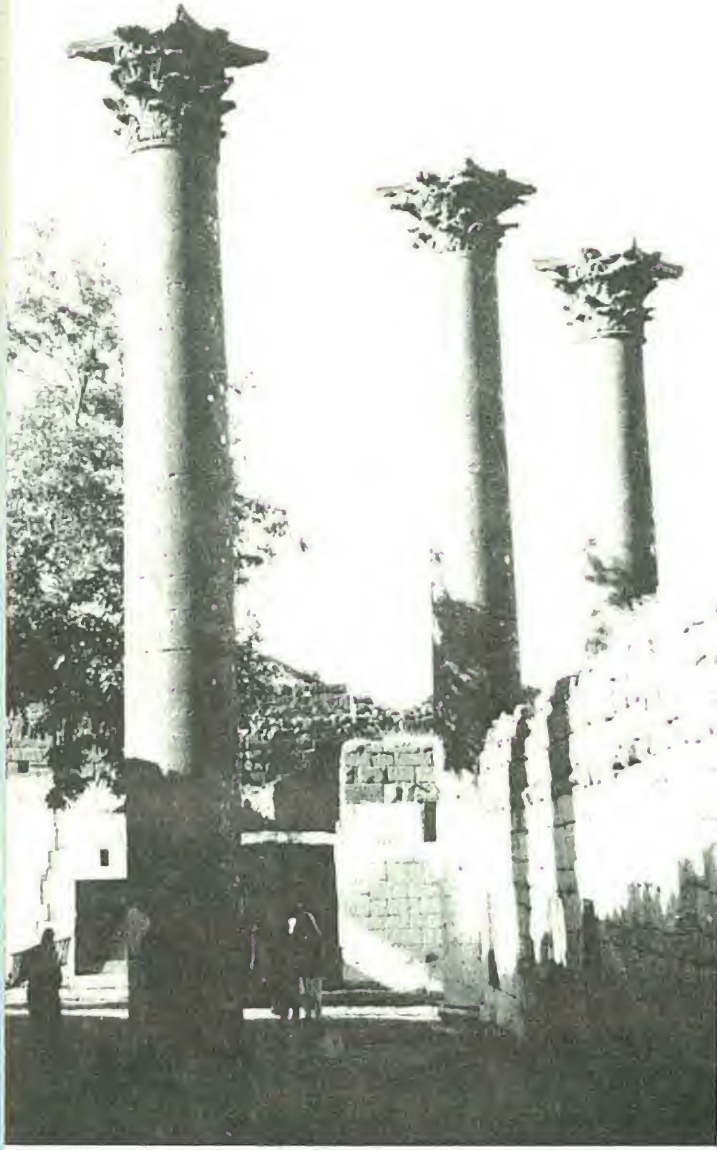
وقد أقام الإمبراطور جوستينيان بعد سنوات قليلة كنيسة أيا صوفيا في القسطنطينية وكنيسة رافين الإيطالية ، وجعل من كنيسة بصرى أنموذجاً للمهندسين الذين خططوا بناء هذين المعبدين .

وقد أسفرت أعمال التنقيب التي تقوم بتنفيذها المديرية العامة للآثار والمتاحف منذ عام ١٩٧١ م ، عن رفع جميع الأنقاض التي كانت متراكمة في داخل المبنى وثمانية من المنازل التي كانت مبنية حول الكنيسة من الجهة الخارجية ، كما تتعاون منذ عام ١٩٧٥ م ، مع بعثة من جامعة رافين الإيطالية على دراسة بعض أجزاء العناصر المكتشفة في البناء . هذا وتبلغ أبعاد جدرانها ٤٩,٥ م طولاً و ٣٧,٣ م عرضاً .

القصر

يقع هذا البناء بين المعبد النبطي وبركة الحاج . ويمكن للزائر أن يشاهد بعض أجزائه الخارجية من الجهة الجنوبية والجهة الشرقية والواجهة الجنوبية للجزء الداخلي المطل على فناء القصر الواسع . أما الواجهة المقابلة لها فلا تزال محفوظة أيضاً . ويمكن الدخول إلى ثلاث من غرفها الواسعة ، وتأمل دقة بنائها وزخارفها الجميلة . وقد شيد هذا البناء على شكل مستطيل يبلغ ٥٠ م طولاً و ٣٠ م عرضاً .

وكان المدخل الرئيسي للقصر من ناحية الشرق . ويتألف من ثلاثة طوابق أهمها الطابق الأوسط الذي يرتكز فوق أعمدة من الطراز الإيوني . وفي القسم الجنوبي منه بقايا صالة واسعة كانت مسقوفة بأقواس مرتفعة وبصفائح من الحجر . ويستدل من الثقوب المتناثرة على الجدران بأنها كانت مكمّسة ببطيخة من السرخام أو من الجص ، وتتألف عناصر التزيين والزخرفة في القصر ، من محاريب صغيرة مستطيلة ومربعة لعرض التماثيل ، والمعتقد أن هذا القصر كان مقر حاكم الولاية .



★ أعمدة الشارع المستقيم ★

الحمامات الرومانية

وتتألف هذه من ردهات متعددة لها مدخل رئيسي يفتح على الشارع المستقيم في مواجهة معبد حوريات الماء . وتظهر أمام المدخل بقايا رواق يرتكز فوق أعمدة من الطراز الإيوني . وقبل الوصول إلى ردهات الحمام يمر الداخل ببهو واسع مزين بثلاثة محاريب مرتفعة ، كانت مخصصة على ما يبدو لخلع ثياب المستحمين ، ثم يُنفذ إلى صالة مستطيلة الشكل تفتح على الغرف المعدة للماء البارد والماء الفاتر والماء الحار . ولا تزال الصالة الوسطى محتفظة بسقفها المصنوع من حجر الخفّان . ومن فوق سطح الحمام تظهر بقايا تمديدات المياه الداخلية والخارجية التي تنقل الماء إلى المستحمين . وكانت الحمامات تلعب دوراً هاماً في حياة المجتمع ، وأصبح الاستحمام عادة يومية في مساء كل يوم تمتد على أكثر من أربع ساعات . وكان الدخول إلى



★ دير الراهب ببحرا ★



الحمام مأجوراً ثم أصبح بالبحران عندما أخذت البلديات على عاتقها تسديد نفقات الاستحمام ، أو عندما أخذ الأغنياء يقومون بتشبيدها على حسابهم والالتزام بنفقاتها .

المسرح

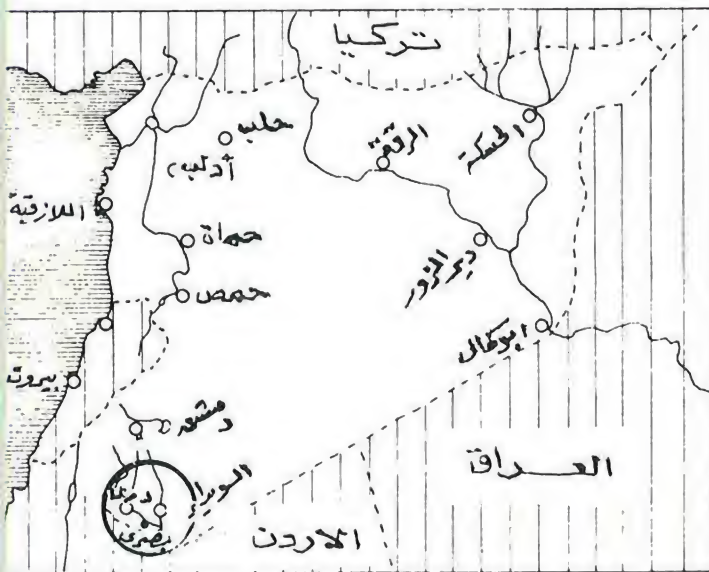
يجمع هذا البناء روعة تصميم البنيان إلى قوة العمارة ودقة الفن الجميل ، وهو الذي يمنح لبصرى الشهرة لكونه المسرح الوحيد الكامل في سائر أنحاء العالم الذي قدمته المدنية الرومانية والذي بقي محتفظاً بمعظم أجزائه وسائر عناصر عمارته حتى أيامنا هذه . ولقد أثار دهشة العلماء والرحالة الذين أشاروا إلى أهميته ولفتوا الأنظار إلى عمارته . ويقول عنه العالم الرحالة « غليوم رائي » الذي زاره عام ١٨٥٤ م : « مسرح عسكري وهو أكثر مما كنا نرجوه كي نشبع نهمنا

الأثري » . أما « الكونت مكليور فيفيه » فيقول في كتابه الشهير عن سورية الوسطى : « بني في العهد الروماني وفي القرن الثاني بلا شك على مقياس هائل ، وهو محفوظ بصورة جيدة ، فإذا أمكن رفع المباني الحديثة التي تحجبه عن الأبصار فإنه يعطينا ، أكثر من أي بناء مماثل سواء كان ذلك في الشرق أو في الغرب ، الصورة الكاملة عن داخل مسرح قديم . فالمدرج منحوت من الصخر البازلي

ويظهر بكل أقسامه . وتبدو منصة التمثيل وجميع تفرعاتها غير منقوصة وهي مزينة بمحاربي وأبواب كبيرة . ويتوج البناء رواق مسقوف على الشكل المألوف في الملاعب الرومانية ، ولكنه اندثر فيها جميعاً . والرواق العلوي كان القسم الوحيد المخصص لجلوس السيدات ، ولا أعتقد أنه يوجد في غير بصرى مثال باق في مكان حتى الآن إذ إن بعض أعمدة الرواق والأفاريز التي تعلوها لا تزال قائمة في



★ سلطان عبد الله المقداد - رئيس بعثة التنقيب الأثري في مدينة بصرى أمام أحد التماثيل المكتشفة حديثاً ★



★ مدينة بصرى على الخارطة ★

متراً وعمقه ٨ أمتار ويفصل عمقها عند الجدار الغربي ١٢ متراً . ويتوسط بناء البركة ركيزة مربعة الشكل أخذت لاستراحة السباحين .

جامع الخضر

يعد جامع الخضر من بين أقدم مساجد المدينة . وأطلق عليه هذا الاسم لأنه يجاور مدفناً منسوباً إلى الخضر . وتدلنا الكتابة فوق مدخل هذا الجامع إلى أنه رُم في عام ٥٢٨ هـ ، بأمر من أمين الدولة « أبو منصور كمشتكين » والي بصرى في ذلك الحين . وبني المسجد على شكل مربع يبلغ طول كل من أضلاعه سبعة أمتار . ويتألف سقفه من صفائح مستطيلة مقطوعة من حجر البازلت تستند على قوسين وجذوع أعمدة من الحجر ذاته . وتنفصل مثذنته عن البناء بممر مكشوف

موضعها الأساسي ، وهي من الطراز الدوري الروماني . ويستمر امتداد هذا الرواق على أجنحة واجهة المسرح بأنصاف أعمدة بارزة على الواجهة . والممرات التي تصل بين أجزاء المدرج ظاهرة وهي تتصل بممرات المدرج الداخلية ومع أقسامه العلوية والأرضية .

وقد بُني هذا المدرج على شكل المسارح الهلنيسستية بحيث تمتد أطرافه إلى أكثر من نصف دائرة ، وترتفع جدرانها إلى ما ينوف عن ٢٠ متراً ، وهو محاط بأبواب أرضية ونوافذ علوية بعضها مفتوح والآخر مغلق . ويتسع هذا المدرج لأكثر من ١٠,٠٠٠ متفرج .

والمدرج ينقسم إلى ثلاثة مستويات مفصولة عن بعضها البعض بمشى تفتح عليه الأبواب المعدة لدخول وخروج النظارة . ويتألف المستوى الأول من ١٤ درجة والثاني من ١٨ درجة والعلوي من ٥ درجات . وتحفظ ساحة العازفين ببلاطها الأصلي على حالته القديمة الذي نستدل منه على أن هذه الساحة كانت تستخدم لإقامة الطقوس الوثنية في الأعياد والمواسم . و يبلغ طول منصة التمثيل ٢٥ متراً بعرض ٨ أمتار .

وهذا المسرح يماثل مسرح مارسيلوس في روما ، ومسرح هرقلانوم ، ومسرح مدينة ساغونت في إسبانيا ومسرح مدينة تيبازا في غربي الجزائر ، ومسرح بولاريجيا في تونس ، لكن مسرح بصرى يفوقها جميعاً في أبعاده وسلامته من عوادي التخريب وصلابة مواد بنائه .

وقد عمدت وزارة الثقافة السورية بالتعاون مع مديرية الآثار والمتاحف إلى إقامة حفلات تمثيلية و عرض بعض ملامح الفلكلور السوري وذلك في خريف كل عام لإنعاش مدينة بصرى التي تعرضت لإهمال شديد خلال بضعة قرون خلت .

القلعة

تعد قلعة بصرى من أهم القلاع المبنية فوق سهل منبسط في مطلع الحروب الصليبية ، ويمكن متابعة مراحل بناء هذه القلعة بفضل الكتابات البارزة على كل واجهة من واجهات أبراجها الستة المحيطة بالمسرح . وتمثل القلعة فن العمارة العسكرية المتقدمة في ذلك الحين ، حتى إن بعض حجارها تزيد في طولها عن الخمسة أمتار طولاً ، وينوف ارتفاعها عن المتر تقريباً .

ويذكر المؤرخ ابن عساكر عن الحروب التي دارت رحاها في حوران بين القيسيين والنجسين ، وأن الهذام قد لجأ إلى المسرح الذي تحول إلى حصن وذلك بسد جميع نوافذه وأبوابه الخارجية بالبناء ، وهذا أسلوب معهود في تحويل الملاعب والمسارح القديمة إلى حصون كما جرى في معظم أقطار البحر الأبيض المتوسط خلال القرون الوسطى .

وفي العهد الأتابكي تمّ بناء ثلاثة أبراج بملاصقة الجدار الخارجي للمسرح ، الأول في الجهة الشرقية بجانب زاوية المسرح الشمالية الشرقية ، ويعود لأوائل القرن الثاني عشر للميلاد ، والثاني بجانب جدار المسرح من جهة الجنوب ، والثالث في الجهة الغربية بجانب زاوية المسرح الشمالية لغربية وتتصل جميع هذه الأبراج بممرات المدرج الداخلية وسائر أقسام المسرح .

بركة الحاج

وقد بنيت على الجانب الجنوبي لسور المدينة القديم في العهد الأيوبي ، لتأمين سفاية قوافل الحجاج أثناء توقفهم في بصرى ، إذ إنهم كانوا يمكثون فيها عشرة أيام بانتظار المتأخرين عن قافلة الحج ، ولتزويد خندق المدينة وأبارها بالمياه اللازمة . وتأخذ البركة شكل مستطيل طوله ١٥٥ متراً وعرضه ١٢٢



★ مدرج بصرى... منظر من الأعلى ★

الجامع في العهد الأتابكي مركزاً للدراسات الفقهية حسب المذهب الحنفي . ومن أشهر من درّس فيه الشيخ صفى الدين أبو القاسم التميمي وولده الشيخ فخر الدين والامير علم الدين سليمان البصراوي ، والشيخ ابن كثير البصراوي ، ثم الدمشقي صاحب تاريخ البداية والنهاية وتفسير القرآن .

الجامع العمري

من أقدم الجوامع الإسلامية المحفوظة حتى عصرنا الحاضر . ويعود تاريخ بناء هذا الجامع إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب . كما أطلق على

ضيق . وفي شمالي الجامع يقع نبع الجهير الذي لا تزال جدرانته المبنية في العهد الروماني قائمة حتى الآن ، ويعتبر موقع هذا النبع النواة الأولى التي نشأت حولها مدينة بصرى في أول عهدها .

جامع مبرك الناقة

يقترن بناء هذا المسجد بذكرات تاريخية متعددة . فعلى أرضه بركت أول ناقة حملت نسخة من القرآن الكريم إلى بلاد الشام وحفظت فيه . ويؤكد البعض أن ناقة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام بركت على أرضه عندما جاء مع عمه بتجارة إلى بصرى ، ثم عندما عاد إليها وهو شاب ومكث فيها أياماً . وأصبح هذا



★ السوق الأرضية اكتشفت عام ١٩٦٨ م ★

الحمام الأتابكي

شيد هذا الحمام في الجهة الشرقية من الجامع العمري ، ويتألف من ردهة واسعة وثلاث مقصورات مستطيلة الشكل . وينسب بناؤه للعهد الأتابكي أي لواخر القرن الثاني عشر بعد الميلاد .

مدرسة أبي الفداء

ويطلق عليها سكان بصرى اسم جامع الدباغة ، وهي في الواقع مدرّس شيدت في عهد السلطان أبي الفداء إسماعيل بن السلطان أبي بكر أيام حياته ، ومدفناً له بعد وفاته ، وتكون مدرسة . وتشير الكتابة البارزة على واجهة البناء الجنوبية المطلّة على بركة الحاج بأن بنائها تمّ في عام ٦٢٢ هـ ، أو ١٢٢٥ م .

منارته اسم مثذنة العروس لارتفاعها عن سواها من مآذن المدينة . وقد شيد الجامع على طراز المساجد التي بنيت في عهد الخلفاء الراشدين ، وهي مسجد الرسول في المدينة المنورة ومسجد عمرو بن العاص في القسطنطينية . ويتألف من ردهة مستطيلة بشكل يستند سقفها على أعمدة تعلوها أقواس متتابعة . ويؤكد العالم كريزويل بسويل بأن مثذنة الجامع التي ترتفع على شكل مربع إلى علو ٢٥ متراً هي أقدم مثذنة لاتزال قائمة في العالم الإسلامي .

وتشاهد زخارف جصية تزين جدران الحرم والمؤلفة من نقوش فاطمية وآيات قرآنية زال معظمها كما يمكن تمييز بقايا نقوش ملونة باقية من العهد العباسي . وفي عام ١٩٣٩ م ، قامت المديرية العامة للأثار بترميم الأقسام المنهارّة من المسجد لإعادته إلى شكله السابق وإتاحة قيام الصلاة في داخله .



★ الباب الغربى (باب الهوى) مع الشارع المستقيم بعد الاكتشاف ★

وهكذا نستشف من خلال استعراضنا السريع لآثار بصرى وتاريخها مدى غناها بالآثار التي لا تزال واضحة المعالم ، آثار تجتذب إليها آلاف السياح والعلماء والباحثين في كل عام ، هذا في الوقت الذي تعمل فيها البعثات الأثرية من وطنية وأجنبية لكشف ما تبقى من آثارها التي لا تزال تنتظر رفع آلاف الأطنان من الأتربة ، أو بعد إزالة الكثير من بيوت الأهلين المتناثرة بين أطلالها .

المراجع

- السيرة الحلبية : ابن اسحق .
- الدليل الأزرق : باريس ١٩٥٦ م .
- بصرى : دليل أثري : سليمان عبدالله المقداد ١٩٦٠ م ، ١٩٧٦ م .
- بصرى الشام : حسين العودات ١٩٦٣ م .
- مسرح بصرى وقلعها : د . سلم عادل عبد الحق .
- القلعة الأيوبية في بصرى اسكي شام : آبل ، ترجمة : بشير زهدي .

ويتكون البناء من صالة مستطيلة الشكل وست غرف بما فيها الغرفة المخصصة للمدفن . وفي نهاية البناء من الجهة الجنوبية محراب وثلاث نوافذ وكان سقف المدرسة مؤلفاً من صفائح مستطيلة من الحجر ترتكز فوق ستة أقواس شاهقة .

مدفن شهاب الدين

يقع بناء هذا المدفن عند الزاوية الشمالية الشرقية لبركة الحاج . ويتألف من مسجد صغير ومدفن ملاصق له . وتدلنا كتابة بارزة فوق مدخل المدفن على أنه قبر للأمير شهاب الدين يوسف ابن الأمير ياقوت والي بصرى المتوفي عام ٤٥٤ هـ ، أو ١٢٥٦ م . وفي الأرض الملاصقة لجدار البركة الشرقية تقوم قبور عديدة يطلق عليها اسم قبور الشهداء .



سلاح المدرعات

الى الشباب
السعودي بطرح

يدعوك... ويحقق لك المستقبل الزاهر

مزايا كثيرة للطالب بعد التخرج :

- ✓ يمنح راتب شهريين بدلي تعيينه .
- ✓ يمنح الرتبة والراتب والعمولة الفنية التي تناسب مستواه التقني .
- ✓ راحة الفرصة له بدخول دورات عسكرية وفنية داخل المملكة وخارجها .
- ✓ تأمين السكن له ولعائلته ضمن مشاريع إسكان وزارة الدفاع والطيران .
- ✓ العديج المجاني له ولطنته يعولهم سريعاً .
- ✓ راحة الفرصة له لاستكمال دراسته المتقدمة .
- ✓ أجهزة سنوية مع إكبابه وعائلته على طائرات الخطوط الجوية السعودية لمكان قضاء الأجازات داخل المملكة .
- ✓ بعد إكمال الخدمة النظامية فله الخيار في الاستمرار أو الاستقالة .
- ✓ يصرف للفر المخصصات التقاعدية بعد استكمال مدة الخدمة النظامية .

مزايا ومنافع الالتحاق :

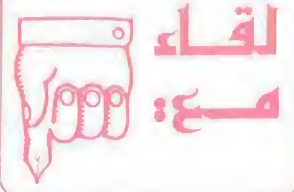
- ١- أنه يكون سعودي الجنسية .
 - ٢- أنه لا يقل عمره عن ١٦ سنة ولا يزيد عن ٢٥ .
 - ٣- حامل شهادة أقل من اربعة ابتدائي يتخرج براتب إجمالي ٢٥٥٠ ريالاً .
 - ٤- حامل شهادة اربعة ابتدائي وأعلى يتخرج براتب إجمالي ٢٧٣٠ ريالاً .
 - ٥- حامل الشهادة الابتدائية وأعلى يتخرج براتب إجمالي ٣٢٣٠ ريالاً .
 - ٦- حامل الشهادة الثانية المتوسطة يتخرج براتب إجمالي ٣٣٥٠ ريالاً .
 - ٧- حامل شهادة الكفاءة المتوسطة يتخرج براتب إجمالي ٣٧٨٠ ريالاً .
- مدة الدراسة من ٤ إلى ٢٠ أسبوعاً فقط .

مميزات أثناء الدراسة :

- ٦- تأمين الإعاشة .
- ٦- تأمين السكن .
- ٦- تأمين الملابس العسكرية .
- ٦- تأمين العلاج للطالب وعائلته .
- ٦- مكافأة شهرية تتراوح بين ٦٠٠ - ٧٥٠ ريالاً .

بادرجمراجعة المنطقة العسكرية التي تسكن فيها... أو
قيادة سلاح المدرعات لمن هم في المنطقة الوسطى
وليزيد من المعلومات يرجى الاتصال بالتليفون
رقم ٥٨٢/٤٠٤٢٨٨٢ أو رقم ٣٠٠٩٣ الرياض .





عبدالله زكريا الأنصاري



أعد اللقاء :

عبدالله الشبيقي

الأستاذ عبد الله زكريا الأنصاري ، اسم لامع في الكويت ، مرتبط بالحركة الأدبية والشعرية وتأليف الكتب بصورة نشطة متميزة بالموهبة الفذة والعطاء الكبير فإميل ولا يكل . إنه يتعايش دوماً مع أحداث وطنه العربية على امتداد جغرافيته ، ويجسد ذلك في معطياته الأدبية والثقافية ، عبر الصحافة والمؤلفات ، وهو من ذلك الرعيل الأول من أدباء وشعراء الكويت ممن لهم أياد بيض على الساحة الأدبية .
وكان « للفيصل » هذا اللقاء مع الأستاذ عبد الله زكريا الأنصاري ، أجاب خلاله على عدد من الأسئلة التي تطرح بعض القضايا والتيارات المعاصرة :

سليبات الأديب وإيجابياته

● ● أين يقف الأديب العربي في المرحلة الراهنة من قضايا الأمة المصرية ، وما سليباته وإيجابياته ؟
● « لا يمكن أن يكون للأديب موقف حر إلا إذا عاش عيشة حرة كريمة ، ولا يمكن أن يعيش عيشة حرة كريمة إلا إذا عاش في بيئة حرة . والأديب العربي في المرحلة الراهنة يعيش في قهر أدبي ، واضطهاد فكري ، إن لم يكن أكثر من ذلك . وأنت عندما تسألني أين يقف الأديب العربي ؟ لا بد أن أقول لك بأنه يقف موقفاً لا يُحسد عليه ، إن لم يكن يقف موقفاً على حافة الهاوية ، وربما تتساءل ولماذا ؟ فأقول لك بأن المواقف التي تحيط به من كل جانب وتؤثر عليه ، مواقف متخاذلة منهكة ، وقد تقول ، ما لنا وللسياسة فنحن نتحدث عن الأديب فحسب ؟ وهنا لا بد أن أجيبك بأن زج الأديب بقضايا أمته المصرية ما هو إلا سياسة في سياسة ، وهل يستطيع الأديب أن يبتعد عن السياسة ؟ فإذا كان الفرد العادي من الناس ينام ويصحو هذه الأيام على الأحداث السياسية التي تهز المنطقة هزاً ، وبالتالي تهزه وتهز أعصابه ، فما بالك بالأديب الذي يعتبر نبض الأمة وترجمانها ؟ إذن فالسياسة في وطننا العربي تؤثر على كل فرد من أفراد

الحياة والأدب والشعر والمراة

وهل هناك أدب رجالي وأدب نسائي ؟

● « هذا القول لا ينطبق على الواقع ، كل الواقع ، فإذا كانت هناك امرأة خلقت ليقال فيها الشعر ، ويتغزل بها ، ويدلها وجمالها وفتنتها وسحرها وبهاء طلعتها ، وكذلك بثقافتها وفكرها وأدبها وروعة منطقها إلى آخره . فهناك امرأة أخرى خلقت لتقول الشعر ، وتتغنى به ، بل وتغني به وتحرك المشاعر والأفئدة ، وتطرب العقول والقلوب أيضاً .

المرأة إنسان مثلي ومثلك ، تقول الشعر مثلي ومثلك ، بل أحياناً أحسن مني وأحسن منك ، ولا يتوقف هذا وذاك على جمال المرأة ، فجمال المرأة لا يؤثر على مدى شاعريتها ، فالمرأة الشاعرة شاعرة سواء كانت جميلة أو غير جميلة ، ذلك أن الشعر موهبة وإلهام ، والموهبة والإلهام تكون في الناس — بعض الناس طبعاً — والناس هم رجال ونساء على حد سواء ، فهناك امرأة جميلة شاعرة ملهمة ، وهناك امرأة شاعرة ملهمة أقل جمالا ، بل قد تكون قبيحة ، والجمال والقبح يختلف في أنظار الناس ، فإني أراها جميلة فاتنة قد تراها قبيحة ، والتي تراها رائعة ساحرة قد أراها غير ذلك وهكذا ، بل لعل هناك جمالا متفقاً عليه في موازين الجمال لا يجذبني ولا يجذبك ، بينما تجد جمالا لا تنطبق عليه موازين الجمال يفتنني ويأخذ بمشاعري ، ويأسر لبك ويفتن قلبك .

الامة مهما كانت منزلته ، والأحداث تتتابع بشكل خفيف ، والساسة يعيشون في دوامة من هذه الأحداث ، ولا يدرون كيف يواجهونها ، وكيف يحافظون على امتيازاتهم ، ذلك أن مواجهتها مواجهة صادقة يقتضي منهم التخلي عن امتيازاتهم ، والنزول عن كراسي الترف والرفاه والتلاعب بقوت الشعوب وتراهم في خيص بئس ، ولذلك ترى أكثرهم يفتعل المشاكل بينه وبين شعبه افتعالا ليعبده عن واقع الحال ، وترى البعض الآخر يرمي بنفسه في أحضان الطامع القوي عله يصبح حامياً له ولا امتيازاته حتى ولو ألقى بكل مصالح شعبه رهينة للعدو ما دام لا يريد أن يتخلى عن امتيازاته ، إذن ألا ينعكس ذلك على الأدب الواعي ؟ وحتى هذا الأدب الواعي تراه يعيش في قهر لا يستطيع معه إلا التمزق أو السير في ركاب سيده المتهالك المستسلم ، أفهذا موقف يُحسد عليه ؟ وهل يُحسد إنسان على موقف يؤدي به إلى الهاوية ؟

ومع كل ذلك فهناك أدباء ارتفعت أصواتهم قليلاً ، لكنها سرعان ما خفت ، بعضهم ضُرب عليه نطاق العزلة والحرمان من الكتابة ، وبعضهم لاقى مصيراً سيئاً ، وبعضهم فر هارباً من الظلم والطغيان الذي يراه ويعتقده ، بعيداً وراء الحدود يصرخ ويستصرخ ، وبعضهم فقد وعيه حقاً وحقيقة ، ومضى مع الركب ، وغير اتجاهه وميوله حسب المطلوب ، وبعضهم طأطأ برأسه حتى تمر العاصفة حسب قوله ، وتتغير الأحوال وتتصلح الأوضاع . وبين هؤلاء وأولئك هناك نفر من الأدباء الذين آثروا أن يطووا أوراقهم ، ويلملموها ويضعوها في الأدراج ، ويُغمدوا أقلامهم ويدخلوها في أجريتها أو في أغمارها حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً . لكن الدماء لم تسلك ، والأرواح لم تزهد ، والبرؤوس ظلت في أماكنها ، والشاعر العربي يقول :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يُراق على جوانبه الدّم

وإذا أردت أن أختصر الإجابة على سؤالك لم أجده ما أقوله إلا أن سلبيات الأديب العربي كثيرة ، وليست له إيجابيات بالنسبة لهذا الطوفان الذي يهب علينا بعنف ، وأستدرك فأقول إلا ما قلّ ونذر ، وتلك هي الأسباب والمسببات .

المرأة . . والشعر والأدب

● يُقال أن المرأة خلقت ليقال فيها الشعر لا لتقول الشعر ؟ رأي الأستاذ الأنصاري بالمرأة الشاعرة من هي ؟

عبد الله زكريا الأنصاري في سطور

- من مواليد الكويت عام ١٩٢٤ م .
- تلقى علومه وثقافته في الكويت .
- كان مسؤولاً عن « بيت الكويت » في القاهرة .
- مثل بلاده في عدد من المؤتمرات الدولية والعربية .
- من مؤلفاته : « فهد العسكر » ٤ طبعات ، « الساسة والسياسة » ، « البحث عن



استعدادنا ومقدرتنا ، شباباً وشيوخاً ، رجالاً ونساءً على حد سواء ، فالأدب الذي تكتبه النساء لا يختلف عن الأدب الذي يكتبه الرجال ، والأدب الذي يكتبه الشباب مثل الأدب الذي يكتبه الشيوخ ، يتمتع من منبع واحد ، من النهر الكبير ، ويصب فيه بالتالي ، أي يأخذ ويعطي . إنه أدب واحد يحتوي على مختلف عناصر الحياة ، مني ومنها ، ومنك ومنها إلى آخره . إذن لا بد أن نُسقط تجزئة الأدب ، بل لا بد أن نضرب صفحاً عن هذا القول ، فالأدب لا يمكن تجزئته ولو حاولنا ، والذين يقولون غير ذلك هم وشأنهم ، وسيبقى الأدب أدباً واحداً يغرف منه الجميع ، ويعطيه الجميع ، ويظل بعد ذلك أدباً يسقي الجميع ، ويفيد الجميع بقدر استعدادهم وتقبلهم لعطائه الذي لا ينفد » .

مواجهة النفس بالنقد

- نريدك (كناقد) أن تقوم نتاجك : أين مواضع الرضى عنه وأين مواضع التحفظ منه والانتقاد له ؟
- « لا يحق لي أن أقوم نتاجي ، بل لا يحق لأي كاتب أو شاعر أن يقوم نتاجه ، لأن مثل هذا التقييم سيكون باطلاً لا يُعتد به ، فقد لا

هناك امرأة جميلة نتغنى بها ونتغزل بجمالها وفتنتها ، ومع ذلك فهي شاعرة تعبر عن مشاعرها بشعر نابض بالحياة والوجدان ، وهناك امرأة جميلة خلقت فعلاً لنقول فيها الشعر ونهم بجمالها ودلالها ، ولا تصلح أبداً أن تقول الشعر مهما حاولت ومهما تشبثت بأذياله ، إذن فالقول بأن المرأة خلقت ليقال فيها الشعر لا لتقول الشعر ، قول مردود على صاحبه ولا نوافق عليه .

إن المرأة الشاعرة هي تلك التي تتوفر فيها عناصر الشاعرية مثل كل الناس ، ولو حاولنا الدخول في شرح عناصر الشاعرية لطلال بنا المقال وتشعب . إن عناصر الشاعرية تتوفر في الإنسان فيصبح شاعراً ، سواء كان امرأة أو رجلاً ، ألم تُلُفت نظرك أخيراً بعض الأصوات الشعرية الجيدة التي أخذت تنطلق بيننا هذه الأيام ؟ ألم تقرأ شعر بعض الشاعرات الطالعات على قُلُوبهن ؟ هذا عندنا في الكويت ، ولعل هناك شاعرات عربيات أخريات لا نعلم عنهن شيئاً . إذن فالمرأة لا تختلف عن الرجل في الموهبة الشعرية ، قد يكون عدد من أقل حسب ظروفهن ، لكنهن مثلي ومثلك في مواهبهن الشعرية وغير الشعرية . أما سؤالك إن كان هناك أدب رجالي وأدب نسائي ، فطالما رددنا القول في هذا الموضوع ، ورفضناه جملة وتفصيلاً ، وقلنا إن الأدب واحد . إنه نهر كبير يجري في قلوبنا وعقولنا نغرف منه بقدر طاقتنا وبقدر



الإسلام» ، «مقالات من الصحف» ، «صقر الشيب» ، «روح القلم» ، «خواطر في عصر القمر» .

- وله عديد من الدراسات والقصائد الشعرية .
- عضو رابطة الأدباء الكويتيين .
- يعمل حالياً مديراً لإدارة الصحافة والثقافة بدرجة سفير في وزارة الخارجية الكويتية .

يُوجَّه إلى أي إنسان سواء كان أديباً أو غير أديب ، شاعراً أو غير شاعر . دع الآخرين الذين يرونك عن كثب ، ويُبصرونك عن بُعد ، يُقَوِّمُون نتاجك ، ويحكمون عليك وعلى تصرفاتك التي قد تراها صائبة وهي خاطئة ، وقد تراها حسنة وهي سيئة ، أليس كذلك ؟

المؤتمرات الأدبية

●● ماذا عن المؤتمرات الأدبية الدورية في الوطن العربي ؟ إلى أي مدى تؤيدها أو ترفضها ؟

● ليس كل المؤتمرات ، لكن أكثر المؤتمرات الأدبية الدورية في الوطن العربي باطلة ، لأنها تقوم على باطل ، وقد تسأل ، ولماذا أكثرها باطل ؟ وأقول لأن الذي تمثله باطل ، وقد تسأل أيضاً ، ولماذا الذي تمثله باطل ؟ فأقول لك بأنه قائم أو يقوم على غير أساس متين ، لماذا ؟ لأن الأهواء متعددة ، والميول متعاكسة ، والرغبات متضاربة . صحيح أن الوطن العربي وطن واحد ، لكن هذا الوطن ما زال أهواء وميولا ورغبات ، والذين يمثلون هذه الرغبات والميول والأهواء يعكسونها ، أو يعكسها أكثرهم على حقيقتها ، بل إن أكثر هؤلاء الممثلين لا يمثلون الأدب وحقيقة الأدب الذي قدموا من أجله ، وإنما يمثلون تيارات متضاربة متعاكسة متعددة ، ولو كان الأمر غير ذلك لازدهر الأدب وتقدم .

إن كل ممثل من هؤلاء الممثلين تُعد عليه أنفاسه ، وتُحصى عليه كل كلمة تخرج من فيه ، بل ربما أولت وحُورَّت وحُرِّفَت ، والأدب يعكس الحياة الأدبية التي يعيشها الأديب ، ويصور الحالة الاجتماعية التي يعانيها ، ويعبر عن المعاناة التي يعانيها ، ذلك أن الأديب ترجمان لمجتمعه ، ولا بد لهذا الترجمان أن يرسم المشاهد المتحركة في محيطه وبيئته المحلية وغير المحلية من وطنه العربي ، ولما كان وطنه غير موحد وتحكمه نظم وأحكام مختلفة ، أصبح من المتعذر على الماسكين بهذه الأزمة من الأحكام والنظم أن يوفدوا ممثلين يقولون ما يعتقدون ، ويتكلمون عن الحقائق والوقائع كما يشاهدونها ، لأن مثل هذه المشاهد والوقائع لا تأخذ مجراها السليم . ولهذا ترى الممثلين لا يمثلون الأدب بسوجه النقي الواضح بقدر ما يمثلون الأنظمة التي أوفدتهم ، وهذا ما نشاهده مع الأسف الشديد في معظم المؤتمرات الأدبية .

إذن نعود فنقول إن الأديب الحر ليس حراً في كل ما يقول ويكتب ، والأديب الحر الذي يؤمن بالحرية ولا يحيد عنها لا يغيب عنه

أرضى عن نتاجي ويخالفني فيه الآخرون ، وقد أرضى عن بعضه ولا يرضى عما رضىته الآخرون ، وقد أقوم نتاجي تقوياً متحيزاً . والذي يستظل بظل الشجرة لا يمكنه أن يصفها ويصف محاسنها ومزاياها إن كانت لها محاسن ومزايا ، ولا يستطيع وصف عيوبها وما يعتورها من مثالب ونواقص ، أو من قبح وبشاعة ، والسبب أنه غير قادر على رؤيتها رؤية سليمة شاملة ، قد يرى جانباً من جوانبها ، لكنه غير قادر على رؤية بقية جوانبها .

الإنسان مليء بالعيوب والمثالب إلا أنه لا يرى عيوبه ومثالبه كما يراها الآخرون ، وقد يرى بعضها ، بل قد يحسب عيوبه ومثالبه مزايا ومحاسن وهي ليست كذلك ، إذن فلنترك للآخرين حرية نقدنا وكشف مثالبنا وعيوبنا ، على أن يكون الناقد ناقداً حراً ، وأعني بالناقد الحر ، الناقد النظيف الذي لا ينقد عن هوى شخصي ، وميل عاطفي ، الناقد المجرد من مثل هذه العيوب ، ولعلك أردت أن تقول بأننا هذه الأيام لا نرى الناقد الحر النزيه ولذلك لا بد لكل كاتب وشاعر أن ينقد ذاته ، وهذا في رأيي المتواضع رأي خاطئ ، وأين الإنسان الذي يتجرد من عواطفه وميوله عندما يبدأ بنقد نفسه ، وتقويم نتاجه ؟

لو فرضنا وارتكبت مثل هذا الخطأ الفادح وقومت نفسي ونقدت إنتاجي ، هل تصدق حقاً ما أقول ؟ ولو قلت لي إنني حقاً أصدقك ، وأوافق على ما تقوله ، سأجيبك بلا تردد بأنك لا تقول حقاً ولا صدقاً ، ولا أصدقك أبداً بأنك تصدقي وتصدق نقدي ، والذين يصدقون تصديق الآخرين ، حتى ولو كان تصديقاً لصدقهم ، غير صادقين . يقول أبو العلاء في هذا المعنى أو ما شابهه عن نفسه وعن الآخرين :

عيوبي إن سألت بها كثير
وأني الناس ليس له عيوب
ولإنسان ظاهر ما يراه
وليس عليه ما تخفي الغيوب
يجرون الذبول على الخازي
وقد ملئت من الغش الجيوب
وكيف يصوّل في الأيام ليث
وقد وهت الخالب والنيوب

إذن فسؤالك هذا ليس لي جواب عليه ، بل سؤال بودي أن لا



وافقناه على رأيه ، وإذا كانت حجة المدافع عن الحديث منطقية واقعية مقنعة أيدناه وضممنا صوتنا إلى صوته . إلا أن المشكلة أنك لا ترى في أكثر المؤيدين والمعارضين المنطق القويم ، والرأي السديد والحجج المقنعة ، وهذا يدل على أنهم يعارضون حسب أهوائهم ، إن لم تكن معارضتهم مجرد المعارضة ؛ ويؤيدون حسب ميولهم إن لم يكن تأييدهم مجرد التأييد فقط .

أجل من طبيعة الحياة أن يقوم الصراع بين القديم والحديث ، لكن ما هو الحديث الذي أعنيه والذي اقتضت طبيعة الحياة أن تحله محل القديم ؟ لا شك أنه الحديث المتجدد الذي لا بد أن يحل محل القديم الذي انتهت مهمته ، وتعدته الأيام ، ولم تعد تتقبله لتنافيه وأذواق الناس وأفهامهم ، ولأن مدته انتهت ، واستهلكته الحياة .

الحياة متغيرة متطورة ، ولا بد أن يكون التطور والتغير إلى الأحسن ، وعقارب الساعة لا ترجع إلى الوراء كما يقولون ، ولهذا فالحياة لا بد وأن تسير إلى الأمام ، وفي سيرها المتواصل المستمر لا بد أن تأخذ الأمور فيها مجراها الصحيح ، ومواقعها المقررة ، فكل أمر من الأمور يقاوم الأمر الآخر الذي يحاول أن يحل محله ، ولا بد أن تزول الأمور القابلة للزوال ، وتبقى الأمور الصالحة أو القابلة للبقاء ، وليست كل أمور الحياة فاسدة ، فالفساد لا بد أن يحوّه الصالح وهكذا قالوا في القديم ، وفي الحديث أيضاً ، أن البقاء للأصلح . فبعض القديم الذي ثبتت صلاحيته لا بد أن يقاوم ويتغلب على الحديث الفاسد ، لذلك ترى الصراع مستمر ومتواصل بين القديم والحديث . ولا يصح إلا الصحيح .

إن أمور الحياة شتى مختلفة متنوعة ، والأدب والشعر وغيرهما من الفنون الأخرى ، من أمور الحياة ، ولهذا فالصراع قائم بين الجديد والقديم من هذه الفنون ، الشعر الحديث يحاول أن يحل محل الشعر القديم ، وكذلك الأدب من نثر وقصة وفنون أخرى ، لكن متى يقضي الشعر الحديث على الشعر القديم ويحل محله ؟ هذا هو السؤال ، وهو يتردد في مجال الأدب على مختلف ألوانه وأشكاله .

ونحن نتساءل هنا : هل هذا الشعر الذي يسمونه حديثاً حديث حقاً ، وهل ينتسب إلى الشعر العربي ؟ أم أن له أصولاً أخرى غير عربية ؟ ونقول أنه إن كانت له جذور وأصول عربية لا بد وأن يأخذ مجراه الطبيعي في الحياة الحديثة ، أما إن كانت جذوره وأصوله غير عربية فلن يحل محل الشعر العربي القديم ، ولن يأخذ

وعيه في نوع الأنظمة التي تحكمه وتتحكم في حريته وتصرفاته ، وإذا وجد مثل هذا الأديب الحر اضطره وحورب على شتى المستويات . لهذا لا بد أن يكون النظام واحداً في الوطن العربي ، حتى لا تكون هناك أهواء وميول في اختيار الممثلين ، أو في ما يترجمه الأديب ويعبر عنه ، وحتى تتوحد المصلحة العربية في جميع أنحاء الوطن العربي ، ولا يكون هناك حاكم يبي ، وحاكم يهدم ما بينه الآخرون ، بل وطن واحد ، ومصلحة واحدة ، وممثلون حقيقيون أحرار لهذه المصلحة ، وهذا الوطن . إذن فانا أرفض أكثر المؤتمرات الأدبية ، الدورية وغير الدورية ، تلك المؤتمرات التي تقوم أو تقام في الوطن العربي ، ذلك أن هذه المؤتمرات لا تمثل إلا الأنظمة .

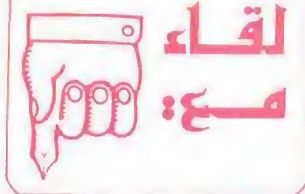
معركة القديم والحديث

● هذا الصراع الدائم بين القديم والحديث ما موقفك منه كقارئ وأديب ؟ سواء في الشعر أو القصة أو الأساليب النقدية قديماً وحديثاً ؟

● « ليس كل قديم منبوذ ، وليس كل حديث مقبول ، وليس كل قديم مقبول ، وليس كل حديث منبوذ . هناك قديم يجب الحفاظ عليه لأنه قديم يتجدد ، وهناك حديث يجب تقويضه والقضاء عليه لأنه حديث متقادم لا يقبله العصر .

من طبيعة الحياة أن يقوم الصراع بين القديم والحديث ، ومن طبيعة الإنسان أن يتابع هذا الصراع ، ويبدى فيه رأيه ، والإنسان أنواع متنوعة من الميول ، والاتجاهات ، وكل حسب تكوينه تتعدد الآراء ، وتختلف الأفكار ، وقل أن تتفق ، لا سيما على الأمور التي لا تلمس إلا بالفكر ولا تقاس إلا بالعقل ، أعني الأمور الخارجة عن حيز الجمع والطرح في علم الحساب ، فعلم الحساب لا مجال للاختلاف فيه ، فالواحد زائد واحد يساوي اثنين ، والاثنان ناقص واحد يساوي واحد وهكذا .

الحياة فيها قديم وفيها حديث ، والقديم هو الذي مرت عليه السنين وابتعدت به الأيام والليالي ، والحديث هو الذي يسير في طريقه إلى القدم . هو اليوم حديث ، لكنه قديم في المستقبل ، وفي الماضي كان القديم حديثاً . أما الناس فطبايع ، بعضهم يهوى القديم ويحافظ عليه ، وبعضهم يكره القديم ويحاول إلغاءه . فإذا كانت حجة المحافظ على القديم مبنية على العقل والمنطق والأدلة المقنعة على صلاح القديم



والحكاكة ؟ يقول الشاعر :

وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدًّا طِبَاعَهَا

مُتَطَلِّبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارٍ

لا بد أن تأخذ الأيام طبيعتها ، تمنح الطالع ، وتتقبل الصالح فتأخذ منه . تلفظ الميت ، وتتقبل الحي ، وهكذا الحياة .

لكن كيف بالقديم المتجدد أو ما هو القديم المتجدد ؟ وهل هناك قديم متجدد ؟ أم أنها بدعة نبتدعها ؟ إنها على كل حال ليست بدعة نبتدعها ، فالقديم المتجدد نتاج عقل وفكر إنساني ناضج ، ونضوج الأفكار تكون في القديم وتكون في الحديث على حد سواء . فالإنسان أو المفكر الواسع الخيال ، الشاقب النظر ، المتفتح البصيرة ، الواسع العقل ، موهبة ، وهذا الإنسان الموهبة جاء في القديم كما جاء ويحيى في الحديث ، ولا بد أن يكون نتاجه مبدعاً ، وقد تجد موهبة إنسانية فذة آتت في العصور القديمة استطاعت أن تنفذ بعقلها وببصيرتها وتخرق عصوراً كثيرة ، وتكتشف بذكائها أموراً لم تصل إليها العقول في العصور الحديثة .

هل نترك القديم على علاقته ونأخذ بالحديث على علاقته أيضاً ؟ أم نختار المضي المتجدد من القديم ونترك الفاسد المتقادم من الحديث ؟ وهل اختيارنا للمضي المتجدد من القديم ازدراء بالحديث الجيد ؟ وهل تركنا للفاسد المتقادم من الحديث تهالك على القديم ؟

لا هذا ولا ذاك ، والذين يرسلون القول قدحاً أو مدحاً في القديم على علاقته ، دون تمحيص واختيار ، كالذين يرسلون القول مدحاً أو قدحاً في الحديث على علاقته دون غريفة وانتقاء . كلهم على ضلال ، وجلهم إن لم يكن كلهم ، هواة جدل ونقاش ، والنقاش والجدل اللذان لا يقومان على أساس المنطق والبحث عن الحقيقة لا يؤديان إلى نتيجة منطقية . فهل وجدت في مُحُوركَ في أنهار صحفنا ومجلاتنا الكثيرة المتعددة من يجادل إلا حباً في المجادلة لا حباً في معرفة الحقيقة ، ومن يناقش إلا رغبة في النقاش لا رغبة في الوصول إلى المعرفة ؟

هذا يزدرى بالحديث ويشيح عنه وجهه ، وذاك يبطش بالقديم ويحاول إلغاءه . فهل الحال التي أوصلتنا إلى هذا الانحدار نتيجة هذا العبث ، والتخطي في تفكيرنا ، بل الخطي واللبط في مياؤ تزيدها كدراً على كدر ، ولا نعرف كيف الخروج من هذه المياه الكدرة التي تكاد أن تُخمد أنفاسنا وتُزهق أرواحنا .

أي مجرى في الحياة العربية الحديثة ، وكذلك بقية الفنون !

إنك ترى كثيراً من القول يأتي به أصحابه على شكل شعر ويسمونه شعراً حديثاً ، لكن الطبيعة العربية غير قادرة على تقبله ، نعم هناك شعر حديث يأتي به أصحابه ويكتبونه فتقرأه وتتجاوب معه وتحس بأصالتها العربية ، أوزانه تتعدد ، وقوافيه تختلف ، وأنغامه مؤثرة في موسيقاها وإيقاعها ، وبعضه تراه ملتزماً بأوزانه وقوافيه وأنغامه ، تتجدد فيه المعاني ، وتسمو فيه الرؤى والأخيلة ، وتتجدد صوره ، وترق أساليبه . لا شك أن هذا شعر حديث بكل ما تحمله كلمة الحداثة من معنى ، إذن سيظل في مكانه وسيحطم الموجات الدخيلة التي تحاول النيل منه ، أو زحزحته من مكانه ، فإذا تريد منه الحياة ، ما دام التغير والتطور يجري في عروقه ، وفي دمه ، إنه يمدها بكل معنى حديث ، ويزودها بكل إبداع يدفعها إلى الأمام .

أما المقارنة التي ترى عقدها بين القديم والحديث فالجمال هنا يضيق ، ولا بد أن تكون المقارنة شاملة بين هذا وذاك ، لكن قلُّب صفحات مجلاتنا وجرائدنا فسوف يهولك الأمر وترى الكثير الكثير من الشعر الهراء الذي يمكن أن يُضرب به المثل على الرداءة والسماجة والسقوط ، سواء كان على شكل الشعر الحديث أو على الشكل القديم .

الحداثة تدل على الجدة ، وتدلل على الابتكار ، وتدلل على الإبداع أيضاً ، وإذا خلت الحداثة من هذه المميزات انتفى منها معنى الحداثة .

هل الحداثة بافتعال الأشياء افتعالا ؟ وهل الحداثة الاتيان بكل غريب حتى ولو كان غير معقول ؟ وهل معنى الحداثة أن تأتي في العصر الحديث حتى ولو كان هذا الحديث لا يتماشى وطبيعة العصر ؟ وهل من معاني الحداثة هدم القديم وتقويضه حتى ولو كان صالحاً مفيداً ؟ إنها كارثة ما بعدها كارثة أن نعمل على هدم كل قديم وتقويضه ، إذن نضل من غير جذور ، ومن غير قاعدة نعتمد عليها ونتكى !! وكيف يسير الإنسان في عيشه من غير قاعدة ؟ وهل يستطيع الإنسان حقاً أن يخطط لمستقبل سيره من دون جذور قديمة وتجارب من الأحداث التي تمر به ؟

الحداثة لا بد أن تكون في فكر الشاعر وفي قلبه وفي عقله أيضاً وبالتالي لا بد أن تنعكس على إنتاجه . كيف تريد حداثة من فكر متحجر متخلف ؟ وكيف تريد حداثة عربية من فكر يمج شعراً لا ينتمي الأصالة العربية ؟ وكيف تنتظر حداثة من فكر يمج شعراً لا ينتمي إلى جذور عربية ؟ وكيف تريد حداثة من فكر لا يعرف إلا التقليد

«إن اللغة العربية ، والحضارة العربية
الإسلامية تزودان الدارس لهما بنظرة جديدة
إلى العالم» .

هنري لوسل
جريدة «لوموند» الفرنسية



العقائد

وعبقرية اللغة العربية

بمقام : جلال العشري

في ذكرى صاحب العبقریات ، الذي كتب عن عبقرية محمد الرسول الكريم ﷺ
وعبقرية إبراهيم أبي الأنبياء ، وعن عبقرية أبي بكر وعمر وعثمان وعلي من الخلفاء ، وعن
عبقرية خالد بن الوليد وعمرو بن العاص من القواد ، وعن عبقرية ابن سينا وابن رشد
من الفلاسفة وعن عبقرية ابن الرومي وأبي نواس وأبي العلاء المعري من الشعراء ، وعن
عبقرية محمد عبده ومحمد علي جناح من المصلحين في الإسلام .

أقول إنه في ذكرى صاحب « اللغة الشاعرة » الذي أولى هذه اللغة كل عناية
واهتمام ، ودافع عنها في كتبه وكتاباتة دفاعه عن الإسلام وعن عباقرة الإسلام ، حتى
أن جملة ما كتبه عنها يمكن أن يشمل كتاب جامع يطلق عليه « عبقرية اللغة
العربية » جرياً على عادة العقاد في إطلاق الأسماء ، وهو اسم يجيء حقاً وفقاً
لمسياه ، يحلونا في هذه الذكرى أن نتناول هذا الجانب من جوانب الفكر العقادي .
فنلقي عليه مزيداً من الأضواء ، نتحرى بها إبراز المزايا العلمية لهذه اللغة الشاعرة في
هذا الوقت بالذات ، لأن الحاجة إلى إبراز هذه المزايا كما يقول العقاد ، تمس غاية
المساس في زمن تعرضت فيه هذه اللغة وحدها ، بين لغات العالم لكل ما ينصب
عليها من معاول الهدم ، ويحيط بها من دسائس الراصدين لها ، لأنها قوام فكرة
وثقافة وعلاقة تاريخية ، لا لأنها لغة كلام وكفى !

في ذكرى العقاد صاحب هذه العبقریات ، الذي كتب عن « اللغة العربية »
باعتبارها اللغة التي تكلم بها هؤلاء جميعاً ، واللغة التي تكاد تنفرد بمزاياها الخاصة في
الفن والتعبير ، عن سائر لغات العالم ، واللغة التي هي أصلح ما تكون للعلم
والحضارة ، للادب والفن ، للصحافة والإعلام . اللغة التي هي حقاً اللغة
الشاعرة ، لا لأنها لغة شعر وحسب يكثر فيها الشعر والشعراء ، ولا لأنها لغة

شعرية وكفى تنفرد بفن العروض المحكم أو بجمال وقعها في الاسماع ، وإنما هي لغة
شاعرة تصنع مادة الشعر وتمثله في قوامه وبنائه ، إذا كان قوامها الوزن والحركة ،
وليس لفن العروض ولا للفن الموسيقي كله قوام غيرها ، ثم هي بعد هذا كله ،
وقبل هذا كله لغة القرآن الكريم .

ولقد اتضح هذا الهدف جلياً منذ أواخر القرن الماضي وطوال هذا القرن ، وذلك في حملات « التغريب » التي شنها النفوذ الغربي وأعوانه في آسيا وإفريقيا ، مصوباً سهامه إلى صدر التراث العربي الإسلامي بوجه عام ، وإلى قلب اللغة العربية بوجه خاص .

ولكن قادة الفكر في الأمة العربية سرعان ما تنبهوا لهذه الحملات ، وأدركوا الهدف من وراءها ، فانبروا لتفنيد دعاوى المبشرين والمستشرقين ودعاة « التغريب » تفنيداً يبتعد عن العاطفة والانفعال بمقدار ما يقترب من الفكر العلمي والعقل المنطقي ، فها هو السيد جمال الدين الأفغاني يتصدى للرد على دعاوى « ارنست رينان » كما يتصدى الإمام محمد عبده لتفنيد مزاعم « جبريل هانوتو » ويتصدى قاسم أمين لدحض أقاويل « الدوق داركور » ويتصدى مصطفى عبد الرزاق لمناقشة آراء « تمان » و « لامانس » ، و « جوتييه » . فهؤلاء جميعاً أدركوا أن هدم اللغة العربية يحمل في طياته تقويضاً لمفاهيم الإسلام ، لأن العربية هي لغة القرآن ، كما يحمل في طياته كذلك تقويضاً للتراث العربي ، لأن العربية هي لغة التراث ، ويحمل في طياته أخيراً تقويضاً للقوام العربي ، لأن العربي لا قوام له يميزه عن سائر الأقوام غير لغته العربية .

أصل الأصول

ثمّة طائفة من الأصول التقليدية ، اقتضى ثباتها ثبات هذا القوام العربي على مرّ العصور وتتابع الأجيال وكانت اللغة العربية أو بالأحرى اللغة المعربة الفصحى هي القاسم المشترك الأعظم بين هذه الأصول ، فالإنسان العربي له طابعه البدوي القديم الذي لم يخلص منه أبداً ، ومن يتخلص منه أهدى الدهر ، مهما حاول البعض تحويله عن هذا الطابع ، واللغة العربية لها أثرها وتأثيرها في ثبات هذا الأصل من أصوله التقليدية ، والأدب العربي يحتفظ بأصل من أصوله التقليدية الذي لم يستطع أحد أن ينحرف عنه ، مهما كان من أصحاب التكلف أو التصنع أو البدع ، ألا وهو عمود الشعر ، الذي مهما حاول الشعراء أن يجددوا فيه ، فقد ظلوا دائماً محتفظين بفصاحة اللغة وجزالتها ، وبرونق الأسلوب وورصاته ، لأن اللغة المعربة الفصحى هنا ، ليست مجرد أداة للتوصيل أو التبليغ ، ولكنها عتاد للقلوب والعقول والأرواح .

وليس الشعر وحده باعتباره أحد جناحي الأدب العربي ، بل النثر كذلك ، فالنثر العربي لا يميل إلى التبعثر وإنما يعنى بها أشد العناية ، فهو أدب منطوق مسموع قبل أن يكون أدباً مكتوباً مقروء ، وهو من أجل هذا حريص على أن يلبذ اللسان حين ينطق به ، ويلذ الأذن حين تسمع له ، ويلذ الوجدان حين يصغي إليه . ثم بعد هذا كله أو قبل هذا كله ، يجيء القرآن الكريم ، الذي نزل به الله قرآناً عربياً ، ليكون آية الآيات في الإعجاز اللغوي والإعجاز البلاغي ، فيقتضي ثبات هذه الأصول ، ويقتضي المحافظة التي امتاز بها الجيل العربي بين الأجيال .

وليس أدل على ذلك كما يقول الدكتور طه حسين من « أن العرب في جميع عصورهم لم يعنوا بشيء قط عنايتهم بفصاحة اللفظ وجزالته ، ورقيق الأسلوب وورصاته ، وقد جعلوا الإعراب واصطفاء اللفظ والملاءمة بين الكلمة والكلمة في الجرس الذي ييسر على اللسان نطقه ، ويزين في الأذن وقعه ، أساساً لكل هذه الحاصلات » .

فإذا أضفنا إلى هذا جميعه ، ما للغة العربية من أثر في تكوين عقلية الإنسان العربي ، وتدبير تفكيره ، وتصريف أفعاله ، وهداية سلوكه ، يفوق كل أثر سواء ، فضلاً عن المشاركة الروحية العميقة . . . مشاركة العقيدة ، ومشاركة التراث ، ومشاركة التاريخ ، ومشاركة الحضارة ، التي تقوم في صميمها على الوعي النابع من تلك اللغة ، أدركنا على الفور عظم الإحساس بالمسؤولية التي أحس بها العقاد ،

فراح يدافع عن لغتنا العربية كل هذا الدفاع ، وبولها من اهتمامه كل هذا القدر فهو يقول :

« إن الحملة على اللغة في الأقطار الأخرى إنما هي حملة على لسانها أو على أدبها وثمرات تفكيرها على أبعد الاحتمال ، ولكن الحملة على لغتنا نحن حملة على كل شيء يعنيننا ، وعلى كل تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية ، وعلى اللسان والفكر والضمير في ضربة واحدة » .

وتفسر ذلك عند العقاد أن زوال اللغة في أكثر الأمم يبقيا بجميع مقوماتها غير ألفاظها ، ولكن زوال اللغة العربية لا يبق للعربي أو المسلم قواماً يميزه عن سائر الأقوام ، ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم فلا تبقى له بقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا إيمان . .

لغة وعي ولغة شهادة

وليست اللغة وسيلة تعبير وكفى كما قد يظن ، بل هي فوق ذلك عند أصحابها وسيلة تفكير ، فقوالب التفكير عند من كانت لغته هي العربية ، غير قوالب التفكير عند من كانت لغته هي الفرنسية أو الإنجليزية أو غيرها ، ومن هنا استحالت الترجمة الكاملة من لغة إلى لغة أخرى إلا على وجه التقريب ، وكان من باب أولى استحالة ترجمة القرآن الكريم إلى أي لغة أجنبية ، لأن محاولة القيام بترجمة القرآن إما أن تكون صادرة عن سوء فهم أو عن سوء نية أو عن الانسداد معاً ، لأن هذه المحاولة لا يمكن أن تستهدف إلا تقويض مبادئ الإسلام .

فلماذا تشترط اللغات الأوروبية ، كما يتساءل الدكتور زكي نجيب محمود ، أن يكون في كل جملة « فعل » ولا تشترط العربية ذلك ؟ لماذا تضع اللغات الأوروبية قواعد دقيقة لتحديد لحظات الزمن ، مفرقة بين اللحظة الحاضرة ، والماضي ، وماضي الماضي ، وكذلك المستقبل ، ومستقبل المستقبل ، ولا تعنى العربية بذلك التحديد ، تاركة الأمر لكل متكلم وطريقته في البيان ؟ لماذا تجعل اللغات الأوروبية الفاعل قبل الفعل ، على حين تفضل العربية أن يكون الفعل قبل الفاعل ؟ لماذا تضع بعض اللغات الأوروبية الصفة قبل الموصوف فتقول ما ترتبه « بيضاء ورقة » وتضع العربية الموصوف قبل الصفة فتقول « ورقة بيضاء » ؟ وهكذا وهكذا ومن الفروق التي قد يكون لها أول ولكن ليس لها آخر ، وهي ليست بالفروق السطحية غير ذات الأثر في تشكيل طريقة التفكير ، بل هي في صميم الصمم من عملية التفكير .

وما ينطبق على اختلاف اللغات من حيث عمق التأثير في تكوين وجهة النظر وطريقة تناول ، ينطبق بالتالي على اختلاف الفروق واختلاف القيم واختلاف المثل العليا ، مما يتبدى في الفنون والآداب والسلوك الاجتماعي وفي أسلوب العيش بوجه عام ، فاللغة كما يقول الفيلسوف الألماني فشتة ، تلازم الفرد في حياته ، وتمتد إلى أعماق كيانه ، وتبلغ إلى أخفى رغباته وخطراته ، وتجعل من الأمة الناطقة بها كلاً متراساً خاضعاً لقوانين ، لأنها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان .

وثمة ميزتان تتميز بهما اللغة العربية وتعدان من أهم مزاياها العديدة إذا ما قورنت بغيرها من اللغات ، إحداها أنها لغة تاريخية إن لم تكن أقدم اللغات ، والأخرى أنها لغة روحية ، لا لأنها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم وكفى ، ولكن لأنها اللغة التي يغلب على خصائصها الطابع الروحي أو طابع المثالية بوجه عام .

أما أن العربية أقدم اللغات وأم جميع اللغات ، فهذا ما يؤكد العقاد من خلال بحثه في الثقافة العربية ، وكيف أنها أسبق من ثقافة اليونان وثقافة العبريين ، فقد وجد العرب في ديارهم قبل أن يعرفوا باسم العرب بين جيرانهم ،

وكانت لهم لغة عربية يتكلمونها وتغني على سنة التطور عصراً بعد عصر ، إلى أن تبلغ الطور الذي عرفناه منذ أيام الدعوة الإسلامية . وقد مضى على العرب أكثر من ألفي سنة وهم معروفون بهذا الاسم الذي يطلقونه على أنفسهم ويطلقه عليهم غيرهم ، ولا خلاف في علاقة العرب الأقدمين بالجزيرة العربية ، ولا في قدم العمران بهذه الجزيرة .

ولا خلاف كذلك على قدم اللسان العربي فيها ، ولا في أنه أقدم لسان تكلم به سكانها الأقدمون ، ولم يعرف لهم لسان قبله في أصوله وخصائصه التي تميز بها بين اللغات العالمية .

وانطلاقاً من هاتين المقدمتين التاريخيتين ، يخلص العقاد إلى النتيجة القائلة بأن الأجددية العربية أسبق الأجدديات ، وأن الاختراع بهذه الحقيقة التاريخية لا يحتاج إلى أكثر من الاطلاع على الأجددية اليونانية ، وعلى السفرين الأولين من التوراة ، وهما سفر التكوين وسفر الخروج ، فالأجددية اليونانية عربية بحروفها وبمعاني تلك الحروف وأشكالها ، منسوبة عندهم إلى قدموس الفينيقي ، وهو في كتاب مؤرختهم الأكبر «هيودوت» أول من علمهم الصناعات .

أما سفر التكوين وسفر الخروج فهما صريحان في تعليم الصالحين من العرب لكل من إبراهيم وموسى عليهما السلام ، إبراهيم تعلم من ملكي صادق ، وموسى تعلم من يثرون إمام مدين ، وشاعت في السفرين رسالة «الآباء» قبل أن يعرفوا باسم الأنبياء ، لأن العبرانيين عرفوا كلمة «الني» بعد وصولهم إلى أرض كنعان ، واتصلهم بأئمة العرب بين جنوب فلسطين وشمال الحجاز .

أم جميع اللغات

اللغة العربية إذن أقدم اللغات ، وهي أيضاً أم جميع اللغات ، ولا يصل العقاد إلى هذه النتيجة من خلال المقابلة بين اللغات السنسكريتية والجرمانية والعربية ، كما يفعل بعض علماء المقارنات اللغوية من أبناء الهند المسلمين ، أولئك الذين يعتمدون على معرفتهم بلغات الهند ومعرفتهم باللغة العربية وبعض اللغات الأوروبية ، لتصحيح أخطاء اللغويين الأوروبيين عند المقابلة بين الكلمات ، يصيبون كثيراً في التنبيه إلى تلك الأخطاء وإثباتها بدلائل المعاني والألفاظ ، ولكنهم ينساقون إلى مثل هذه الأخطاء عند المقابلة بين جذور الألفاظ العربية والأجنبية .

ولكن العقاد إنما يصل إلى هذه النتيجة من خلال دراسته الأنثولوجية أو دراسته في تاريخ علم الإنسان ، فهو يرجح القول بأن اللغة الفينيقية عرفت في جزيرة كريت قبل أربعة آلاف سنة ، ويعتق بهذا الكلام على وصف العلماء الأوروبيين لهذه الشعوب بالسامية ، فيؤثر تغليب كلمة العربية على كلمة الفينيقية أو كلمة السامية ، وحجته في ذلك أن الفينيقيين كانوا يقيمون بين النهرين على مقربة من خليج العرب ، قبل انتقائهم إلى صور وغيرها من المدن على شواطئ فلسطين ، وأن الحروف المنسوبة إليهم كانت حروفاً عربية ، ولم تكن مقصورة على القبائل الفينيقية في العراق أو فلسطين .

وإذا كانت هناك علاقة قديمة بين الحضارة العربية وجزيرة كريت ، فقد وجدت مثل هذه العلاقة بين الحضارة العربية وبين اليونان ، وذلك منذ عصر الملك «قدموس» الذي يقارب في حساب التاريخ وحساب الأساطير لعصر الأميرة «أوروبا» والملك منيوس ، وبالنسبة إلى قدم العلاقة العربية الكريتية !

وحجة العقاد في إثبات ذلك أن الأجددية اليونانية الباقية إلى وقتنا الحاضر ، تدل دلالة قاطعة على تاريخ هذه العلاقة ، فهذه الأجددية التي يكتبها اليونانيون في عصرنا هذا ، موافقة بترتيبها حرفاً لحرفاً لترتيب الأجددية العربية ، ولا يختلف هذا الترتيب مرة ، إلا إذا تقابل حرف من حروف الخلق بحرف من الحروف التي تقاربه في نطق الأوروبيين ، لأن الأوروبيين لا ينطقون حروف الخلق على الإطلاق .

ويدلل العقاد على هذا الرأي بقوله إن الأجددية اليونانية تبتدئ بحروف (ألفا

ويتا وجما ودلتا) وهي حروف الألف والباء والجيم والداlet في «أبيجد» على هذا الترتيب ، ثم تتقابل حروف «هوز» بما يقاربه مع اختلاف نطق الهاء ، ونطق الواو حين تكون حركة مد عندهم وحرفاً منطوقاً عندنا في بعض الأحيان ، ثم تأتي «كلمن» متتابعة كما هي عندنا بغير اختلاف لخلوها من حروف الخلق والمد ، وهم ينطقونها (كافاً ولأماً ومى ون) ويتبعونها ببقية حروفنا على النحو السابق .

على أنه إذا كان بعض المؤرخين الأوروبيين يتضايقون من نسبة كل ثقافة أوروبية إلى أصل من أصولها العربية ، وإذا كانوا يدركون هذا الشبه بين الأجددية العربية والأجددية اليونانية ، وإذا كانوا بعد هذا وذاك يتساءلون : ولماذا لا يكون الساميون هم الذين اقتبسوا هذه الحروف من مصدر أوروبي قديم ؟ فلن العقاد سرعان ما ينبري للرد على هذا التساؤل بقوله :

«إن أسماء الحروف العربية عرفت بمعانيها وأشكالها ولم يعرف لها معنى ولا شكل يعود بها إلى لغة من لغات الأوروبيين ، ومن معاني هذه الحروف ما نفهمه في أحاديثنا اليومية إلى هذه الأيام ، كالباء من البيت ، والجيم من الجمل ، والعين من العين ، والكاف من الكف ، والنون من النوق أو الخوت ...

وإذا كنا ههنا قد انتبهنا إلى «بيت القصيدة» كما يقول العقاد ، من تحقيق القول بقدم اللغة العربية ، على اعتبار أن قدم اللغة عراقية تحسب لها كما تحسب لكل كائن حي عريق ، مصداقاً لقول المستشرق الفرنسي المنصف لوي ماسينيون «اللغة العربية لغة وعي ، ولغة شهادة ، وينبغي انقاذها سليمة بأي ثمن ، للتأثير في اللغة الدولية المستقبلية ، واللغة العربية بوجه خاص هي شهادة دولية يرجع تاريخها إلى ثلاثة عشر قرناً من الزمان» .

وإذا كنا قد أشرنا إلى الطابع الروحي الذي يغلب على خصائص هذه اللغة أو الطابع المثالي بوجه عام ، ففي وسعنا أن نقول عن هذا الطابع ، ما قاله الدكتور عثمان أمين في كتابه عن «فلسفة اللغة العربية» من أن أول السمات التي تتميز بها لغة القرآن ، هي أنها تنحو نحواً من المثالية لا نظير له في أي لغة من اللغات الحية المعروفة ، وفلسفة اللغة العربية تفترض لأول وهلة مثالية عميقة صريحة ، تحسب حساب «الفكرة» و«الخاطر» و«المثال» وتضعها في مكان الصدارة والاعتبار» .

وفي حين تبدو اللغات الهندو - أوروبية وكأنها جعلت للتعبير عن نظام العالم الخارجي ، نجد اللغة العربية وكأنها هي لغة التأمل الداخلي ، تأمل الفكر والروح ، أو وكأنها هي معجولة كما يقول الدكتور عثمان أمين لكي يتذوق أصحابها مقصداً من المقاصد الإلهية . بمعنى أنها في الوقت الذي تصرف فيه النظر عن المتغير والزائل ، ترنو إلى المطلق والأبدى ، وبالتالي فهي تفتح لمن يتذوقها آفاق الرؤية المثالية أو الروحية ، وهذا ما عبر عنه المستشرق الفرنسي هنري لوسل بقوله في جريدة «لوموند» الفرنسية : «اللغة العربية والحضارة العربية الإسلامية تزودان الدارس لها بنظرة جديدة إلى العالم» .

حضارة الحرف وحضارة الكلمة

وقبل أن نتطرق إلى آفاق الرؤية التي تفتحها اللغة العربية ، والتي وجدها العقاد في مزايا الفن والتعبير في هذه اللغة ، وفي المقابلة بين فن العروض العربي وأمثاله في فنون اللغات الأخرى ، وفي فلسفة الحياة كما تصورها لنا المأثورات الشعرية من عهد الجاهلية إلى ما بعد الإسلام ، وفي السيمية أو المبحث الذي يعنى بمدى دلالة اللفظ على المعنى ، يجدر بنا أن نقف عند حروف اللغة العربية ، لتتعرف على الخلفية الحضارية التي صدرت عنها هذه الحروف ، وكيف أنها كما يقول العقاد «أصلح الحروف لكتابة اللغات» .

فعند العقاد أن الاسم التي تعتمد على الحروف العربية في كتابتها ، أكثر عدداً من كل مجموعة عالمية تعتمد في الكتابة على الحروف الأبجدية ، ما عدا مجموعة

واحدة ، وهي مجموعة الأمم التي تعتمد في كتابتها على الحروف اللاتينية . وذلك لأن الحروف العربية تستخدم لكتابة اللغة العربية ، واللغة الفارسية ، واللغة الأوردية ، واللغة التركية ، واللغة المالوية ، وبعض اللغات التي تنصل بها في الجزر المنفرقة بين القارات الثلاث : إفريقيا وآسيا وأستراليا .

وبعد أن يضع العقاد ما يشبه المقدمة الكبرى في المنطق الأرسطي ، إذ يقول : « إذا كانت نسبة الكاتبين بين هذه الأمم أقل في هذا العصر من نسبة الكاتبين بين أبناء الأمم التي تعتمد على الحروف اللاتينية » .

يضع ما يشبه المقدمة الصغرى في هذا المنطق ، فيقول : « وكان الأمر في صلاح الحروف للكتابة لا يعود إلى كثرة الأفراد الذين يكتبونها ، بل إلى أنواع اللغات التي تؤدي ألفاظها وأصواتها » .

ثم يخلص من هاتين المقدمةين إلى هذه النتيجة التي يقول فيها : « وعلى هذا الاعتبار تكون الحروف العربية أصلح من الحروف اللاتينية أضعافاً مضاعفة لكتابة الألفاظ والأصوات ، لأنها تؤدي من أنواع الكتابة ما لم يعهد من قبل في لغة من لغات الحضارة » .

على أن الذي يعني العقاد في قضية اللغة العربية هو جانب تمام والنضج ، بعد طول النمو والتطور ، فلا بد من أجيال طويلة تضي قبل أن ينتهي تطور اللغة إلى هذه التفرقة الدقيقة بين أحكام الإعراب ، أو بين صيغ المشتقات ، أو بين أوزان الجمع والمثنى وجمع الكثرة والقلّة في الأوزان السماعية ، ولا بد من فترة طويلة يتم بها تكوين حروف الجر والعطف وسائر الحروف التي تدخل في تركيب الجملة بمعانيها المختلفة وتنفصل بلفظها من ألفاظ الأسماء والأفعال التي تولدت منها ، وهي في بعض اللغات لم تنفصل عنها حتى اليوم .

ومضي العقاد في تفصيل هذا الحكم العام ، والتدليل عليه ، فيضرب لنا أكثر من مثال من قواعد اللغات السامية ، التي لم تنضج في تطورها كما نضجت اللغة العربية ، ولم تبلغ من درجات الكمال ما بلغته هذه اللغة ، ففي اللغات السامية إعراب ، ولكنه قاصر غير مطرد ولا متناسق في مواضعه ، ولم يبلغ قط مبلغ « القانون » الذي تعرف فيه حدود الاطراد وحدود الاستثناء .

وفي اللغات السامية اشتقاق ، ولكن قوالب المشتقات فيها لم تتميز بأوزانها ومعانيها كما تميزت مع تطور اللغة العربية .

وفي اللغات السامية حروف لم تعرف في غيرها من العائلات اللغوية كما يسميها المحدثون ، ولكن لغة من اللغات ، سامية كانت أو آرية أو طورانية ، لم تتحرر فيها الخارج بحروفها ولا الحروف بمخارجها كما تحررت في لغتنا العربية « فلنيس في لغة الضاد حرف ملتبس بين مخرجين ، ولا يخرج ملتبس بين حرفين » .

وفي اللغات السامية نحو وصرف ، ولكنها كما يقول العقاد واقفان فوق المنبت جذوراً كالخشب الذي لا يقبل التمر بعد ما وصل إليه ، وما من جذر من جذور نحونا أو صرفنا لم يتفرع ولم يحتفظ بقوة الحياة فيه ، كما تحتفظ البنية الحية بقوة حياتها ، في كل عضو من أعضائها .

ولا ينبغي أن يؤخذ هذا الكلام على أنه مجرد شعور قومي نبيل ، يصدر عن كاتب يقدر مسؤوليته نحو أمته ، ويدفعه إلى ذلك الشعور بالانانية القومية ، فالعقاد إلى جانب هذا وذاك ، إنما يقدر مسؤوليته نحو الحقيقة العلمية بوجه عام ، ولا يدع الشعور القومي ينأى به عن المنهج المحايد السليم .

السيمية أو السيماء العربية

وصحيح أن اللغة عند العرب الأولين كانت هي عزهم ، وكانت هي مجدهم ، وكانت هي ثقافتهم ، وكانت هي فهم ، وكانت هي علامة إعجازهم ، وخاصة إذا ارتفعت إلى مستوى الشعر ، وصحيح أن « الكلمة » عندهم كانت هي التي ترفع عارفها إلى مكان الصدارة ، وتحفض جاهلها إلى الدرجات الدنيا من سلم المجتمع .

بحيث كان يكفي لصد الرجل عن قضاء غايته ألا يكون موهوباً بالنطق الجميل ، كما كان يكفي لإقبال الدنيا كلها على رجل أن يوهب القدرة على صياغة الكلام .

وليس أدل على هذا كله من أبي العلاء المعري الذي صور الجنة وصور الجحيم في « رسالة الغفران » فل يكن في جنته ولا في جحيمه إلا الشعراء أو من كانت صناعتهم الكلمة ، كذلك فعل ابن شهيد الأندلسي ، فعندما صور « في التوابع والزوابع » وادي الجن ، لم يعمره إلا بالشعراء والكتّاب . ولا يمكننا أن ننسى في هذا المقام قولة الخليفة عمر بن عبد العزيز : « إن الرجل ليكلمني في الحاجة يستوجيها . فيلحق ، فأرده عنها ، وكأني أقضم حب الرمان الحامض ، لبغضي استماع اللحن ، ويكلمني آخر في الحاجة لا يستوجيها فيعرب ، فأجيبه إليها ، التذاذاً لما أسمع من كلامه » .

صحيح هذا كله ، ولكن الذي لا يمكننا أن نوافق على صحته ، هو القول بأن لغتنا العربية أشبه شيء بنسيج العنكبوت الذي يثير العجب لدقة الصنعة وبراعة الصانع ، دون أن يكون فيه نفع أو فائدة ، أو أشبه شيء — بالذات — الذي يكفينا فيه جمال زخرفه وجودة خرومه وحسن وشبهه وتطريزه ، بحيث نضعه على المناضد ننظر إليه وكفى ، دون أن يؤدي في حياتنا شيئاً ، فها يقول الدكتور زكي نجيب محمود من أن الثقافة العربية لم يكن يعنها أن تكون للصيغة الكلامية دلالة في دنيا الطبيعة وعالم الكائنات ، وأن الصيغ اللغوية إنما تفعل فعلها كله ما دامت حسنة التركيب جميلة الجرس ، ولا على صاحبها ولا على قارئها بعد ذلك أن يهتدى بها في تجارة أو صناعة ، أو سفر أو قتال أو في أي شأن من شؤون العيش . وهو ما عبّر عنه صراحة بقوله : « اللغة في تراثنا أقرب إلى الأشكال الهندسية ، تكفي نفسها بنفسها ، منها إلى مسائل الجبر والحساب ، يوصل فيها إلى حلول . ماذا تبغي من زخرف هندسي ركبت فيه مثلثات ودوائر إلا أن تنظر إليه وتنعم النظر ؟ لكنك لا تكفي بمجرد النظر إلى رموز الجبر وأرقام الحساب ، بل تسارع إلى السؤال حيالها : ماذا يراد بها ؟ ووقفتك من الزخارف الهندسية هي وقفة المثقف العربي من بناءات الكلام » .

أقول إن مثل هذا الكلام لا يمكن أن يصدق على لغتنا العربية ، التي لم تبلغ هذه الدرجة من النضج والكمال إلا بعد أن تمرست بشؤون العيش ومتطلبات الحياة ، وكانت لها من « الوظيفية » ما جعلها أشبه بالكائن الحي الذي يتفاعل مع واقع المجتمع والبيئة ، يؤثر فيه بمقدار ما يتأثر به ، وربما كان بحث العقاد في « السيمية » وهو المبحث اللغوي الجديد الذي يقوم على العلاقة بين حروف الكلمة ودلالاتها . وهل تدل حروف الكلمة بلفظها على شيء من معناها ؟ خير ما يرد به على مثل هذا الكلام .

ويستهل العقاد كلامه عن « السيمية » بأنه إذا كان الغربيون قد أخذوا هذه التسمية من كلمة « سيماء » اليونانية بمعنى الرمز أو العلامة أو الإشارة ، فثمة تقارب في اللفظ والمعنى بين كلمة سيماء اليونانية وكلمة سيماء العربية ، بحيث لا يمكن القول بأن الكلمة العربية مستعارة من الكلمة اليونانية ، والدليل على ذلك هو أن مادة هذه الكلمة متشعبة في لغتنا العربية ، ففيها كلمات الموسم والوشم والسمة التي تفيد معنى العلامة والدلالة والأثر .

وإذا لم تكن كل كلمة في لغتنا العربية قد لوحظت فيها الحكاية الصوتية ، ودلالة اللفظ على شيء من المعنى ، فها أكثر هذه الكلمات في هذه اللغة ، مثال ذلك اسم السيف واسم القلم ، فاسم السيف ملحوظ فيه عمل السيف وهو القطع ، والقلم ملحوظ فيه التقليم .

على أنه إذا كان علماء السيمية يفرقون دائماً بين اللغة والكلام ، على أساس أن اللفظة في اللغة ليست مساوية للفظ نفسها في الكلام ، وإنما اللغة والكلام بينهما من الفروق كما بين المادة الخام والمادة المصنوعة ، وإذا كانوا يؤكدون على الحقيقة القائلة بأن شيئاً يسمى اللغة لم يوجد بمعزل عن الكلام كما وجدت الحجارة بمعزل عن البيوت وصناعة البناء ، فإن العقاد يضيف إلى هذا القول قوله بأن اللفظة في الكلام عضو في بنية حية ، وأن اللغة قد تكون صوراً أو رموزاً إلى الأشياء ، فإذا أصبحت

كلاماً كانت وسيلة إلى غاية يريدتها المتكلم .

ويستشهد العقاد برأي العالمين اللغويين أوجدن ورتشاردز صاحب الكتاب الشهير « معنى المعنى » الذي افتتح فصله الأول بكلمة مقتبسة من « الحكيم الصيني » لاوتس ، يقول فيها : « من يعلم لا يتكلم ، ومن يتكلم لا يعلم » ، وهي كلمة بعيدة المدى في دلالتها على أن الكلام إنما يصبح عبثاً ضائعاً إذا بلغ العلم غايته .

ويختتم العقاد كلامه عن « السيمية » بضرورة التفرقة بين ما هو خصائص العقل البشري وما هو من عوارض اللغة ، فليس من المجدي على حد تعبيره ، أن نحاول تغيير الدماغ في تكوينه لكي نصل من ذلك إلى تغيير اللغة ، وإنما المستطاع أن نجعل اللغة موافقة لتكوين العقل ، وما فطرت عليه من أساليبها في تحصيل المدركات .

لغتنا ومزايها في الفن والتعبير

ولقد وسع العقاد من دائرة دفاعه عن اللغة ، ليتخذ منها أدلة ساطعة على أنها ليست لغة شعر فحسب ، بل هي لغة شاعرة ، قوام تركيبها الوزن والحركة ، وكان نظام القصيدة صورة من أدائها الموسيقي ، وعلى ذلك ، فإذا كانت اللغة العربية قد وصفت قديماً وحديثاً بأنها لغة شعرية ، فهو وصف يراد به عدة معان مختلفة ، منها أنها لغة يكثر فيها الشعر والشعراء ، ومنها أنها لغة موسيقية تستريح الأذن إلى ألفاظها كما تستريح إلى النظم المرتل ، ومنها أنها لغة شاعرة تصنع مادة الشعر وتشاكله في قوامه وبنائه ، إذ يعتمد قوامها جميعاً على الوزن والحركة ، وكأنها في جملتها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات .

ومضي العقاد في إثبات هذه الظاهرة بادئاً بحروفها ، دارساً لها دراسة ينتهي منها إلى أن اللغة العربية تستخدم جهاز النطق الحي أفضل استخدام يهدي إليه الانتباه في الإيقاع الموسيقي ، إذ انتفعت في حروفها بجميع المخارج الصوتية . وينتقل إلى حركات الإعراب في اللغة العربية ، فيقف على أواخر الألفاظ ، وكيف أنها تعين موقع اللفظ في العبارة وتم دلالاته ، ويتحدث عن العروض قائلاً إنه لم يوجد فناً كاملاً مستقلاً في لغة سوى اللغة العربية ، التي تلاحظ الوزن والقافية وأقسام التفاعيل في جميع البحور والأيات ، فضلاً عن أن هذه اللغة لم تستمد أوزانها من فنون الغناء والآلات الموسيقية ، وإنما استمدتها من صميم تكوينها ، وهذا هو سر مرونتها واتساعها لجميع الأغراض من غنائية وقصصية وتعليمية ، وجميع الأشكال من أساطير ورباعيات ومزدوجات وموشحات .

بل لقد بلغ من عذوبة لغتنا العربية فيما يقول العقاد أن دارت على السنة العامة في أفرانهم ومرائبهم الشعبية ، وأن نظمت لهم بها الملاحم الهلالية وملاحم الزير سالم ، كما نقل بها سليمان البستاني إلياذة هوميروس إلى الفصحى ، وكذلك نقلت بها رباعيات الخيام ، ومسرحيات شكسبير ، وغير ذلك من روائع الأعمال الأدبية .

ويشيد العقاد بتلاقي الحقيقة والحجاز ، أو المعنى الحقيقي مع المعنى المجازي في كثير من كلمات اللغة العربية ، ملاحظاً أن المستشرقين لا يستطيعون أن يتذوقوا هذه اللغة تذوقاً سليماً ، كما يشيد بفصاحة نطقها وأنها بلغت غاية ما بلغه الإنسان المعبر عن ذات نفسه بالكلمات والحروف ، وليس أدل على ذلك من أن كلماتها تحمل صفات أهلها العرب وصفات أوطانهم العربية .

ويقف العقاد ليصحح خطأ شاع بين اللغويين الغربيين ، وهو نقص اللغة العربية في دلالة أفعالها على الأزمنة ، وينوه بما يحمل الشعر العربي في مختلف عصوره من أنماط الحياة ومن القيم الأخلاقية ، ويحمل على المستشرقين مبيئاً ضلالهم في نقد الشعر القديم لجهلهم باللغة العربية ، وذوقها الأدبي ، وحسها التاريخي .

ولا يلبث أن يرد على من فكر في اتخاذ الحروف اللاتينية في كتابة العربية بدلا من حروفها ، مصوراً ما في حروف خطها من كمال ومرونة يصعدان بها درجات فوق

اللاتينية في إحكام كتابة الألفاظ والأصوات ، ويدلل على ذلك بأنها استخدمت لكتابة الفارسية والأوردية والتركية والملاوية ، دون أن تدخل عليها أي تعديلات في أشكالها .

ثم نراه بعد ذلك يشكك في وجوه التيسير التي يشتغل بها بعض دعاة التجديد سواء في الكتابة أو في النحو أو في العروض أو في التعريب ، مقارناً بين اللغة العربية واللغات الأوروبية ليصور مزايا لغتنا في التعبير والاشتقاق وتصاريف التراكيب .

ويناقش العقاد أصحاب الشعر الحر مناقشة مستفيضة ، بادئاً بالتأريخ لدعوة التعديل في أوزان الشعر العربي والاستغناء عن القافية ، فيردها إلى القرن الماضي حين بدأت حركة الترجمة من اللغات الأوروبية ، واطلع قراء العربية على ما لدى الأوروبيين من مسرحيات وملاحم لا شبيه لها في الفصحى ، حينئذ نشأت تلك الدعوة على أساس فكرة خاطئة متعجلة هي أن الاختلاف بين منظوماتهم ومنظوماتنا يرجع إلى اختلاف أوزان العروض ، وهو كما يقول العقاد إنما يرجع إلى اختلاف الأحوال النفسية والاجتماعية « إذ المؤلف أن يتولد الشعر على حسب الحاجة إليه من دواعي التقاليد والعادات وأصول العبادة والعلاقات بين الناس ، وليس المؤلف أن تنتظر الأسم حتى يتيسر لشعرائها النظم على الأوزان التي يستطيعونها ، ثم تبني شعائرها وعبادتها على تلك المنظومات » .

ويضرب العقاد لذلك مثلاً المسرحية الشعرية اليونانية ، وكيف كانت وليدة شعائر مقدسة لدى الإغريق لم تنهياً لدى العرب القدماء ، كما يدل على اتساع العروض العربي بأوزانه وقوافيه لنظم المسرحيات ، ولترجمة إلياذة هوميروس ورباعيات الخيام وغير ذلك من الشعر المسرحي وأشعار الملاحم .

ويقف العقاد في تجارب الشعر المرسل عند ثلاثة من أعلام الأدب العربي الحديث ، هم : توفيق البكري ، وجميل صدقي الزهاوي ، وعبد الرحمن شكري ، قائلاً إنه ثبت من هذه التجارب أن إلغاء القافية كل الإلغاء ، فضلاً عن أنه لا تدعو إليه حاجة ، إنما يفسد الشعر العربي .

وأخيراً يرد العقاد على من يزعمون أن الأدب العربي القديم ، أدب عتيق لا يصلح للبقاء ، لأنه كان أدباً شخصياً ولم يكن أدباً اجتماعياً يخدم الأسم ويمثل حياتها لها ، ولمن يقرأ تاريخها من بعدها . وعند العقاد أن مثل هذا الزعم ينطوي على خطورة وخطر ، لأنه إنما يؤدي إلى قطع الصلة بيننا وبين ماضينا في اللغة والأدب ، فنصبح كمن تجرد من ذاكرته ، « بل الأمر أخطر من ذلك وأوخم عقي ، لأن فاقد الذاكرة يبقى له قوام آدمي ينتفع به على حسب استعدادده للنمو والتعلم ، ولكن فقدان اللغة والأدب عندنا يشل ذلك الاستعداد ، ولا يبقى لنا قواماً » .

أجل .. تلك كانت دعوة العقاد ، ويا لها من دعوة ، لقد كان كما يقول الدكتور شوقي ضيف بحق ، في كتابه القيم « مع العقاد » ... « يدعو إلى الإقدام ، وإلى العزم الصادق ، وإلى المراد البعيد ، وما ينبغي أن يملأ قلوب مواطنيه من الأمل والثقة والإحساس بالكرامة ، وهو إحساس تعمقه حتى أصبح له عقيدة ، ومعنى استطاع أن يسطر سلطانه على حياتنا الأدبية ، فلماذا هو يرد على الأدباء كرامتهم ، وما ينبغي لهم من نجلة وتقدير » .

أيها القارئ العربي

ويعد أيها القارئ العربي ، إن من واجبك إلى جانب غيرتك على لغتك ، أن تذكر أنك لا تطلب بحماية لسانك ولا مزيد على ذلك ، ولكنك مطالب بحماية العالم من خسارة فادحة تصيبه بما يصيب هذه الأداة العالمية من أدوات المنطق الإنساني ، بعد أن بلغت مبلغها الرفيع من التطور والكمال .

وإن « بيت القصيد » هنا كما يقول العقاد « أعظم من القصيد كله » لأن السهم في هذه الرمية يسدد إلى القلب ، ولا يقف عند الفم واللسان ، وما ينطقان به في كلام منظوم أو منشور .



رحلة مع: الخط العربي



خَط الطغراء

هناك «شارات» خطية، استعملها بعض خلفاء المسلمين .. ومنهم سلاطين مصر المماليك، وقد أطلقوا على هذه الشارات اسم «الطغراء» .. ويقال إن هذه الكلمة يرجع أصلها إلى «التر» .. وكانت تقوم مقام الإمضاء في التوقيع في أحيان كثيرة . وتروى في هذا الشأن حكاية (٧٩٢ - ٨٠٥ هـ)، تقول : أنه وقت أن توترت العلاقات بين تيمورلنك حفيد جنكيز خان .. وبين السلطان بايزيد بن مراد الأول العثماني، أرسل تيمورلنك انذاراً إلى السلطان، مهدداً إياه بإعلان الحرب .. ثم جاء توقيعه ببصمة كفه وهي مغموسة بالدم، على الإعلان ... وقد انتهت هذه المكاتبة إلى اشعال معركة أنقرة التي هزم فيها السلطان بايزيد .. وفي ذلك الوقت وما بعده، اتخذت بصمة تيمورلنك لكتابة الطغراءات .. وذلك بالشكل البدائي الذي كتبه العثمانيون .

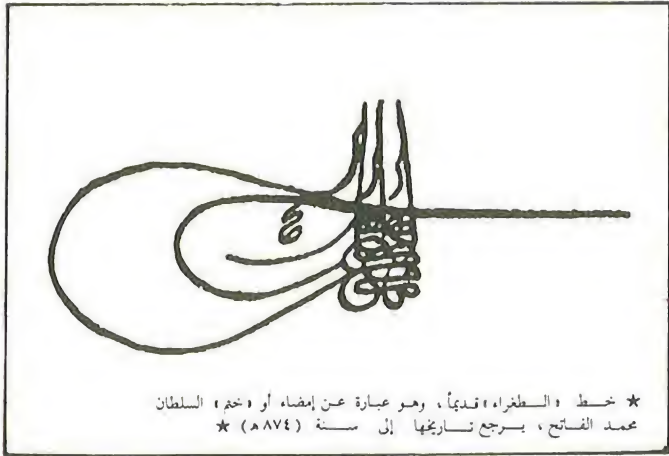
وقد تم كشف بعض التماذج الشبيهة بالطغراءات، منها ما كان يستعمل في المكاتبات الهامة باسم السلطان المملوكي الناصر حسن بن السلطان الملك محمد قلاوون (٧٥٢ هـ) .

وقد جعل «الطغراء» الخطاطين يميلون إلى الخروج على قواعد الخط المألوفة والسليمة .. ومن هذا التصرف في القاعدة الخطية والمجهود التطويري الذي كتبه الخطاطون، أطلق عليه اسم خط «الطغراء» . وهناك احتمال بأن هذا الخط قد نشأ من المزاوجة بين خط الإجازة .. والخط الديواني .

وقد تطورت أشكال خط «الطغراء» مع مرور الأيام .. وكان ذلك على أيدي خطاطي الدولة العثمانية، وظلت باقية إلى آخر أيام استبدال الخط العربي في العهد الجمهوري التركي الجديد .

★ إحدى «الطغراءات» المملوكية، التي كانت تعلق في المكاتب، وهي عبارة عن رمز السلطان الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون *

الناصر محمد



★ خط الطغراء، قديماً، وهو عبارة عن إمضاء أو ختم السلطان
عبد الفاتح، يرجع تاريخها إلى سنة (٨٧٤هـ) ★

★ خط الطغراء على هيئة توقيع «ختم» للأمير سلطان القانوني في فترة إمارته من إحدى الوثائق التاريخية العسكرية، - مقتنيات متحف طوب فبر - ★

* شكل بوضوح الخط، عندما يدخل في تكوين
 فكرة ما... من علامات سلاطين المماليك
 (٧٦٤ هـ) *

★ شكل بوضوح الخط، عندما يدخل في تكوين فكرة ما... من علامات ملاطبة المالك (٥٧٦٤) ★

إستحالة ترجمة

نظرة عابرة إلى جميع ترجمات القرآن الكريم إلى أية لغة من اللغات، تكفي لإدراك الفارق بين النص وبين الترجمة، بين كلام الله تعالى وبين ما هو من المحاولات البشرية لمحاكاة النص، وأن مقارنة الأصل بأية ترجمة أجنبية تجعل الإنسان يؤمن إيماناً راسخاً بأن العالمين لم يعجزوا فقط عن الاتيان بمثل هذا القرآن، بل إنهم عاجزون حتى عن مجرد ترجمة نصوصه إلى أية لغة شاءوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وهذا مما يضيف إلى وجوه الإعجاز القرآني وجهاً منبثقاً من التجربة العملية ذاتها .

القرآن الكريم

بقلم : أحمد عز الدين خليف الله

تاريخ ترجمة النص القرآني

الغريب أن ترجمة القرآن الكريم في أوروبا قد سبقت طبع القرآن نفسه . فأول طبعة صدرت في أوروبا كانت سنة ١٥٣٠ م، وأمرت الكنيسة باحراقها، ثم قام الناشر الألماني «أبراهام هنكلمان» بطبعه في هامبورج سنة ١٦٩٤ م، ثم طبع في بادوا سنة ١٦٩٨ م، وفي بطرسبورج سنة ١٧٨٧ م، حيث طبعه أحد المسلمين ويدعى «مولاي عثمان» . وانتشرت طباعة المصحف الكريم في جميع العواصم الأوروبية سابقة في ذلك البلدان الإسلامية نفسها .

الترجمات اللاتينية للقرآن الكريم

أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم، تمت سنة ١١٤٣ م، على يد «روبرتس رتنسز»، وكانت هذه الترجمة هي المرجع الرئيسي لمن أراد الاطلاع على القرآن الكريم في أوساط أوروبا العلمية، وفي سنة ١٥٤٣ م، قام «ثيودور بيلياندر» بطبع الترجمة اللاتينية في «بازل»، فكانت أساساً للترجمات الأوروبية التي اعتمدت عليها لا على النص العربي . وفي سنة ١٧٢١ م، صدرت ترجمة لاتينية قام بها «MARRACCI» .

الترجمات الإنجليزية

تمت ترجمة القرآن إلى الإنجليزية سنة ١٦٤٩ م، عن طريق الترجمة الفرنسية التي أصدرها «DU RYER»، ثم حلت محلها الترجمة التي قام بها «جورج سيل» (١٦٩٧ - ١٧٣٦ م)، من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية، حيث لاقت رواجاً كبيراً في الأوساط العلمية الإنجليزية باعتبارها خير ترجمة للقرآن الكريم .

وحتى نكون محايدين في الحكم على هذه الترجمة نورد بعض ملاحظات «لين بول»^(١) عليها :

- أن مستواها الأدبي منخفض جداً عن الأصل العربي، مما يجعل الترجمة عاجزة عن إحداث أقل تأثير ممكن مشابه للأصل .
- أنها تسرد الآيات سرداً متصلاً، مما يجعل العين تكل أثناء البحث عن مكان للاستراحة، فهي تعتبر صعبة المنال من ناحية الفهم بخلاف الأصل .

ومن الترجمات الإنجليزية المشهورة ترجمة «E.H. PALMER» وهو مستشرق إنجليزي يدعى الشيخ عبد الله، وله ميزتان : الأولى هي التعمق في اللغتين الإنجليزية والعربية، والثانية هي القدرة على معرفة تأثير الألفاظ العربية على القارئ الإنجليزي . ويقول «لين بول» في نقد هذه الترجمة :

- إن لها قوة صادرة عن القلب، مما يضفي عليها الحياة، إلا أنها تضمنت ألفاظاً غريبة عن اللغات المعاصرة .
- ويؤخذ على المترجم أنه لمحا المنحى العامي محاولاً بذلك إحداث نفس تأثير القرآن على القارئ الإنجليزي، وأن هذه الترجمة قد يكون لها مكانتها لو أن مستوى جميع القراء منخفض ثقافياً، وعلى هذا فإن نظرية العامية التي سار عليها قد فشلت، بل قد أصبحت عقبة في سبيل فهم النص القرآني .

وفي سنة ١٨٧٦ م، نشرت ترجمة «L.M. RODWELL»، وقام «ريتشارد بل» أحد رجال الدين الإنجليز بترجمة القرآن ما بين ١٩٣٧ - ١٩٤١ م، ففشل حين ركز اهتمامه في تحليل السور القرآنية ووضع أوزان شعرية للآيات !!

فكذلك لا تصح ترجمة السمع إلى الأذن ، ولا البصر إلى العين ، وكل ذلك يؤيد ما ذكرناه من استحالة ترجمة النص القرآني . وهناك عدة ترجمات أخرى إلى عدة لغات أوروبية وآسيوية كالألمانية والسويدية والدانماركية والروسية والهندية والأندونيسية واليونانية والإيطالية والبرتغالية . كما نشط اليابانيون أخيراً ، فقامت جمعية مسلمي اليابان بانجاز ترجمة ، ولما تم طبعها مع القرآن الكريم ، توجه وفد إسلامي ياباني إلى السعودية وأهدى جلال الملك فيصل - رحمه الله تعالى - نسخة من هذا المصحف وكان ذلك في ربيع الأول عام ١٣٩٣ هـ .

ونود أن ننبه أن القرآن الكريم له زهاء أربعمئة ترجمة إلى اللغات الأوروبية ، وكلها مجردة مما وقع به التحدي ، ذلك لأن القرآن الكريم بمجرد نقله إلى أية لغة أجنبية لا يسمى قرآناً كما أن الترجمة تلازمها صفات مغايرة للقرآن نفسه ومنها :

- القصور عن الإحاطة بالمعاني إحاطة كلام الله تعالى .
- القصور عن إيجاد اللفظ المقابل للفظ القرآني في اللغة الأجنبية بحيث يحمل ما في اللفظ القرآني من المعاني ، ويقبل ما يقبله من وجوه القراءات .

- العجز في تركيب عبارة في أية لغة تتحمل من المعاني ما تحمله الآية من آي الذكر الحكيم .

- أن الترجمة ليست كلام الله تعالى ، بل هي مدى فهم المترجم لكلامه عز وجل .

- وهناك ترجمات اتخذها أصحابها مدخلاً لنشر الزيغ والضلال مثل :

- الترجمات التي دس فيها المستشرقون العقائد الزائفة التي تخضع الإسلام لكتب العهدين القديم والجديد ، والمؤسف أن كثيراً من مسلمي أوروبا وأمريكا يتداولونها ويرددونها كما تردد كتب العهدين .
- ترجمات قام بها اليهود ، ولا هدف لهُؤلاء سوى تشويه الإسلام .

- ترجمات قام بها الخوارج ، ولا يبتغون منها سوى دس عقائدهم فيها ، مثل الترجمة القاديانية . ولما زار «ميرزا مبارك أحمد القادياني الباكستاني» السعودية قدم نسخة منها للمسؤولين ، وقرر مجلس رابطة العالم الإسلامي بطلانها بالإجماع ، وأصدرت الرابطة تحذيراً للمسلمين في العالم منها .

فالحاجة إذن ملحة لا إلى ترجمة القرآن الكريم أو معانيه ، بل إلى مراجعة كل ترجمة صدرت للقرآن الكريم أو لمعانيه ، وأن يصدر تعقيب عن كل ترجمة ، يبين أوجه النقص فيها والأخطاء التي اشتملت عليها ، مع محاولة تقييمها ، هذا ويكفي أننا لم نسمع بأن أحداً قد اعتنق الإسلام لأنه قرأ ترجمة للقرآن العظيم فلا داعي لربط الترجمة بالدعوة إلى الإسلام .



وهناك ترجمة حديثة أصدرها «A.J. ARBERRY» سنة ١٩٥٥ م ، لا تختلف في جوهرها عن غيرها ، وقام آرثر جنري بترجمة صور مختارة نشرت عام ١٩٥٨ م .

ومن الترجمات الفرنسية

ترجمة أندريه دي ريبه عن العربية مباشرة ، ونشرت عام ١٦٤٧ م ، وترجمة «م . كازيمرسكي» ، وطبعت في باريس عام ١٨٦٩ م ، وترجمة «م . سافاري» عام ١٩١٣ م ، وهي مسبقة بموجز للسيرة المحمدية ، وترجمة «ادوارد مونتييه» عام ١٩٢٢ م ، وهو أستاذ في اللغات الشرقية ومدير شرف لجامعة جنيف ، ونعرض بعض عينات منها تعطينا فكرة عن استحالة ترجمة النص القرآني :

● فمثلاً يقول في ترجمة الآية الأولى من سورة الإنشراح ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ .

N'avons nous pas ouvert ta poitrine ?

وترجمتها الحرفية : ألم نفتح لك قفصك الصدري ؟ ذلك لأن معاني الانشراح ومشتقاته وكذا لفظ الصدر في العربية لا مقابل لها في الفرنسية .

● وسمى سورة العاديات : ﴿ سورة خيل المعركة ﴾ .
Sourate des chevaux de bataille.

● وترجم آية ﴿ والعاديات ضبحاً ﴾ بقوله :
Parles chevaux de bataille haletants.

وترجمتها (بخيول المعركة اللاهثات) .

● ﴿ فالملوريات قدحاً ﴾ :
Qui Font Jaillir le Feu de leurs Sabots.

وترجمتها (التي تقدح النار من سناكبها) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشركة المصرفية السعودية للاستثمار THE SAUDI INVESTMENT BANKING CORPORATION

المركز الرئيسي : الرياض - المملكة العربية السعودية - س.ت ١١٥٧٠ - ص.ب ٣٥٣٣ - ت. ٦٠٣٠٠ - ٦٠٤٠١ - تليكس ٢٠١١٧٠ - ٢٠٠٢١٤ - ٢٠٠٢٩٣
HEAD OFFICE : RIYADH SAUDI ARABIA C.R 11570 P.O.BOX 3533 TEL 60300-60401 TELEX (201170-200214-200293) SIBCOR SJ.

اجتماع مجلس الإدارة

ترأس الدكتور محسن جهل مساء السبت ١٥ ربيع الأول ١٤٠٠هـ الموافق ٢ فبراير ١٩٨٠م اجتماع مجلس إدارة الشركة المصرفية السعودية للاستثمار بعد أن أعيد تعيينه من قبل مؤسسة النقد العربي السعودي ممثلاً للمساهمين الأفراد في الشركة ، وقد جاءت إعادة تعيين الدكتور محسن رئيساً لمجلس إدارة الشركة ورئيساً للجنة التنفيذية على أثر استقالة الشيخ محمد عود السيار الذي عُين مراقباً عاماً بمؤسسة النقد قبل بضعة شهور .

وقد ناقش مجلس الإدارة في هذا الاجتماع عدداً من المواضيع الهامة منها النتائج المالية للسنة الماضية ١٩٧٩م حيث حققت الشركة نتائج ممتازة وبلغت أرباحها الصافية ٣٣,٦ مليون ريال « ثلاثة أضعاف أرباح السنة السابقة » . ودرس المجلس التطور الذي حدث في حجم القروض والاستثمارات وزيادتهما من ٨٢٤ مليون لسنة ١٩٧٨م إلى ١٦٤٥ مليون لسنة ١٩٧٩م وكذلك تزايد الودائع من ١٢٨٤ إلى ٢٢٧٥ مليون خلال نفس الفترة.

وناقش المجلس خطط الشركة لتوظيف وتدريب السعوديين بحيث يتم إهمالهم بالتدرج وخلال فترة مناسبة محل الموظفين المعارين من البنوك المساهمة في الشركة ومحل المتقاعدين إلى الحد الممكن .
وقد اتخذ مجلس الإدارة قراراً بدعوة الجمعية العامة للإجتماع يوم الاثنين ٢٤ مارس ١٩٨٠م الموافق ٧ جمادى الأولى ١٤٠٠هـ .



من رواد جائزة الملك فيصل العالمية

● د. عبد القادر القط ● د. إحسان عباس

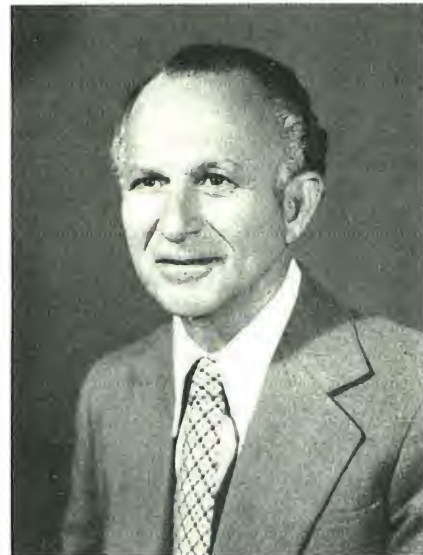
بقلم : د. يوسف نوفل

دخلت جائزة الملك فيصل العالمية عامها الثاني وقد أحرزت صدى بعيداً على المستويين المحلي والعالمي، واستقطبت أعلام الأعلام، أعلام الفكر والبحث والأدب، فصارت بذلك معلماً بارزاً من معالم الحياة الفكرية والأدبية في العصر الحديث. وفي حقل الأدب فاز بقصب السبق علمان بارزان في مجال الدراسات الأدبية هما الدكتور عبد القادر القط، والدكتور إحسان عباس. ونلتقي في السطور القادمة بتعريف موجز بما قدمه كل منهما في حقل الدراسات الأدبية.

عبد القادر القط

تعددت مجالات العطاء الفني للدكتور عبد القادر القط، فهو علم من أعلام النقد الأدبي الحديث، برز قلمه في المجالات والصحف والإذاعة والندوات والمؤتمرات والمهاجر الأدبية، وهو علم من أعلام البحث الأدبي بما أنتج من بحوث ومقالات، وهو من أعلام الدراسات الأكاديمية في الجامعة. وكل مجال من هذه المجالات جدير بالتقدير، وجدير بتأمل آثار صاحبه فيه.

و«القط» في حقل الصحافة الأدبية قد أسهم مساهمة ملحوظة في إرساء دعائم النقد العربي، وقد رأس تحرير مجلة (الشعر) التي صدرت بالقاهرة في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٦٤م، كما كتب في معظم المجالات والصحف الأدبية التي عاصرها، ومنها - على سبيل المثال - «المجلة» (١٩٥٦م)، و«الشهر» (١٩٥٨م)، و«الرسالة الجديدة» (١٩٥٤ - ١٩٥٩م)، و«الكتاب» (١٩٦١م)، و«المسرح»، و«الأهرام»، و«المساء»، و«الجمهورية»... الخ.



★ د. عبد القادر القط ★

ولبحرته صلة أيضاً ببحوث كتبها بالإنجليزية ، منها رسالته التي نال بها درجة الدكتوراه .

* * *

أما جهوده الأكاديمية فلأنها تتجاوز حلقات الدرس وقاعاته إلى مناقشات رسائل الدرجات العلمية كالماجستير والدكتوراه والإشراف عليها . وفي ذلك كله يتضح منهج كاتبنا في الدراسة ، وهو منهج أفاد من إمكانات المساهج المختلفة يجمع بين المنحى التاريخي والاتجاه العلمي ، والنهج النفسي ، والطريقة الفنية على نحو يمكن أن نسميه (المنهج التكاملي) . ومن الحق أن نستدرك على أنفسنا فنقرر أن السيادة العظمى لتلك الاتجاهات كانت للطريقة الفنية ، ومن تتبع دراساته في كتبه : في الأدب المصري ، وفي الشعر الإسلامي ، وفي المسرحية ، وشعر الوجدان ، وفي الأدب العربي الحديث سيجد أحلى ما فيها وأروع في دراساته التطبيقية ، وسيجد للشعر النصيب الأوفى في تلك الدراسات كما يتضح من تأمل محتوياتها .

إنك لتجد المنهج الفني في تلك الدراسات في شفافية وذوق ، وستجد إحساس الناقد الفني متمزجاً بتنوع ثقافته وخبراته ، ونضرب مثلاً لذلك بعرضه الفني في كتابه (في الأدب العربي الحديث) لمذهب الرومانسية ودورها الفني والاجتماعي إبان ظهورها في أوروبا ، وسوء فهمها وفهم دورها في بعض المجتمعات الأدبية العربية يقول في معرض حديثه عن محمود حسن إسماعيل وضيقة بلقب الشاعر الرومانسي :

« ولعل ضيقه هذا يرجع إلى النظرة التي نظر بها كثير من الدارسين عندنا إلى الحركة الرومانسية العربية ، فقد تفت هؤلاء الدارسون أكثر ما تفتوا إلى الجوانب السلبية في شعر تلك الحركة من تشاؤم وإسراف في الذاتية ، وإفراط في العاطفية ، وعشق للطبيعة عشقاً يتجاوز الإعجاب بما فيها من جمال وجلال إلى اعتبارها ملجأ من شرور الحياة والناس ، إلى ما في التجربة الشعرية الرومانسية من تهويمات ضبابية ويُعدُّ عن الارتباط بواقع المجتمع الذي يعيش فيه هؤلاء الشعراء وقضاياه السياسية والاجتماعية . والحق أن هؤلاء الدارسين قد ظلموا الرومانسية بهذا التركيز على جوانبها السلبية ، وصوّروها على غير حقيقتها ، فالرومانسية مذهب من المذاهب التي تمثل انتقال المجتمع انتقالاتاً حاسماً من مرحلة قديمة إلى أخرى تباينها في كل قيمها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية » .

وهو في صدد إيمانه بالتذوق الفني والقيمة الجمالية ، يتناول المسائل على أنها قضايا متأسكة ينبغي طرح تفاصيلها ، ثم معالجتها ، ولا يلجأ للتعميم ، ولا يغفل الاستشهاد بالنصوص لإثبات صحة ما يذهب إليه ، والاعتداد على التحليل في دراسته ، ها هو في كتابه (المسرحية) يعد أن يقدم الجانب النظري بفرد صفحات وصفحات للجانب التطبيقي الفني فيحلل من المسرحيات الشعرية : مسرحية (مصرع كليوباترة) لشوقي ، ويوازن بينه وبين شكسبير في فصل طويل (٤٩ - ١٢٥) . ومسرحية (الخلاج) لصلاح عبد الصبور (١٢٦ - ١٧٣) . ومن المسرحيات النثرية : (السلطان الخائر) للحكيم (١٧٤ - ١٨٥) . و (بيت الدمية) لإبسن (١٨٦ - ٢٤٠) .

وفي ذلك كله كان دأبه أن يبلغ شواطئ الحقيقة مهما كان الأمر ، ولقد حدثني أن إيمانه بالمصاحرة الفنية ، والصدق الفني فيما يصدر من أحكام جعله يسمو بالنقد عن التفریط وصيحات الإعجاب ، وأن نقده الصريح لأعمال أستاذين كبيرين هما : توفيق الحكيم في المسرحية ، ونجيب محفوظ في الرواية قوى علاقته بكل منهما ولم يؤد إلى شيء من المناورة بينه وبينهما . إن نقده كان ينفر من أردية الجاهلات ، وأوراق التغليف الزائف ، وصيحات الإعجاب المبتذلة ، وبذلك كان فنه صادقاً يحمل سمات وملامح أصيلة واعية حتى يمكن القول إن عدة أجيال من شعراء العصر الحديث في شتى الأنظار العربية أخذوا الكثير من « القط » في نقده لشعرهم فضلاً عن أجيال من الفنون الأدبية الأخرى .

أما بحوثه الأدبية فقد ينسج فيها المجال لكي نصصح وهماً يقع فيه كثير ممن تصدوا للحديث عن أدب « القط » ، فقد شاع لدى بعضهم أن كاتبنا مقلٌ في إنتاجه ، والحق أنها قضية جدية بالدراسة ، فكيف نحكم على المؤلف أو الباحث ؟ هل نقيس إسهامه بما أصدره من كم هائل من الكتب ؟

أم نقيسه بريادته لاتجاه نقدي ؟ أم نرده إلى دوره الفعال في توجيه الحركة الأدبية ؟

هي قضية جدية بالدراسة حقاً ، ونحن نناقشها هنا سنصل إلى أن « القط » حقق ذلك كله أو جلّه ، كما سنصل إلى بيان وهم من ظن أن إنتاجه تجل بكيفه دون كنه . وسنرى أنه جمع بين الكم والكيف معاً ؛ فهو يترجم عدداً من المسرحيات العالمية الشهيرة ، ويكتب كتاباً كبيراً عن المسرحية :

● من فنون الأدب - المسرحية - دار النهضة العربية ببيروت ١٩٧٨ م ، (٣٣٢) صفحة .

يتناول فيه : عناصر المسرحية ، الشخصية المسرحية ، البطل المسرحي ، الالتزام في المسرح ، الحوار في المسرحية ، نجوى النفس ، الحديث الجاني ، البناء المسرحي ، التشويق ، الوحدات الثلاث - النهاية - دراسة تطبيقية .

(١) من المسرحيات العربية : مصرع كليوباترة لشوقي ، مأساة الخلاج لصلاح عبد الصبور ، السلطان الخائر لتوفيق الحكيم .

(٢) من المسرحيات الغربية : بيت الدمية للكاتب النرويجي إبسن . ثم يتناول الاتجاهات الجديدة في التأليف المسرحي : بريخت والمسرح الملحمي ، دراسة تطبيقية لادارة الطباشير القوقازية ، مسرح العبث - المسرح التجسيلي .

● وفي عام ١٩٥٥ م ، أصدر كتابه الشهير (في الأدب المصري المعاصر) ليشير عدداً من القضايا التي تشغل الرأي العام الأدبي ، وتشد إلى وطيسها رهطاً من الأدباء اللامعين آنذاك .

● وفي عام ١٩٧١ م ، يصدر كتابه (قضايا ومواقف) ليتناول كثيراً من قضايا النقد الأدبي .

● ويصدر بحثاً قصيراً عنوانه (قضايا التجديد في الشعر العباسي) ، يقدم فيه رأياً جديداً في القضية . وقد صدر البحث في كتاب مُهدى للدكتور طه حسين عام ١٩٦٢ م .

● ويتناول الأدب الإسلامي والأموي في كتاب صدر عن دار النهضة العربية ببيروت عام ١٩٧٦ م ، بعنوان (في الشعر الإسلامي والأموي) .

● ويصدر عام ١٩٧٨ م ، كتابه (في الأدب العربي الحديث) - مكتبة الشباب بالقاهرة - بجوي معظم ما نشره من مقالات بالصحف والمجلات المصرية والعربية . وقد ناقش قضايا الشعر من خلال دراسة شعر جيل الشباب الفلسطيني : محمود درويش ، وسميح القاسم ، وتوفيق زياد ، وشعر جيل مدرسة أبوللو والاتجاه الرومانسي : ومنه محمود حسن إسماعيل ، وجيل شباب الشعر الشعبي : ومنه سيد حجاب ، وجيل الشعر الجديد ومنه : محمد إبراهيم أبو سنة .

وقضايا القصة حيث جيل نجيب محفوظ ، وجيل فتحي غانم ، وعبد الرحمن فهمي ، ومحمد أبو المعاطي أبو النجا .. ثم جيل القصة الليبية .

● ثم يصدر كتابه عن شعراء الوجدان في الأدب العربي الحديث ، وهو دراسة فنية جديدة لها أهميتها الفنية بما تضمنته من رؤيا فنية ونقدية .

وبحوثه تلك - وغيرها مما لم نشر إليه - ذات صلة بشاعرية « القط » ، فهو شاعر ، وإن اكتفى بنشر ديوان واحد في وقت باكر أسماء (ذكريات شباب) ، وقد صدر عن نهضة مصر بالقاهرة عام ١٩٥٨ م .

● الكتيبة الكامنة للسان الدين ابن الخطيب، دار الثقافة - بيروت ١٩٦٣ م.

● ديوان ابن حمديس، دار صادر بيروت، ٥٨٩ ص .
● أخبار وتراجم أندلسية لأحمد بن محمد السلفي، دار الثقافة بيروت، ١٧٥ ص .

● نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري التلمساني، دار صادر بيروت ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م، ٧ ج .
● وفيات الأعيان لابن خلكان .
● ديوان كثيرة عزة .

أما بحوثه وتآليفه فيبدو فيها طابع الإحاطة بفن من الفنون سواء أكان شعراً أم سيرة، أم نقداً، أم بحثاً في الأدب الأندلسي، أم في شعر الخوارج، أم في الشعر الحديث، ونذكر منها ما يلي :

● شعر الخوارج، دار الثقافة بيروت، ٢١٨ ص .
● فن السيرة، ط ٢، دار الثقافة بيروت، ١٧٦ ص، وقد انتهى من تأليفه - كما نفهم من المقدمة - في أول يونيو (حزيران) ١٩٥٦ م.
● فن الشعر، دار بيروت، بيروت ١٩٥٩ م، ٢٨٤ ص .

● تاريخ الأدب الأندلسي، وقد ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٦٢ م، ويشمل مجلده الأول عصر سيادة قرطبة، ويضم مجلده الثاني عصر الطوائف والمرابطين. وفي هذا الكتاب لا يقتصر على الجانب التاريخي، ولا يكتفي برصد الظواهر فحسب، بل يحلل النتائج ويربط بين المظاهر، ولقد أراد أن ينوه بذلك في مقدمة الطبعة الأولى (في آذار/ مارس) ١٩٦٢ م، حين قال : «ولست أزعج أن كل ما قلته في هذا الكتاب - أو جلسه - جديد على القراء أو دارسي الأدب الأندلسي، ولكن القارئ المنصف سيلمس أنني حاولت شيئاً ما في البناء، مثلما حاولت إعطاء قيمة للنظرة والحكم حيث رأيت ذلك لازماً أو حيث وجدت الجهد مسعفاً والطاقة ملبية، وأني عانيت بالكشف مثلما عانيت بتأسيس هذه الدراسة على أصول تاريخية نقدية معاً» .

● ومن كتبه أيضاً تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الرسالة، بيروت ١٩٧١ م، ٦٥٧ ص .

● ثم كتابه الذي خصصه للحديث عن الشعر العربي المعاصر : اتجاهات الشعر العربي المعاصر - العدد الثاني من سلسلة (عالم المعرفة) - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - (الكويت - فبراير/ شباط) ١٩٧٨ م، ٢٩٣ ص .

● وكان قد كتب كتابين أحدهما عن البياتي سنة ١٩٥٥ م، والثاني عن السياب سنة ١٩٦٩ م.

وبعد هذه الجولة السريعة مع إنتاج «إحسان عباس» نجد أن كاتبنا جمع في اهتمامه بين التراث والمعاصرة، فهو يحقق كتب الأقدمين من العصر الجاهلي فالإسلامي فالأندلسي، ويؤرخ لحقبة من الأدب زاهية زاهرة هي الأدب الأندلسي، ثم يعرض لفن السيرة، وفن الشعر ويفرد للأخير عدة مؤلفات لعل أهمها كتابه الأخير (اتجاهات الشعر العربي المعاصر) .

وقد يحسن أن نقف مع كتابين له ليسا أهم كتبه وإن كانا من أهمها وأشهرها .

●● فن السيرة : وفن السيرة فن قديم في أدبنا ولا يتسع المجال لذكر طائفة من كتب السيرة قديماً وحديثاً، ولكننا نود أن نشير إلى الكتب النظرية التي ناقشت ورصدت فن السيرة لا تلك التي دارت حول سيرة شخص ما. وقد سبق أن تكلم الشيخ أمين الخولي في مقدمة كتابه (مالك بن أنس) - ترجمة محبرة عن فن السيرة وشرح بعض جوانبها. وكان ذلك الجهد القيم سنة ١٩٥١ م. ولكن حديثه



★ د. إحسان عباس ★

إحسان عباس

تشعر وأنت تتابع حركة ذلك الرجل في مجالات البحث بروح الفلسطيني الدؤوب الجاد، أجل... فنحن أمام رجل ولد بفلسطين عام ١٩٢٠ م، وتلقى تعليمه في مدارسها، وأنهى دراسته الثانوية في الكلية العربية بالقدس، ثم كانت دراسته الجامعية والعالية بالقاهرة، فقد حصل في كلية الآداب بجامعة القاهرة على درجة الليسانس عام ١٩٤٦ م، فالماجستير عام ١٩٥٢ م، فالدكتوراه عام ١٩٥٤ م.

ثم يعود إلى فلسطين فيعمل بالتدريس في مدارسها حيناً حتى عام ١٩٤٦ م، ثم يعمل في جامعة الخرطوم فيما بين عامي ١٩٥١ و ١٩٦١ م، ثم في الجامعة الأميركية ببيروت، وفي ذلك كله لم يكف عن جولة أو لقاء في أنحاء الوطن العربي .

وقد تعددت مشاركاته واسهاماته الأدبية ما بين الترجمة إلى اللغة العربية، وتحقيق التراث، والتأليف، والنشاط الأكاديمي في بعض الجامعات العربية .

* * *

وفي مجال الترجمة نجده يترجم (مقال عن الإنسان) لأرنست كاسيرر، ومدارس النقد لستانلي هايمين، وت.س. إليوت - الشاعر الناقد لماثيسن، ودراسات في حضارة الإسلام لجب هاملتون (دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٤ م، ٢٧٥ ص) .

أما تحقيق التراث فله فيه جهود طيبة متعددة من ذلك :

● تحقيق ديوان الرصافي البلسني محمد بن غالب - دار الثقافة بيروت ١٩٦٠ م، ١٤٢ ص .

● ديوان القتال الكلي، دار الثقافة - بيروت ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م، ١٢٧ ص .

● شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، الكويت ١٩٦٢ م، ٤٥٩ ص .

● الأعمى التطيلي - تأليف أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة، دار الثقافة ١٩٦٣ م، ٣٣٩ ص .

كان في مقدمة كتابه ومن يدري ربما كان أروع لو خصص له كتاباً .
ثم كان كتاب إحسان عباس (فن السيرة) الذي انتهى من كتابته في أول
حزيران (يونيو) ١٩٥٦ م ، ثم تلاه كتاب الدكتور ماهر حسن فهمي (السيرة
تاريخ وفن) وصدرت طبعته الأولى سنة ١٩٧٠ م ، عن دار النهضة المصرية
بالقاهرة .

ولسنا في مقام الموازنة بين تلك الجهود وغيرها ممن لم نذكره في هذه المقدمة ،
ولكننا نود أن نقول إن كتاب إحسان عباس في فن السيرة جاء في وقته كما يقولون ،
إذ كانت تضم المكتبة العربية عشرات السير في كل قرن وكان لزماً أن نجلو هذا
الفن العريق .

يقع الكتاب - كما قدمنا - في ١٧٦ صفحة ، ويضم الفصول التالية :

★ تاريخ السير عند المسلمين .

★ نحو السيرة الفنية .

★ الدرجة الفنية في السيرة .

★ السير الذاتية - نظرة عامة .

★ السيرة الذاتية في الأدب العربي .

كما ضم فهارس بالمصادر ، والأعلام ، والموضوعات . ويكشف المؤلف عن أحد
دوافع تأليفه فنرى إلى جانب نبض السير بالحياة صلة أدبنا بالتاريخ العربي ، وتياره .
يقول : « فإن استطاعت هذه الفصول أن تحبب إلى القراء العودة إلى كتب السير
والتراجم الذاتية ، والتوفير على قراءتها ، فقد أدت مهمتها ، وإن استطاعت أن تصل
بينهم وبينها بسبب ، ولو كان سبباً من المعرفة العابرة ، فإنها أيضاً لم تذهب عبثاً ولم
يكن الجهد فيها مضيعاً » .

ولنا تعليق على هذه السطور في المقدمة ، إذ لا يقتصر الكتاب على السيرة
الذاتية فحسب ، وهي تلك التي يكتبها المؤلف عن نفسه كالأيام لطف حسين مثلاً ،
وطوق الحماة لابن حزم ، وحياتي لأحمد أمين . . الخ ، بل يتضمن حديثاً عن
السيرة الغريبة كعقوبات العقاد وغيرها .

* * *

إحسان عباس ، وهو الكتاب الذي بين أيدينا . ولسنا بصدد الموازنة بين رؤى النقاد
في كتبهم تلك ، ولن نقول مع إلياس خوري^(١) بأن هذا الكتاب (أكثر الكتب
الجامعية شمولية) فكل كتاب من الكتب السابقة له ميزاته ، وله مجالات رؤاه ، كما
أن للكتاب الذي بين أيدينا ميزاته ومجالات رؤاه .

ولقد بين المؤلف في السطور الأولى للمقدمة أنه حار بين منهج يراعي فيه
البساطة والتبسيط ، ومنهج يراعي فيه الإيجاز ، وأنه في منهجه لجأ إلى دراسة مطولة
عن كل شاعر على حدة ليستخلص منها ما يتدرج تحت عنوان الاتجاهات ، ثم كان
عليه أن يقرب بحثه إلى أكبر عدد من القراء ، وقد اختار لذلك طريقة قريبة من روح
الشعر ، ويقصد بذلك تقسيم أبواب الكتاب حسب مضمون الشعر وأفكاره ورأى أن
من حسنات هذا المنهج تمكين القارئ من إدراك « الركائز » وأقر أن من عيوب هذا
المنهج حجب تطور هذا الشعر ، وقد تنبه لدلول مصطلح « المعاصر »
و« الحديث » وما يعنيه من الابتداء منذ مطلع هذا القرن ، لكنه قصر البحث على
ثلاثين سنة مضت فحسب لأسباب منها ما دار من دراسات حول الفترة السابقة ،
ولأن شعر المرحلة السابقة مباشر لا يحتاج إلى تبسيط . كما أقر أنه رضي الحد الأدنى
من دور الناقد التحليلي التشرحي ، ثم يصل إلى عزمه أن يكون هذا البحث نواة
صغيرة لدراسة شاملة عن الشعر العربي^(٢) .

وفي كتابه يتناول في عرض موجز نظرة تاريخية موجزة ، ودلالة البواكير الأولى في
قصائد الخيط المشدود في شجرة السرو لنازك ، وفي السوق القديم للسياب ، وسوق
القرية للبياتي متجاوزاً قصيدتي الكوليرا لنازك ، وهل كان حباً للسياب ، ثم يتناول
العوامل التي تحدد الاتجاهات الشعرية ، ثم يتناول الشعر في مواقفه من : الزمن
والموت ، والمدنية ، والتراث ، والحب ، والمجتمع .

ويتساءل من يقرأ الكتاب ويعجب بزوايا تناوله ، هل حقق الكتاب هدفه
وعنوانه ؟ أي عالج اتجاهاته جميعاً ؟ وهل يرضى الكتاب المهجين في طموحهم
العلمي ، أي خاطب عقلية قارئ مولع بالبحوث الأكاديمية ؟
إنها تساؤلات قد تعسر الإجابة عليها في تعريف موجز كالذي نحن بصده ، كما
أن الإجابة ليست بنفس القدر من السهولة التي كان عليها السؤال ؟

الهوامش

(١) انظر علي عباس علوان ، تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، وزارة الإعلام ،
١٩٧٥ م ، وطراد الكبيسي ، في الشعر العراقي الحديث ، بيروت ، صيدا .

(٢) قضايا الشعر المعاصر ، دار الكتاب العربي ، ١٩٥٩ م .

(٣) قضايا الشعر المعاصر ، دار الآداب بيروت ، ١٩٦٢ م .

(٤) قضية الشعر الجديد ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ،
١٩٦٤ م . وترجم سعد مصلوح كتاب حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث ،
١٩٦٩ م .

(٥) الشعر العربي المعاصر ، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، دار العودة ودار الثقافة
بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٢ م .

(٦) انظر موازنة من هذا النوع تعليقاً على كتاب إحسان عباس : إلياس خوري ، دراسات
في نقد الشعر ، دار ابن رشد بيروت ، ط ١ ، كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩ م . (في نقد الشعر
ملاحظات انطلاقاً من كتاب إحسان عباس : اتجاهات الشعر العربي المعاصر
ص ١٩٧ - ٢٢٦) .

(٧) انتهى المؤلف من كتابة كتابه (اتجاهات الشعر العربي المعاصر) في ٢ حزيران (يونيو)
١٩٧٧ م .

●● اتجاهات الشعر العربي المعاصر : ويرصد الكتاب أهم

اتجاهات الشعر العربي منذ بواكيره الأولى في العصر الحديث ، ويذكر العوامل التي
تحدد اتجاهاته ، ثم يتناول في خمسة فصول تالية : الموقف من المدنية ، والموقف من
الزمن ، والموقف من التراث ، والموقف من الحب ، والموقف من المجتمع . وذلك
في ٢١٢ ص .

ثم يضم إلى الكتاب ملحقاً يضم بعض القصائد التي وقف عندها بالدراسة
ليربط القارئ بينها وبين آراء الدارس وذلك في ٨٠ صفحة ، وضمت قصائد لكل
من : نازك الملائكة ، والسياب ، والبياتي ، وسميح القاسم ، وخليل
حاوي ، وأدونيس .

ولقد دارت دراسات عديدة حول الشعر العربي الحديث في بحوث بالدوريات
وفي كتب مفصلة ، وبعض هذه الدراسات كان عن الشعر في قطر معين كالعراق
مثلاً^(١) ، أو الكويت ، أو مصر ، وبعضها كان عاماً يعالج الفن الشعري العربي
بوجه عام في بيئاته المتعددة ، وقد كانت فيه محاولات قديمة لأحمد زكي
أبو شادي^(٢) ، كما توالت سلسلة من البحوث حول الشعر العربي عامة ، من
ذلك : كتاب نازك الملائكة^(٣) ، والدكتور محمد النويهي^(٤) ، والدكتور
عز الدين إسماعيل^(٥) ، حتى كان عام ١٩٧٨ م ، حيث صدر كتاب الدكتور

فيلسوف معاصر

نيكولاي هارتمات

الرجل وفلسفته الأولى قحجيرة

بقلم : د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم

يقول « سيدني هوك » ، المؤلف المعروف ، وأحد معارضي نزعة نيكولاي هارتمن الواقعية : إن هارتمن : « ليس له إلا سلف عظيم واحد هو أرسطو »^(١) .

ويقول وليم فرانكلين ، أستاذ علم الأخلاق إن هارتمن : « أفلح في أن يجعل لوحة القيم (الخلقية) عنده شاملة لكل ما عرف البشر من قيم »^(٢) .

أما الفيلسوف الألماني الكبير « ماكس شيلر » فقد شهد بأن كتاب « الأخلاق » لهارتمن عمل عظيم ، وقال : « إن تاريخ الفلسفة لم يشهد - منذ عشرات السنين - عملاً ثرياً كهذا »^(٣) .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية أن نيكولاي هارتمن : « أحد الفلاسفة الألمان الكبار الذين ظهوروا بين الحربين العالميتين » ، وأن « أعماله تتميز بالاتساع والقوة ، الأمر الذي أفضى بمبادئ فلسفته الوجود (المبادئ الأنتولوجية) إلى الإثارة في جميع المجالات الفلسفية »^(٤) .

ووصفت « الموسوعة الفلسفية المختصرة » فيلسوفنا بأنه : « واحد من الميتافيزيقيين التأمليين القلائل الذين اصطنعوا للفلسفة أسلوبها الفخم في القرن الحاضر » ، وأن تحليلاته للقيم الخلقية لا مثيل لها في تاريخ الفلسفة الأخلاقية ، وأنه بهذه التحليلات قد تجاوز أرسطو^(٥) .

أما « بوشنسكي » مؤرخ الفلسفة الأوروبية المعاصرة فيقيم الرجل وفلسفته قائلاً : « إن مما لا ريب فيه أن نيكولاي هارتمن واحد من أكبر أعلام الفلسفة المعاصرة مغزى ، وأنه - مع « هوايتهد » و « ماريتان » Maritain - رائد لميتافيزيقا القرن العشرين ؛ وإن اهتمام هارتمن ببناء مذهب ليقل عن اهتمام هذين . وإن قوته تتمثل في تحليلاته الدقيقة ، وقدرته على تقديم أفكاره بأسلوب واضح ، وهي قدرة نادرة بين الألمان ؛ فضلاً عن هذا فإننا نجد لديه عياناً عميقاً بما تنطوي عليه أفكاره من مضمون . وإن مؤلفاته في الحقيقة نماذج للدقة الصارمة والشمول العلمي »^(٦) (والعيان هو الإدراك المباشر ، دون مقدمات) .

ويصف « بوشنسكي » فلسفة هارتمن بأنها : « تضم بين جنباتها عدداً هائلاً من الحقائق المنسية منذ « ديكارت » ، وثروة من العيان بها حرك هارتمن تطور الفكر الفلسفي ، وخاصة في مجال فلسفة الأخلاق »^(٧) .



★ أرسطو ★

فلسفة هارتمن

ويبني هارتمن فلسفته كلها على موقف محدد من « الوجود » . فعنده أن فلسفة الوجود (الأنتولوجيا) هي أساس نظرية المعرفة وفلسفة الأخلاق ، « وليس بوسع أي فلسفة أن تقف على قدميها دون أن تكون لها وجهة نظر أساسية في الوجود . هذه الحقيقة صادقة بغض النظر عن الموقف أو الاتجاه أو الصورة العامة للعالم التي تتبناها أية فلسفة » ^(٨) .

وعلى هذا كان من المحم على كل الاتجاهات الفلسفية - حتى المذاهب الذاتية المتطرفة التي تنكر الوجود الخارجي وتعتبره وهماً - أن تستند إلى فلسفة وجود ؛ « فالذاتية » التي تصر على أن وجود أي شيء خارج ذهن الذات مجرد وهم لا بد أن تفسر لنا هذا الوهم ! وكل اتجاه فلسفي لا يسعه الاستغناء عن الأساس الأنتولوجي ، أو تجنب وضع أسئلة عن الوجود « بما هو كذلك » . فمن المسلم به أن الإنسان لا يستطيع أن يفكر - بحكم ماهية الفكر ذاتها - في « لا شيء » ، وأنه لا بد أن يفكر في « شيء ما » ؛ وذلك الشيء لا بد أن يطرح مشكلة الوجود ^(٩) . ومن هنا عني هارتمن عناية كبيرة بإيضاح موقفه من الوجود ، وعلى أساس من هذا الموقف أو المذهب أقام نظريته في المعرفة ، ومذهبه في الأخلاق .

موقفه من الوجود

ولعل أيسر مدخل إلى موقف هارتمن من الوجود هو الإحاطة بأصوله ومصادره ؛ فإنه استفاد من أفلاطون وأرسطو من القدماء ، ومن

هذه هي قيمة الفيلسوف الذي نقدمه للقراء العرب في هذا المقال . . .

مفكر كبير ، برع براعة فائقة في اصطناع المنهج الوصفي التحليلي ، حتى أسر عقول معاصريه من الفلاسفة والمؤرخين ، فشاهدوا بأنه تجاوز أرسطو نفسه !

ومما لا جدال فيه أن هارتمن واحد من أبرز الفلاسفة المعاصرين ، وأحد اثنين لا ثالث لهما على رأس فلسفة الأخلاق ، ووحيد عصره في تطبيق المنهج الوصفي التحليلي على مشكلات الأخلاق ومسائلها .

وإني إنما صدرت هذا المقال بتقويم المعاصرين لفلسفة هارتمن أملاً في أن يحفزنا على احتمال المشقة التي لا مناص من معاناتها في دراستنا لفكره !!

ولعل من المفيد أن نعرض في إيجاز حياة هارتمن قبل أن يجذبنا إلى أعماق عائلته الفلسفي !

حياة هارتمن

وسوف نلغها حياة هادئة ، رتيبة ، عامرة بالتحصيل والتدريس والتأليف .

فقد ولد هارتمن يوم ٢٠/٢/١٨٨٢ م ، في « ريغا » من أعمال « لاتفيا » ، لأسرة ألمانية بروتستانتية ؛ ولما بلغ السابعة عشرة بدأ دراسة الطب في « دوربات » ، واستمر في هذه الدراسة إلى أن بلغ العشرين . ثم ترك الطب ، وانتقل إلى « بطرسبرج » ليدرس الفيلولوجيا في جامعتها أول الأمر ، ثم يدع الفيلولوجيا إلى الفلسفة بعد ذلك . وفي هذه الجامعة تأثر هارتمن في دراسته للفلسفة بالتيارات الفكرية العديدة التي هبت رياحها على العاصمة الروسية من دول القارة المتقدمة .

ولم يحصل هارتمن على درجته الجامعية من جامعة بطرسبرج ، وإنما من جامعة أخرى هي « ماربرج » التي كانت معقلاً « للكانتية الجديدة » ؛ وذلك عام ١٩٠٧ م ، حيث كان قد بلغ الخامسة والعشرين .

وقضى الرجل سني حياته العملية الأولى (١٩٠٩ - ١٩٢٥ م) يدرس الفلسفة في جامعة « ماربرج » التي تخرج فيها . لكنه غادرها عام ١٩٢٥ م ، بعد أن أصبح أستاذاً ، إلى جامعة كولونيا ، وظل هناك إلى عام ١٩٣١ م ، حيث انتقل مرة أخرى - وأخيرة - إلى جامعة برلين ليشغل كرسي الفلسفة بها .

وفي « جوتنجن » توفي هارتمن يوم ٩/١٠/١٩٥٠ م ، عن ثمانية وستين عاماً .

عمرت حياة هارتمن بالبحث والدرس والتأليف ، فصدر له اثنا عشر كتاباً غطت كل المباحث الفلسفية ، واتسمت بالسعة والعمق ؛ ومن هذه الكتب ما يساوي في حقيقته مجموعة من الكتب ، مثال ذلك كتابه « الأخلاق » الذي صدر عام ١٩٢٩ م ، وكتاب « مبادئ ميتافيزيقا المعرفة » الذي صدر عام ١٩٣١ م ، وكتاب « فلسفة الطبيعة » الذي نشر بعد وفاته بقليل عام ١٩٥٠ م .



★ ديكارت ★

أنواع الوجود واقعية ؛ إنها أكثر واقعية من أية مظاهر مادية»^(١٢) .
وسوف يتكرر سوء الفهم نفسه في الفلسفة الحديثة والمعاصرة من
قبل «الماديين» و«الذاتيين» .

والحق أن أفلاطون نفسه كان مسؤولاً عن سوء فهم أتباعه للوجود
«المثالي» ، لأنه بدا متردداً فيما يتعلق بمسألة «المكان» الذي توجد فيه
«المثل» ، أو «العالم» الذي تنتمي إليه ، إن التزمنا الدقة في التعبير ، لأن
«المثل» غير مادية ، وتبعاً لذلك لا ينبغي أن يكون لها
«مكان» ! ووصفها بأنها ضرب من الوجود «المثالي» غير مفهوم
ولا متصور على نحو واضح !

ففي «المحاورات» اقترح أفلاطون على لسان سقراط ، أن تكون
«المثل» في الطبيعة ، أي داخل الوجود المادي ، بوصفها نماذج للأشياء ؛
لكن هذا يعني أنها كيانات مادية ، ومن ثم تتبدل ، وتتغير ، وتفسد ،
وتندثر ! وهذا يناقض تعريف أفلاطون للوجود المثالي ، ويدججه في الوجود
المادي ، بحيث لا يكون هناك سوى نوع واحد من الوجود ، وهذا ما ياباه
أفلاطون بشدة !^(١٣) .

فأين تكون «المثل» إذن ، إذا لم تكن في الذهن ولا في
الطبيعة المادية ؟

لم يعد أمام أفلاطون سوى القول بأنها موجودة في عالم خاص غير
عالمنا هذا^(١٤) ؛ عالم ثالث غير عالم الذهن (أو عالم الذات العارفة)
وغير عالم المادة ؛ وهذا ما قال به أفلاطون حقيقة ، لكنه لم يغن في
شيء ! وظل الغموض يحيط بالوجود المثالي من كل جانب !

فمنذ عهد أفلاطون وهذا «العالم الثالث» يثير موجات من
النقد متلاحقة ؛ بل إن رفض هذا «العالم» الأسطوري وُجد قبل
أفلاطون ؛ ذلك أن فكرة وجود المثل الخلقية العليا في عالم خاص غير
الذهن والطبيعة المادية ، كانت قد ظهرت ونبذت لدى اليونان
أنفسهم ، قبل عصر أفلاطون .

وحاول أفلاطون الرد على تلك الانتقادات الكثيرة والمبررة ، لكن
رده : «لم يزد عن أن يكون تعبيرات مجازية»^(١٥) .

الوجود المثالي عند هسرل

ولم تجد نظرية الوجود «المثالي» النصير القوي إلا في «إدموند
هسرل» (١٨٥٩ - ١٩٣٩ م) ، صاحب فلسفة الظاهريات المعاصرة ،
الذي استطاع أن ينتزع اعتراف الفكر المعاصر بهذا الوجود ، «بعد أن
أغفلته الفلسفات الذاتية لزمان طويل»^(١٦) .

ميز «هسرل» تمييزاً حاسماً بين :

أ - الوجود الواقعي ، أو وجود الوقائع ؛ (وهو
«معروف» للناس ، وإن أثار بعض الفلاسفة الشكوك حول حقيقته !) .
ب - والوجود الماهوي ، أو وجود الماهيات (وهو موضوع
شك من الكثيرين) .

والأول هو الوجود المادي ؛ والثاني هو الوجود «المثالي» بلغة

«هسرل» (١٨٥٩ - ١٩٣٩ م) ، من المعاصرين ؛ ثم إنه تأمل
وحلل وقلب النظر فيما أخذ ، فتكشفت له حقائق كثيرة ، فخرج هذا بذلك
ليشكل من هذا المزيج فلسفته ؛ لقد استلهم هارتمن نظرية «المثل»
الأفلاطونية ، وقبل نظرية «الماهيات» التي قال بها «هسرل» ، مع
الإصرار على تنقيتها من شوائب «الذاتية» !

كانت نظرية «المثل» الأفلاطونية تقسم الوجود إلى :

أ - الوجود المادي ؛

ب - والوجود المثالي .

وكان قوام الوجود المادي عند أفلاطون : الأشياء التي نراها في عالم
الطبيعة . وطابع هذا الوجود التغير المتصل .

وقوام الوجود المثالي عنده : «المثل» و«الأرواح» Souls ؛ وهو
وجود غير مرئي ؛ وطابعه الثبات كما هو دون تغير . و«المثل» التي تشكل
نسيج هذا الضرب من الوجود ليست المثل الخلقية العليا فحسب ،
ولكن لكل شيء من الأشياء الموجودة في عالم الطبيعة «مثالاً» موجوداً في
عالم «المثل»^(١٧) .

ويعرف أفلاطون الوجود المثالي بأنه : «الذي لا يموت ، المعقول ،
الوحيد في نوعه ، الذي لا يفسد ، الباقي كما هو دون تغير»^(١٨) .

ومعنى هذا أن «المثل» كائنات غير مادية ، لا تفسد ولا تبلى ، ولا
تتغير . وإدراكنا لها لا يكون بالحواس وإنما بالعقل وحده . هذا هو ما قال
أفلاطون عن الوجود المثالي ؛ وهو مبهم جداً !! ولهذا كان من العسير
على العقل البشري فهم هذا الوجود «المثالي» !! حتى أتباع أفلاطون
أنفسهم شكوا في وجود «المثل» الذي أكده أستاذهم ، وظنوا أن «المثل»
مجرد تصورات لا وجود لها إلا في العقل أو الذات العارفة ؛ لكن
أفلاطون نفى عنها هذا الطابع الذاتي ، ووصفها بأنها واقعية ، بل من أكثر

أفلاطون .

وأثبت « هسرل » استقلال الوجود « الماهوي » عن الوجود الواقعي ، وعن ذهن الذات العارفة ، وبذلك برهن على أن « العالم الثالث » (الذي نبذته الفلسفة اليونانية) حقيقة وجودية لا أسطورة أفلاطونية ، وأن إنكاره أو نفيه ليس سوى سذاجة وضيق أفق !

وشاد « هسرل » نظريته في المعرفة على هذه الحقيقة الأنتولوجية ، فقال بنوعين من المعرفة : الأول هو المعرفة الحسية ، وموضوعها الوجود المادي ؛ والثاني هو المعرفة الحدسية – أو العيانية – وموضوعها الوجود المثالي الذي يحب هسرل أن يسميه الوجود « الماهوي »^(١٧) .

فالوجود الماهوي ، إذن ، ليس مادياً ، ولا ذاتياً ، ولكنه مستقل عن المادة والذات^(١٨) ؛ ومعرفتنا به – أيضاً – ليست كالمعرفة الحسية التي تتخذ من الأشياء المادية موضوعاً لها ، ولكنها معرفة عيانية ، هذا هو لب فلسفة الظاهريات المعاصرة التي صبغت فلسفة العصر بألوانها ومذاهبها المتباينة .

غير أن مبدأ « القصديّة » الذي ابتدعه هسرل أيضاً ، والذي يؤكد على وجود علاقة لا تنفصم بين « وعي » الذات العارفة ، والوجود الذي هو موضوع هذا الوعي ، قد شاب فلسفته بنزعة ذاتية – وهو الذي نقض الفلسفات الذاتية من أساسها ، وانتقدها انتقاداً عنيفاً !! فإن هذا المبدأ – في نظر هارتمن – يجعل الوجود مشروطاً بوعي « الأنا » – وينفي إمكان الوجود لشيء بصورة مستقلة عن الذات^(١٩) ، لأنه – أي مبدأ القصديّة – يقرر أن الوجود الحق هو الوجود المائل في الوعي .

ويقول « كنتان لاور » إن هذه « الشبهة الذاتية » في فلسفة هسرل جاءت من مبدأ الظاهريات القائل بأن : « ما هو موجود له معنى ؛ والوجود الحق هو الوجود بالنسبة للذات »^(٢٠) ؛ لأن الذات هي التي تدرك معنى كل موجود ؛ فإذا لم توجد ذات ، ولم يوجد إدراك لمعناه ، فلا أساس للقول بوجوده !

وهذه هي المسألة الخلافية الكبرى بين « هسرل » وتلميذه « هارتمن » .

فإن هارتمن يبرهن على أن الوجود المادي ، والوجود المثالي ، كلاهما مستقل عن المعرفة وعن الوعي المدرك ، كما يثبت استقلال الوجود المثالي عن الوجود المادي^(٢١) . وأبعد من هذا ، تبين تحليلات هارتمن الواسعة الدقيقة أن الوجود متعدد الأنماط ، فهناك الوجود المادي ، والوجود العضوي ، والوجود النفسي ، والوجود الروحي ، والوجود المثالي ؛ وكل هذه الأنماط موجودة بصورة مستقلة عن الذات العارفة^(٢٢) .

اثبات استقلال الوجود المثالي

ولكن كيف يبرهن هارتمن على استقلال الوجود « المثالي » الذي واجهته الاعتراضات منذ أفلاطون ، وشابته الذاتية حتى عند نصيره « إدموند هسرل » ؟ ؟

إن الخاصية الحاسمة التي تثبت هذا الاستقلال في نظره هي قدرة الوجود على فرض نفسه على الإرادة الإنسانية وعلى الوعي الإنساني ؛ إن الوجود المثالي – شأنه شأن الوجود المادي – لا يخضع لرغبات الإنسان وأهوائه ، بل يصمت ويقاوم الإرادة الإنسانية ، ويتمرد على رغباتها ، ثم يخضعها لمنطقه وسلطانه .

ومن المفيد أن نذكر هنا أمثلة من « الموجودات المثالية » ، لنقرب معنى هذا الوجود إلى أذهاننا ، ونتجنب الغموض الذي يلف هذه المصطلحات الفلسفية بسجبه الداكنة !

إن كل الحقائق العامة الثابتة ؛ المنطقية ، والرياضية ، والأخلاقية ، تُعد عند هارتمن من الموجودات المثالية . فهذه الحقائق ليست طوع رغبات الإنسان ، وليس بوسع البشر تغييرها أو تعديلها أو إبطال فعاليتها ؛ وهذا هو الدليل على استقلالها عن الذات العارفة ، وعلى وجودها المثالي .

فالحقيقة المنطقية التي تقول إن المقدمتين السالبتين عقيمتان – أي لا يمكن أن نستنتج منها أية نتائج – عضو في عالم الوجود المثالي ؛ وكذلك المبدأ الأخلاقي الذي ينص على أن الاغتياب لمصائب الآخرين رذيلة ؛ أو المبدأ الذي يقرر أن الوفاء بالعهد فضيلة أو قيمة إيجابية ، وأن الغدر رذيلة أو قيمة سالبة أو شر ؛ هذه كلها حقائق عامة ثابتة باقية كما هي دائماً ، لا تتغير ولا تتبدل بمرور الأيام أو اختلاف البيئة والمكان ؛ وهذا الثبات والبقاء والاستقلال عن الزمان والمكان والتطورات الاجتماعية والرغبات البشرية هو أخص خصائص الوجود المثالي .

والإنسان يدرك جيداً أن هذه « الموجودات المثالية » – أو الحقائق الثابتة – مستقلة عن ميوله ورغباته ويعلم يقيناً أن وجودها مستقل كلية عن معرفته وجهله ؛ فالوفاء بالعهد قيمة خلقية إيجابية سواء عرف البشر ذلك أو لم يعرفوا ، وقبل أن يعرفوا ، وبعد أن يعرفوا !

ويتابع هارتمن أستاذه هسرل في بناء نظرية معرفة استناداً إلى موقفه من الوجود ، فيميز بين معرفة سابقة على كل تجربة – هي معرفتنا بالوجود المثالي ؛ ومعرفة تحصل بالتجربة ، هي معرفتنا بالوجود المادي^(٢٣) – وهو تمييز ابتدعه « عمانوئيل كانت » ، في الأصل ، وأخذ عنه المعاصرون .

ودفاعاً عن هذا المذهب الواقعي يناقش هارتمن الفلسفات الذاتية المتطرفة التي تنكر وجود أي شيء خارج الذهن ، لا الوجود المثالي فقط ؛ ومن الجلي أن هذا الإنكار يصدّم البدهة الإنسانية السوية ، ويبدو في غاية الضعف والتهاوت ، ولكنه على الرغم من ذلك أثار مجادلات كثيرة بين « الذاتيين » و « الواقعيين » ! وعلى هذا سوف نكتفي بالإشارة إلى أن هارتمن استند إلى مفهومه للوجود في نقده لمزاعم الذاتيين ، ولن نخوض في ذلك الجدل العقيم المثير للسخرية حول وجود العالم الخارجي ، وهل هو مجرد وهم أو حقيقة قائمة بذاتها !

إن هذا الوجود لا يخضع لإرادة الإنسان ورغباته ؛ ومن ثم فهو ليس وهمًا ، ولا هو مجرد خيال أو تمثّل من خلق الذهن الإنساني ؛ هذا هو باقتضاب شديد رد هارتمن على الفلسفات الذاتية التي تنكر وجود أي شيء

والفرنسية ، وكانت فلسفته موضع دراسات عديدة في ألمانيا خاصة ، وفي أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية عامة . وأما في عالمنا العربي فلا يزال الرجل وفلسفته مجهولين ، ولم ينشر عنه شيء سوى فقرة هنا أو هناك ضمن عدد قليل جداً من المؤلفات الحديثة في علم الأخلاق .

المراجع

١ — المجلة العالمية للأخلاق ؛ يناير (كانون الثاني) عام ١٩٣٠ م .

2 — Frankina (William); «Ethics»; 2 nd imp. Michgan, 1964; p. 72.

3 — Scheler (Max); «Formalisme en ethique»; 1916; P. 22.

4 — Vol. 11; P. 228.

٥ — الترجمة العربية ، تحت إشراف د. زكي نجيب محمود ؛ ص ٣٨٠ .

6 — Bochenski (I. M.); «Contemporary European phi.»; 1961; p. 212.

7 — Ibid; 213.

8 — Hartmann; «New Ways of Ontology»; Eng. tra. p. 4.

9 — Bochenski; op. cit; p. 214.

10 — Grube; «Plato's Thought»; P. 1.

11 — Ibid; P. 18.

12 — Lutoslowski (Wincent); «The Origin and Growth of Plato's Logic»; London; 1905; P. 251.

13 — Grube; op. cit; 34.

١٤ — د. فؤاد زكريا : دراسة لجمهورية أفلاطون ؛ ص ١٤٣ .

15 — Grube; op. cit; P. 35.

16 — Hartmann; «Ethics»; vol. I; P.183 - 184.

17 — Husserl (Edmond); «Ideés»; tra. fra. Paris; 1950; P. 17 - 19.

18 — Ibid; P. 22.

19 — Nakhnikian (Goerge); An Essay in «Readings in Twentieth Century Phi.»; London, 1963; P. 629.

20 — Husserl; «Ideés»; P. 4.

21 — Nakhnikian; op. cit; P. 733.

22 — Hartmann; «New Ways»; P. 43.

23 — Hartmann; «Les Principes d'une Métaphysique»; Vol. 2 P. 193.

24 — Ibid; Vol. 1; P. 307.

25 — Ibid; P. 308.

المنهج الوصفي التحليلي

ولكن عظمة هارتمن وأصالته تتمثل في قدرته الفائقة على اصطناع **المنهج الوصفي التحليلي في المباحث الفلسفية** ، وفي فلسفة الأخلاق على وجه الخصوص . ولقد كانت تحليلات هارتمن للقيم الخلقية هي « تحفته الرائعة » التي جلبت إليه إعجاب فلاسفة العصر وتقديرهم ؛ فإن هذه التحليلات الواسعة الدقيقة العميقة كشفت عن حقائق كثيرة ومفصلة ، وعاونت هارتمن على تشييد فلسفته على ثروة هائلة من الحقائق الجزئية . وإن الفائدة التي ربما يرجوها الدارس لفلسفة هارتمن لن تكون في فلسفته ، على ما لهذه الفلسفة من قيمة لا ريب فيها ، ولكن في النموذج الفريد الذي يتمثل في تطبيقات هارتمن للمنهج الوصفي التحليلي على مباحث الفكر المتباينة . وإني لأرجو أن يفيد الباحثون العرب من هذا المنهج ، ومن تطبيقات هارتمن له خاصة ، في معالجتهم للمسائل الثقافية والفكرية ، فإنهم باصطناع هذا المنهج يكشفون عن كنوز دفينية ، ويبددون ما تراكم حول الحقيقة من الأخطاء والأوهام .

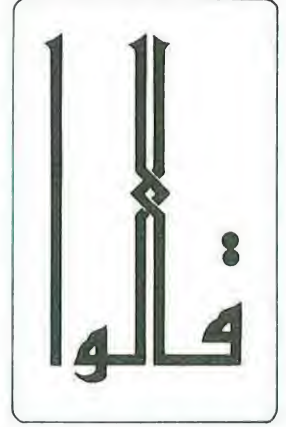
ولا ريب في أن قيمة فكر هارتمن وأصالته تمتد إلى عناصر فلسفته كلها ، ولا تقف عند حدود تحليلاته الوصفية . ويكفي أن نذكر هنا أن هارتمن استطاع — مع هسرل وماكس شيلر — أن يقف في وجه **السفسطة الحديثة** والمعاصرة التي تمثلت في المذاهب الوضعية والذاتية والهادية ، وأن يعيد إلى الحقيقة ثباتها واستقرارها ، ويبرهن على استقلالها عن أهواء الإنسان ورغباته وأشواقه !

علم الأخلاق

وفي نطاق علم الأخلاق كانت أصالة هارتمن بارزة ؛ فهو قد فصل القول كما لم يفعله أحد من قبل في تفنيد مزاعم « النسبية الأخلاقية » وكشف عن تمهاقها وزيفها ، وأثبت أن المبادئ الخلقية مطلقة ، ثابتة ، لا تتغير بتغير الزمان والمكان كما زعمت المذاهب النسبية ، لأن هذه المبادئ « موجودات مثالية » مستقلة عن إرادة الإنسان ، وعن أثر الزمان والمكان والظروف الاجتماعية .

وأسهمت فلسفة هارتمن أيضاً بدور فعال في التصدي لمزاعم المادية الحسية الضيقة الأفق ، وادعاءات المذاهب الذاتية المتطرفة ، وأكدت أن الوجود لا يمكن أن يكون مادة محسوسة فقط ، كما تزعم المادية ، وأنه يستحيل أن يكون مجرد وهم أو خيال لا أصل له إلا في ذهن الإنسان العارف !

ولهذا كله ترجعت أعمال هارتمن الكبرى إلى الإنجليزية



- الصبر الحزين أقرب جوار لليأس .

ماثيو أرنولد

- يمكن لصبرنا أن يحقق أكثر من قوتنا .

إدموند بيرك

- خذ حذرك من ثورة الرجل الصبور .

جون درايدن

- الجميع يوصي بالصبر ، ولا أحد يستطيع مواجهته .

توماس فولر

- الصبر نبات مر ذو فاكهة حلوة .

مثل ألماني

- الصبر كالثقة يمكن أن يزيح الجبال .

وليام بن

- من لا صبر له لا حلم له .

جولستان

- الرجل الصبور لا يستعجل التاريخ .

أدلاي إستيفنسون

- الصبر والد لطفل جميل .

مثل قديم

- اشترك في الندوة
- الشيخ مناع القطان (السعودية)
 - د. عبد الكريم زيدان (العراق)
 - محمد الشاذلي النيفر (تونس)
 - د. وهبه الزحيلي (سورية)
 - د. محمد سلام مدكور (مصر)

المعاملات المصرفية والربا

إعداد : محمد مبارك

والربا في اصطلاح الفقهاء : فضل بلا عوض في مبادلة مال بمال .

والربا محرم بالكتاب والسنة والإجماع . يقول النووي : وقد أجمع المسلمون على تحريم الربا وإن اختلفوا في ضابطه وتفاريقه .

وقد ذكر الفخر الرازي في حكمة تحريم الربا ما يلي :

★ أن الربا يقتضي أخذ مال الإنسان من غير عوض ، ومال الإنسان له حرمة ، قال صلى الله عليه وسلم : « حرمة مال الإنسان كحرمة دمه » لهذا يكون أخذ ماله من غير عوض محرماً .

★ حرّم الله الربا لأنه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب وهذا يؤدي إلى تعطيل مصالح البشر ، ومن المعلوم أن مصالح البشر لا تنتظم إلا بالتجارة والصناعة وغيرها من الأشياء التي تحتاج إليها المجتمعات .

★ حرّم الله الربا لأنه يؤدي إلى انقطاع المعروف والإحسان بين الناس .

★ من المعلوم أن المقرض يكون غنياً والمستقرض يكون فقيراً ، ولهذا لو قلنا بتجوز الربا لكان معنى هذا تمكين الغني من أكل مال الفقير وهذا غير جائز .

من المواضيع التي تستقطب اهتمامات المسلمين منذ أمد بعيد .. المعاملات المصرفية .. وموقف الإسلام منها .. ومن أبرز المعاملات المصرفية «منح» أو «الحصول» على الفائدة حسب موقف المصرف من كونه مديناً أو دائناً ، مقرضاً أو مقرضاً .

وتقوم البنوك بدور هام في الحياة الاقتصادية المحلية والدولية ، وهي تستحصل على مواردها المالية عادة من العملات التي تفرضها نتيجة أدائها لخدمات معينة لربائتها ، وأيضاً من الفوائد التي تفرضها على المقرضين منها ، وهي بالتالي تدفع لأنواع معينة من المودعين أو المقرضين لها فوائد بنسب تتوقف على عوامل كثيرة أهمها الأجل المسمى . ومحصلة أعمال المصارف أرباحاً كثيرة في بعض الأحيان ، وخيالية في أحيان أخرى .

والربا لغة : الزيادة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ (سورة الحج ، الآية ٥) ، أي علت وارتفعت وذلك معنى الزيادة .. وقال تعالى : ﴿ أن تكون أمة هي أربى من أمة ﴾ (سورة النحل ، الآية ٩٢) ، أي أكثر عدداً .



★ د. د. وهبة الزحيلي ★



★ أحمد الشاذلي النيفر ★



★ الشيخ مناع القطان ★

والأهمية موضوع المعاملات المصرفية بصفة عامة، وفائدة البنوك بصفة خاصة، نظمت الفصيل هذه الندوة التي ترحب أن تساهم في القاء المزيد من الأضواء حول هذا الموضوع عن طريق استجلاء آراء بعض العلماء والفقهاء .

الفائدة عبر التاريخ

الإغريق :

كان اقراض النقود بفائدة عملاً ممنوعاً عند الإغريق ، فأرسطو ذم الفائدة بكلمات قوية ، فقد شبه المال بدجاجة عاقر لا تبيض ، والغرض الأوحى من استخدام المال عنده هو تسهيل التبادل واشباع الحاجات البشرية ، كما ذم أفلاطون الفائدة .

الرومان :

حرمت الإمبراطورية الرومانية في عهدها الأولى تقاضي أية فائدة ، لكنها بدأت تظهر تدريجياً مع اتساع رقعة الإمبراطورية ونشوء فئات التجار ، غير أن قيوداً شديدة فرضت على معدلات الفائدة ، وكان تنفيذها يراقب بدقة . ولقد كان الرومان هم أول أمة شرعت قوانين لحماية المدنيين .

العصور الوسطى :

كان قانون الكنيسة حتى القرن الثالث عشر هو الأسس ، وكان تقاضي الفائدة محظور بشدة ، وبأقول نفوذ الكنيسة بدأ بإباحة الإقراض بالفائدة .

العصر التجاري :

١٥٠٠ - ١٧٠٠ م ، ورغم جهود التجارين ، فقد أخفقوا في السيطرة على معدل الفائدة ، وترك ذلك المعدل فيما بعد لكي تحدده قوى

ولأهمية موضوع المعاملات المصرفية بصفة عامة، وفائدة البنوك بصفة خاصة، نظمت الفصيل هذه الندوة التي ترحب أن تساهم في القاء المزيد من الأضواء حول هذا الموضوع عن طريق استجلاء آراء بعض العلماء والفقهاء .

أهم نظريات الفائدة

(١) النظرية الاتباعية « الكلاسيكية » للفائدة :

الفائدة حسب رأي سميث وريكاردو هي التعويض الذي يدفعه المقرض للمقرض عن الربح الذي كان يمكن أن يحققه باستثمار ماله . وهذه النظرية تنظر إلى المجتمع نظرة آلية ، وافترض الاقتصاديون الاتباعيون أن كمية المال لا علاقة لها بمعدل الفائدة .

(٢) نظرية الزهد في الفائدة :

أي أن الفائدة هي الثمن الذي يدفع عن الزهد ، أي سلوك الشخص الذي يزهد في الاستخدام العقيم لما في وسعه أن يتحكم فيه من مال ، فهو يفضل عامداً الإنتاج ذا النتائج البعيدة على الإنتاج ذي النتائج الفورية .

(٣) النظرية الإنتاجية للفائدة :

يعتبر المدافعون عن هذه النظرية أن الإنتاج خاصية ملازمة لرأس المال ، ويقولون إن هذه الخاصية التي يتمتع بها رأس المال هي سبب الفائدة .

(٤) النظرية المالية للفائدة :

وهي تعتبر الفائدة في جوهرها مشكلة مالية ، وتهتم بتحديد معدل

الكسب من الوجوه المشروعة ، مع التزام جانب القصد والاعتدال في الاستمتاع بالطيبات التي أحلها الله . والالتزام تنمية المال ، بوسائله الحلال ، التي لا ينشأ عنها أذى للآخرين .

ومن ثم فإن الربا يصطدم مع هذا التصور الإيماني ، لأنه نظام يقوم على تصور آخر لا رعاية فيه للمبادئ والأخلاق التي يريد الله للبشر أن تقوم حياتهم عليها ، إنه يقوم على أساس أن الإنسان سيد نفسه وسيد هذه الأرض ، فهو غير ملزم باتباع أوامر الله ، ويقوم على أساس أن غاية الوجود الإنساني هو أن يحصل الإنسان على المال بأي وسيلة ، ويستمتع به على النحو الذي يهوى ، ثم يؤدي هذا في النهاية إلى نظام يسحق البشرية لمصلحة حفنة من المرايين .

وتحريم الربا في الإسلام ليس بدعاً ، فإنه محرم في اليهودية والمسيحية من شرائع العهد القديم ، إلى شرائع الكنيسة في القرون الوسطى ، إلى شرائع اللوثرين وأتباعهم بعد عصر الإصلاح ، جاء في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر الخروج : « إن أقرضت فضة الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي » . وجاء في الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية : « لا تقرض أخاك رباً ، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض رباً » .

ويتضح من بعض النصوص أن الربا المحرم إنما هو الربا الذي يأخذه الإسرائيلي من أخيه ، أما الربا المأخوذ من أبناء الأمم الأخرى فإنه مباح كيف كان ، فالإصحاح الثالث والعشرون من سفر التثنية المنسوب إلى موسى عليه السلام صريح في اباحة أخذ الربا من الأجنبي حيث يقول مخاطباً شعب إسرائيل « للأجنبي تقرض رباً ، ولكن لأخيك لا تقرض رباً ، لكي يبارك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك » ، فليس هذا تحريماً إنسانياً منبثقاً من شعور بالرحمة والعدل في المعاملة ، ولكنه تحريم عصبية يبيح القسوة على الأجنبي ، ذلك لأن اليهود ينظرون إلى غيرهم على أنهم ليسوا مثل خلقهم ، ويقولون : « نحن أبناء الله وأجباؤه » وقد جعل الله تعالى أكلهم الربا من أسباب هلاكهم : « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً » (سورة النساء ، الآيتان ١٦٠ - ١٦١) .

وجاءت النصرانية فحرمت الربا في غير شعب إسرائيل ، ولم تقيد تحريمه بقوم دون قوم ، وسرى هذا التحريم من أوائل عهد المسيحية إلى قيام حركة الإصلاح ، فلم يكتف «لوثر» ، زعيم هذه الحركة ، بتحريم الفائدة قلت أو كثرت ، بل حرم كل العقود التجارية التي تؤدي في نظره إلى الربا ، حتى البيع بثمن مؤجل إذا كان أكثر من الثمن العاجل . يقول في رسالة له : « إن هناك أناساً لا تبالى ضائرتهم أن يبيعوا بضائعهم بالنسيئة في مقابل أثمان غالية تزيد على أثمانها التي تباع بها نفداً ، بل هناك أناس لا يحبون أن يبيعوا شيئاً بالنقد ويؤثرون أن يبيعوا



★ د . عبد الكريم زيدان ★



★ د . أحمد سلام مذكور ★

العرض والطلب .

القوائد الربوية

●● بدأ الندوة فضيلة الشيخ مناع خليل القطان ، مدير الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ، فأفاض في شرح التسلسل التاريخي لتحريم الربا ، وآثاره ، والرد على شبهة الذين يميزون الفائدة من المتأخرين فقال :

« يقيم الإسلام نظامه الاقتصادي - بل نظام الحياة كلها - على أساس أن الله تعالى هو خالق هذا الكون بما فيه ومالكة ، وقد استخلف الإنسان في أرضه ، ومكنه مما أذخر له فيها من أرزاق وأقوات ، ومن قوى وطاقات ، شريطة أن يقوم بهذه الخلافة وفق منهج الله وحسب شريعته ، فما وقع منه من عقود وأعمال ومعاملات وفق ما شرعه الله فهو صحيح نافذ ، وما وقع منه مخالفاً فهو باطل .

وقد شرط الله على عباده أن ينفعوا برزقه الذي أعطاهم على أساس من التكافل - لا على قاعدة الشيوع المطلق كما تقول الماركسية ، ولا على قاعدة الملكية المطلقة كما تقول الرأسمالية - ولكن على أساس الملكية الفردية المقيدة في

سلمهم جميعاً على النسبته» ، ثم قال : « إن هذا التصرف مخالف لأوامر الله مخالفته للعقل والصواب » .

والربا في نظر الفلاسفة ، غير مشروع أيضاً . فقد نهى « أفلاطون » عن الربا وقال : « لا يحل لشخص أن يقرض ربياً » ، واعتبر « أرسطو » الفائدة أياً كان مقدارها كسباً غير طبيعي ، لأن مؤداه أن يكون النقد وحده منتجاً غلة من غير أن يشترك صاحبه في أي عمل ، أو يتحمل أي تبعة ، وقال في ذلك : « إن النقد لا يلد النقد » . ثم جاء الإسلام فحرم الربا كذلك ، وأوضح في التشريع المكّي قبل أن تفصل الأحكام العملية للشريعة ، أن الربا غير فطري ، وذلك في سورة الروم بقوله تعالى : ﴿ وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجهه الله فأولئك هم المضعفون ﴾ (سورة الروم ، الآية ٣٩) .

وفي هذا استنكار للربا يفيد عدم رضا الإسلام عنه ، ثم نزل في المدينة تحريم ربا الجاهلية في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ ، ثم نزل بعد ذلك آيات سورة البقرة : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ ، وهي من أواخر ما نزل . وقال رسول الله ﷺ في حجة الوداع : « ألا وإن ربا الجاهلية موضوع عنكم كله ، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وأول ربا أبداً به ربا عمي العباس ابن عبد المطلب » .

وهذا النوع من الربا هو الذي يسمى - بالديون - وهو ربا النسبته ، وهو ربا الجاهلية ، وهو الذي ثبت تحريمه قطعاً بلا خلاف ، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال :

« إنما الربا في النسبته » . ويسمى هذا النوع الربا الجلي ، الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية ، يؤخر الرجل دينه ويزيده في المال وكلما أخره زاد في المال حتى تصير المئة عنده آلفاً مؤلفة .

أما الربا الخفي ، فهو ذريعة للربا الجلي ، وهو بيع الجنس بالجنس على غير سواء ، فبيع الدرهم بدرهم وزيادة ، وبيع الصاع بصاع وزيادة ، من غير تأخير ، ويسمى هذا الربا بربا الفضل لزيادة أحد المبيعين على الآخر ، وربي البيوع ، أي الربا الذي لم يكن أساسه الدين بل أساسه العقود نفسها ، والحكم الفصل فيه هو قول النبي ﷺ : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح مثلاً بمثل ، سواء بسواء ، يداً بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إن كان يداً بيد » ، وفي بعض الروايات : « فمن زاد أو استزاد فقد أربى » .

وقد أجمع العلماء على تحريم الربا في الأعيان الستة المذكورة في الحديث بالنسبة أو التفاضل واختلفوا في تعدي التحريم إلى غيرها لاختلافهم في علة التحريم التي تتعدى بها الحرمة هذه الأصناف الستة .

ومن آثار الاقتصاد الربوي :

- ١ - يتدفق دخل ضخّم إلى فئة قليلة تنبؤاً أعلى مرتبة في كيان المجتمع ، لأن دخلها يربو أضعافاً مضاعفة ، وفي الجانب الآخر يظل سواد الشعب محدود الدخل لا يستطيع أن يشتري السلع التي يفتقر إليها .
- ب - اشتعال نار العداوة بين الطبقات ، وتصعد في بنيان المجتمع ، يغذيها باستمرار منظر قلّة مترفة لا يعينها في قليل أو كثير حال أكثرية ساحقة من الشعب .
- ج - توالي الأزمات الاقتصادية لتضخم الإنتاج من ناحية ، وانحسار الاستهلاك في طبقة معينة من جهة أخرى .
- د - السيطرة المدمرة لكيان المجتمع من الأقلية المرابية التي تتسلط على أداة الحكم .

يقول وليام هيرست الأميركي في هذا : « نحن لا زلنا نحفظ بشكل حكومتنا الجمهوري ولكن من الذي يسيطر على اللجان التي تختار المرشحين ؟ الشركات . من الذي يسيطر على المؤتمرات الانتخابية ؟ الشركات . من الذي يسيطر على أجهزة الانتخابات ؟ الشركات . من الذي يسيطر على الذين يفوزون في الانتخابات ؟ الشركات . أيضاً يصيرون حقاً ممثلين للشعب ، أم هم ممثلون للشركات ولطبقة خاصة ؟

هـ - الاتجاه الجارف نحو الاستعمار الاقتصادي الذي يمتد خطره إلى مجتمعات أخرى في أجزاء من الكتلة البشرية ، ولهذا عوامل :

- ١ - تضخم القوة الإنتاجية الصناعية ، فهي تبحث عن أسواق أجنبية تستوعب فائض الإنتاج وتكفل الحد الأقصى من الأرباح .
- ٢ - حاجة الاقتصاد الربوي إلى ميادين أجنبية لاستثمار فائض المدخرات ذلك لأن الأرباح الفاحشة التي يتحصل عليها أصحاب الصناعات الكبرى لا يمكن توظيفها في السوق الداخلي إلا بفائدة منخفضة .

٣ - حاجة الصناعات الكبيرة في الاقتصاد الربوي إلى الموارد الطبيعية ، في البلاد المتخلفة اقتصادياً ، والسبيل إلى ذلك هو حمل حكوماتهم على بسط نفوذها السياسي على هذه البلاد .

و - جميع المستهلكين يؤدون ضرائب غير مباشرة للمرابين ، فإن أصحاب الصناعات والتجار لا يؤدون فائدة الأموال التي يقترضونها بالربا إلا من جيوب المستهلكين .

شبه الذين يجيزون الفائدة من المتأخرين :

إن ربا الجاهلية أو الربا الجلي أو ربا النسبته ، هو الذي جاء تحريمه صريحاً في القرآن ، قال تعالى : ﴿ وإن تبتم فلکم رؤوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ ، ولكن نفرأ ممن بهرهم الحضارة الأوروبية بأنظمتها الربوية يريدون تحليل الفائدة القليلة مستندين في ذلك إلى شبه واهية يحسن مناقشتها :

١ - قالوا إن كلمة الربا غير محدودة المعنى تحديداً قاطعاً ، وقد روي

أنه استُبهم على عمر رضي الله عنه .

والجواب عن هذا ، أن الذي يروى عن عمر - إن ثبتت صحته - فإن الذي التبس عليه هو أبواب الربا وليس الربا كله ، فإن بعض الربا لا يمكن أن يجله عمر ، وهو ربا الجاهلية ، وهو الربا المنصوص عليه في القرآن ، وهو الذي ثبت تحريمه بالقطع ، سئل الإمام أحمد عن الربا الذي لا شك فيه فقال : هو أن يكون له دين ، فيقول له ، أنقضي أم تربى ؟ فإن لم يقضه زاده في المال ، وزاده هذا في الأجل ، ومعاذ الله أن يكون مثل عمر بن الخطاب الإمام العادل الذي كتب الله الحق على قلبه ولسانه لا يفهم قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَبِمَ فَلَكُمْ رُؤُوسَ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ .

والذي روي عن عمر أنه سأل رسول الله ﷺ عن أبواب الربا وقال : « إنا والله لا ندرى لعلنا نأمركم بأمر لا تصلح لكم . ولعلنا نهلكم عن أمور تصلح لكم فدعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم » وكان الأولى لهم أن يأخذوا بعجز كلامه « فدعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم » .
ب - وقالوا : إن الربا المحرم في القرآن جاء تحريمه لأجل المروءة والأخلاق لا للتنظيم الاقتصادي ، وذلك بصدق على من يأخذ فائدة ممن يقترض للاستهلاك - لا للاستغلال ، فإن المروءة والأخلاق لا تنافيان أن يؤخذ من المدين الذي استدان للاستغلال وكسب منه الكسب الوفير مقدار محدود ، وعلى ذلك فالقرض الذي يكون للاستغلال يصح أخذ فائدة عليه من المدين .

والجواب عن هذا أن كلمة الربا لا يراد بها إلا الزيادة ، والنص القرآني صريح في أن الامتناع عن الربا يكون بأخذ رأس المال فقط .
وحال مكة والطائف ترجح أن القرض الربوي كان للاستغلال لا للاستهلاك لما عرف عن قريش من الاتجار . وثبت أن بني المغيرة ومكانتهم من قريش معروفة ، قد اقترضوا من ثقيف مالا بربا وقد وضعه النبي ﷺ ولا يعقل أن يكون هذا القرض للاستهلاك ، فكانت حياة العرب ساذجة والقرض للاستهلاك إنما يكون لمن تنوعت حاجاته وكثرت مطالبه وكان أكثر طعام أهل البادية التمر واللبن .

ج - وقالوا : إن الضرورة توجب أخذ الفائدة ، وإن لم تكن ضرورة فالمصلحة تقتضي ذلك ، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله تعالى .

والجواب على هذه الشبهة أن الضرورة التي يعنونها قائمة على وهم باطل ، وهي أن بناء الاقتصاد في البلاد الإسلامية يقوم على المصارف ، والمصارف تقوم على الربا ، وفي هذه الفائدة مصلحة اقتصادية لأنها تنمي الادخار ، وهذا ليس ضرورة شرعية ، فإن الضرورة الشرعية لا تقرر في نظام ربوي جماعي ، بل تكون في أعمال الأفراد ، وبناء الاقتصاد على المصارف الربوية ، وجعل هذا ضرورة معناه أن النظام كله يحتاج إلى الربا كحاجة الجائع الذي يكون في خمصة إلى أكل الميتة أو لحم الخنزير أو شرب الخمر .

وقد بين الرسول ﷺ الضرورة التي تبيح الحرام إجابة عن سألته بقوله : إنا نكون في الأرض تصيينا الخمصة فتي نحل لنا الميتة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « حتى لم تصطبخوا أو تغتبقوا أو تجددوا بقلأ » .
فإن هذه الضرورة من الحاجة إلى التعامل بالربا حتى نستحل ما حرم الله تعالى فنجعل النظام الربوي في المصارف ضرورة ؟
وليس ثمة مصلحة يقتضيها التعامل الربوي الذي يؤدي إلى طغيان رأس المال ، إنما المصلحة تحريم الربا على النحو الذي ذكرناه في حكمة تحريمه .

وبعد ، فالحديث عن أنواع التعامل المصرفي واقترح البديل يحتاج إلى بحث أطول .

إنشاء البنوك اللاربوية

● ويتحدث الدكتور عبد الكريم زيدان ، أستاذ الشريعة الإسلامية بقسم الدين بجامعة بغداد بالعراق عن ضرورة إنشاء بنوك تقوم على الأساس اللاربوي ويقول :

« الفوائد حرام في الإسلام ، سواء كانت عن قرض للاستهلاك أو للإنتاج ، وسواء كانت هذه القروض من أفراد أو من بنوك ، وهي من الشرور التي يحاول علماء الاقتصاد التخلص منها ولا يستطيعون ، لأنها جزء من نظامهم الاقتصادي . أما نحن معاصر المسلمين فليست الفائدة جزء من اقتصادنا ، وإنما نريد أن نجعلها كذلك . وهذا ضعف في الوازع الديني ، ونظر قاصر فيما ينفع في النظام الاقتصادي .

إن الفائدة أو الاقتراض بالفائدة لا يستفيد منه أو لا يباشره إلا التجار والأغنياء وأصحاب الأموال الكبيرة الذين لا يقنعون بما عندهم ولا يكتفون بالاتجار بما لديهم فيذهبون إلى البنوك مقترضين منها بفوائد أو عن طريق حسم كمبيالاتهم أو بطرق أخرى كلها تقوم على الفائدة . أما عامة الناس من الفقراء وصغار التجار فلا يباشرون معاملات الفائدة .

ولا شك أن من الخير للمجتمع منع الفوائد والاقتراض بالفائدة لأن هذا المنع سيجعل تعامل التجار كل حسب ما عنده من مال ، وبالتالي سيتوزع الربح بين أعداد كبيرة جداً من أفراد المجتمع ، ولا يتكدس المال بأيدي قليلة من الأفراد ، وتفتت الثروات وتوزعها مما يحرص عليه كل مجتمع في الوقت الحاضر ، ولكن هذه المجتمعات تسلك مسالك ملتوية للوصول إلى هذا الهدف ، وقد تقع في الظلم أو الانحراف ، والإسلام أغنانا عن ذلك كله بما شرعه لنا من تشريعات اقتصادية إذا التزم بها المسلمون فمن المستبعد جداً أن يحصل تكدس في الثروات بأيدي قليلة بل سيتوزع الثروات بين عدد كبير جداً من أفراد المجتمع ، وستقل الفروق فيما بينهم وبالتالي يأمن المجتمع من الهزات والزجاجات والثغرات التي ينفذ منها المفسدون .

أما البديل ، فهو إقامة بنوك إسلامية تقوم على أساس التعاون النظيف ، وتسهم في تحقيق التكافل الاجتماعي بما

المضارب «أي المصرف» ويتحمل رب المال الخسارة، أما المصرف أو المضارب فيخسر جهده وعمله فقط، ولا يتحمل شيئاً من الخسارة. وإذا نجحت فكرة بنك دبي الإسلامي، أو البنك المماثل له في جدة، فسوف يكون ذلك نصراً كبيراً لأمتنا بشرط استعداد المسلمين لانجاح هذه الفكرة والعمل على دعمها والاعتماد على فقهاء متخصصين لدراسة الحلول لكل مشكلة على حدة».

المشاركة في الخسارة والأرباح

●● أما الأستاذ الدكتور محمد سلام مذكور. رئيس قسم الشريعة بكلية حقوق جامعة القاهرة بمصر، فيوجز رأيه فيما يلي :

«بحرم الإسلام التعامل الربوي تحريماً قاطعاً لما فيه من احتمال الربح والخسارة، وما يترتب على ذلك من الضرر. والقرض الذي يجزى نفعاً بناءً على ذلك يكون محرماً. وفي عقيدتي أن الربح إذا ما تحدد بصورة أنه لا يزيد عن كذا حتى يشمل ذلك أن الجهة إذا ما حققت خسارة تحمل فيها المودع بقدر مبلغه، وإذا ما ربحت فإنه لا يأخذ من الربح أكثر من النسبة التي حددت له لما خالفت ذلك الحكم الشرعي. ولا خوف من هذا، لأن الاستقضاء التام يدل على سبيل القطع أن الخسارة غير محتملة وأن الربح محقق».

وبعد ..

من الآراء التي اشتملت عليها الندوة تبرز نقاط غاية في الأهمية وأهمها ما يلي :

● أنه قد آن الأوان لتجمع إسلامي موسع، للبت في شرعية المعاملات المصرفية بوضعها الحالي، ومن ضمنها الفوائد، كي يتحمل علماء المسلمين مسؤولياتهم تجاه دينهم الذي ارتضاه لنا الله سبحانه وتعالى.

● يجب على الدول الإسلامية تشجيع إنشاء البنوك الإسلامية، وذلك على المستويين الرسمي والشعبي، والعمل على انجاح مثل هذه البنوك.

● البديل عن المعاملات المصرفية التي تتعارض مع الشرع .. أمر ملح وضروري.

روى الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال :

«يأتي على الناس زمان يأكلون فيه الربا» قيل :

الناس كلهم يا رسول الله ؟

فقال عليه الصلاة والسلام :

«من لم يأكله ناله غباره» .

تقدمه من خدمات للمواطنين دون فوائد .

وهذا النقط من البنوك يجب أن تقوم به الدول الإسلامية، حتى ولو لم تربح من هذه البنوك شيئاً، بل وحتى لو خسرت، لأن الدولة ما قامت إلا لخدمة المجموع، والانفاق على ما ينفع أفرادها ورعاياها. فليس من الكثير عليها أن تقدم خدماتها الاقتصادية مجاناً للأفراد عن طريق بنوكها. إن الدولة تقدم كثيراً من الخدمات مجاناً مثل خدمات الصحة والمواصلات والأمن والتعليم وغيرها، فلماذا تحجم عن إنشاء البنوك اللاربوية وتقدم خدماتها للمواطنين بدون ربا؟».

تجربة البنك الإسلامي للتنمية

●● ومن تونس أدلى برأيه الأستاذ محمد الشاذلي النيفر، عميد الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين قائلاً :

«لتسير قضية البنوك في طريق الحل، فالبنك الإسلامي للتنمية بنجاحه - إن شاء الله - سيتم به إنهاء هذه القضية التي يدعونها مشكلة في وجه الاقتصاد الإسلامي».

ثم إنه لا سبيل إلى التعامل مع البنوك الحالية وهي تتعامل بالربا لأن التعامل به سيؤدي إلى الحرب مع الله والرسول، ومعنى ذلك خراب التعامل وفسدانه وهو مآل المدنية القائمة عليه».

الأسس الشرعية للمصارف

●● ومن سورية يقول رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بكلية الشريعة بجامعة دمشق الدكتور وهبة الزحيلي حول الأسس الشرعية للمصارف :

«البنوك أو المصارف الربوية لا شك بأنها حرام بنص القرآن الكريم : ﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾ ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾ ، ﴿ وإن تبتم فلکم رؤوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ ، هذا فلا يجوز دفع الفائدة أو الربا إلى المصرف، كما لا يجوز قبول الفائدة عن المبالغ المودعة بالمصارف .

ولا مانع في تقديري من الإيداع بدون فائدة في المصارف الحالية لعدم توفر الأمن على الأموال في المنازل، ولا مانع أيضاً من أخذ الفوائد المودعة في مصارف بلاد أجنبية «دار الحرب» وصرفها في المشاريع العامة حتى لا يتقوى العدو بها إن تركت له .

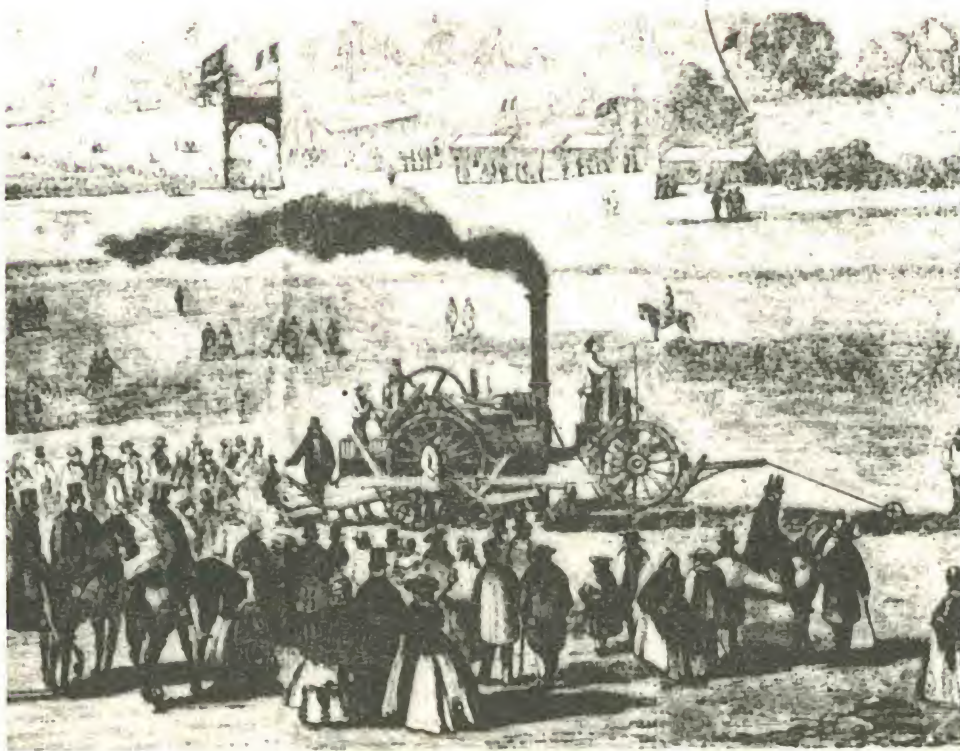
وإن كانت المصارف ضرورة اقتصادية في العصر الحاضر، فأرى أن تقوم على أسس شرعية عن طريق شركة المضاربة المشروعة في الإسلام، وهي إعطاء أرباب الأموال قسماً من أموالهم إلى مدير المصرف الذي يعتبر بمثابة العامل المضارب والذي يقوم بتشغيل الأموال المسلمة إليه في استثمارات متعددة ويوزع الربح بنسبة متفق عليها بين رب المال والعامل



يقدم لنا مؤلف هذا الكتاب الحديث قائمة طويلة بمصادر جديدة للطاقة : كالأرض والماء وحركات المد والجزر والرياح والشمس والفضلات والهيدروجين وغيرها . ولكنه يعترف صراحة بأن هذه ليست أكثر من مصادر متممة ومكملة لمصادر الطاقة التقليدية لا بديلة عنها . وهذا دليل جديد على أن النفط سوف يظل لفترة طويلة من الزمن يمسك بزمام صولجان الطاقة !

الارض والماء والرياح والشمس بدائلنا عن الطاقة

★ كان الخشب والنجم عماد الطاقة ★



رحلة في

**EARTH
WATER
WIND
&
SUN**

Our Energy Alternatives

D.S. Halacy, Jr.

كتاب

تأليف :

دانييل هالاسي

عرض وتحليل

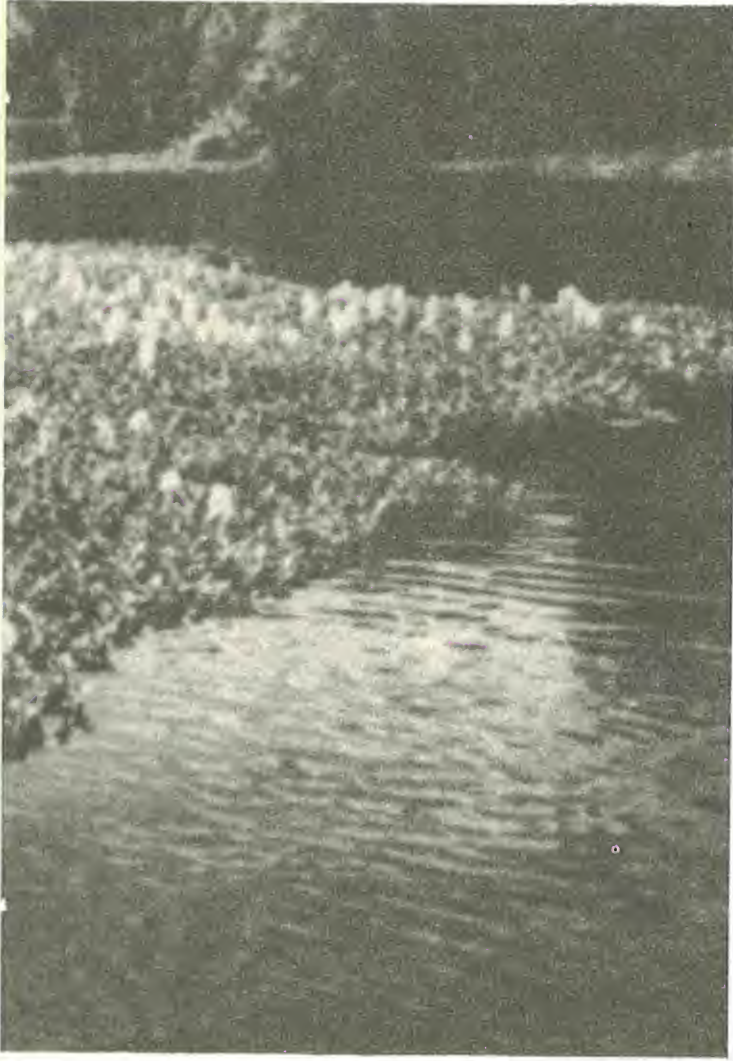
ياسر الفهد

وموضوع الطاقة يحظى على الدوام بأهمية خاصة . . . ولكن هناك فترات تزداد فيها أهمية هذا الموضوع ويعظم الاهتمام به . من ذلك مثلاً الفترة التي رافقت حرب تشرين الأول / أكتوبر وما أعقبها من حظر بترولي فرضته الدول العربية النفطية بهدف الضغط على الولايات المتحدة وأوروبا لصالح القضية العربية ، وكذلك الفترة التي قدم خلالها الرئيس الأمريكي كارتر مشروع الخصاص بتقنين استهلاك الطاقة في الولايات المتحدة إلى الكونغرس ، وذلك في شهر نيسان / أبريل من عام ١٩٧٧ م . وقد كان هذا المشروع متشدداً إلى درجة دعت بعض المعلقين الأمريكيين إلى تشبيهه بمقاطعة بترولية عربية جديدة . . . ولكن من البيت الأبيض في تلك المرة !!

وهناك أخيراً أحداث إيران التي جاءت بآية الله الخميني إلى سدة الحكم ، وما رافقها من توقف في إنتاج النفط ومن تصريحات علنية من القادة الجدد بأن هذا الإنتاج لن يعود أبداً سيرته الأولى حتى بعد أن تعود عجلة الحياة الإيرانية إلى دورتها العادية . ولا ننسى أيضاً مؤتمر الطاقة العربي الذي عقد في (أبو ظبي) في أوائل شهر آذار / مارس من عام ١٩٧٩ م ، وكذلك المؤتمرات الأخرى لدول الأوبك وغيرها . وبذلك يقفز موضوع الطاقة من جديد إلى رأس أعمدة الصحف العالمية ، ويشير جو الاكفهار في أميركا وأوروبا شاغلاً أذهان المسؤولين فيها . وكثيراً ما كانت بعض الصحف والمجلات الأجنبية تتشدد بوجود مصادر أخرى للطاقة حتى يقع في وهم العرب أن الغرب قادر على الاستغناء عن النفط العربي . ولكن الزمن أثبت فيما بعد أن هذا لم يعد كونه أكثر من مكابرة ، وأن بدائل الطاقة ليست إلا زوينة في فنان - في الوقت الحاضر على الأقل - أثرت للتقليل من أهمية الثروات النفطية العربية التقليدية ، وأحد الأدلة على ذلك هذا الكتاب الذي سنعرضه ، والذي صدر في الولايات المتحدة في عام ١٩٧٧ م ، ويحمل عنوان (الأرض والماء والرياح والشمس . . بدائلنا عن الطاقة) يقر فيه الكاتب صراحة بأن مصادر الطاقة الأرضية والمائية والبحرية والهوائية والشمسية هي مصادر مكمل لمصادر الوقود الحفري (fossil fuels) ، أي النفط والغاز والفحم ، وهي لا تسد مسدها أو تغني عنها .

ومؤلف الكتاب هو دانييل . س . هالاسي ، مهندس وكاتب أمريكي من كاليفورنيا ، عمل لفترة طويلة من الزمن في حقل العلوم الإلكترونية وصناعة الطائرات . وقد أصدر خلال ربع القرن الأخير أكثر من خمسين كتاباً ونشر مئات المقالات . ومن كتبه التي ذاع صيتها : عصر الطاقة الشمسية القادم ، الثورة الوراثية ، الحاسبات الإلكترونية ، هندسة الجوع ، الإنسان والذاكرة . وأخيراً الكتاب الذي بين أيدينا الآن ، واختارناه للطواف في أرجائه وتحليل محتوياته .

وليس غريباً أن يصدر كتاب من هذا النوع في الولايات المتحدة ، فهي أكثر دول العالم اهتماماً بموضوع الطاقة واستعداداً للاكتواء بنار نقصها . فهي لذلك لا تترك فرصة تسنح للبحث عن حل محتمل لهذه

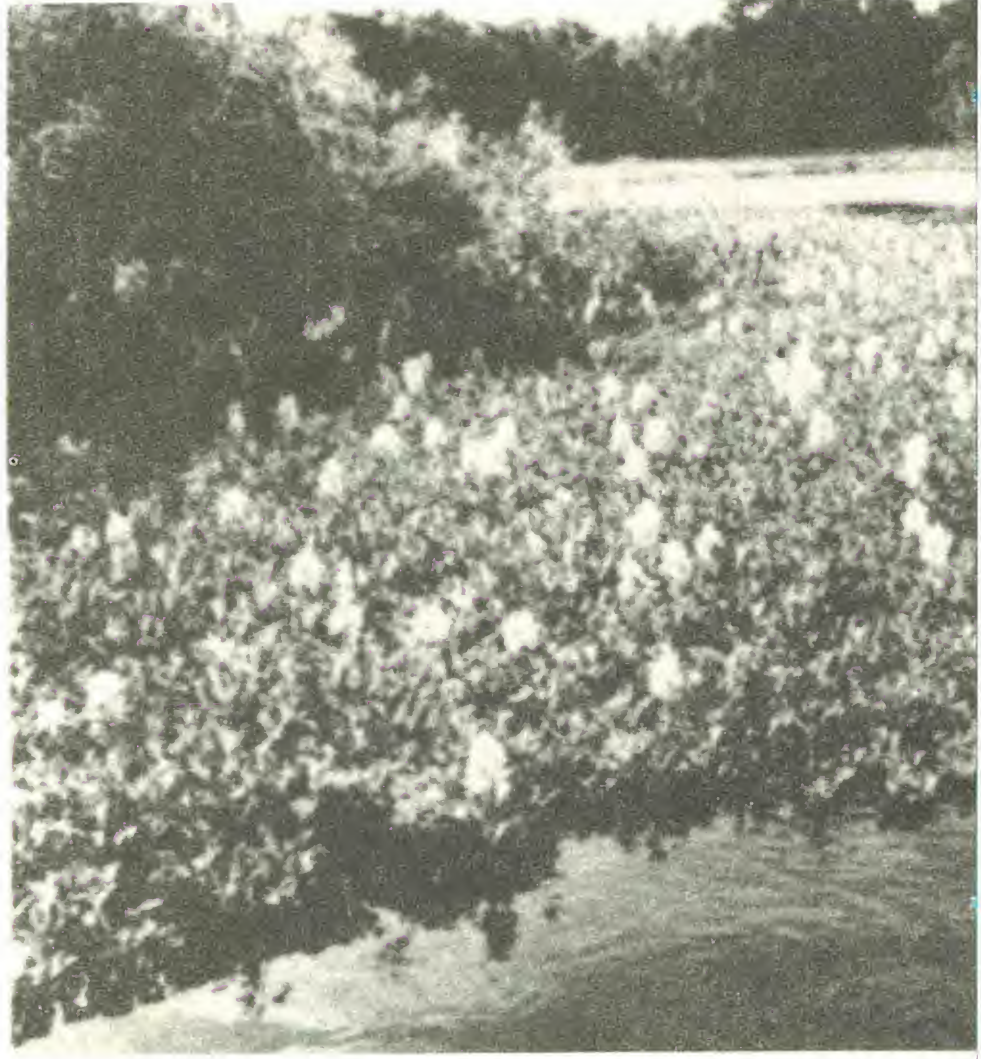


المشكلة إلا تشبث بأذياله . وإذا أردنا أن نعرف مدى تأثير نقص الطاقة في الاقتصاد والصناعة الأمريكيين ، ما علينا إلا الرجوع لكتاب (الفقر في الطاقة : الطاقة والأزمة الاقتصادية) الذي أصدره باري كومونر حديثاً في الولايات المتحدة .

إن المصادر الجديدة التي يشير إليها دانييل هالاسي ، في كتابه الذي نتناوله بالتحليل ، لا تشكل حلاً لمشكلة الطاقة بل إنها تؤلف عاملاً مساعداً فقط ، في الوقت الحاضر ولعدة سنوات قادمة على أقل تقدير . ويعترف المؤلف بأن الأمن القومي والاقتصاد وحتى القدرة على تقرير طراز الحياة في الولايات المتحدة ، مهددة جميعها اليوم بسبب مشكلة الطاقة ، مما يجعل الحاجة ماسة إلى الاستعانة بالتكنولوجيا الحديثة لحل المشكلة مع الإقرار بعدم إمكانية الحصول على نتائج ملموسة قبل مضي أعوام طويلة . وبما أن البحث عن تكنولوجيات حديثة للطاقة وتطويرها ثم استثمارها من شأنه أن يستغرق زمناً طويلاً ، فإنه يدعو إلى الشروع في بذل جهود مكثفة منذ الآن ، مع فتح المجال أمام عدة خيارات وعدم



★ دانييل دلامبي مؤلف الكتاب ★



التكنولوجية الحديثة ، ولكن ذلك يستلزم إقامة مصانع كبيرة لتنقية الفحم . . أما تحويله إلى وقود سائل أو غازي فيفقد ٤٠ ٪ من قدرته

مشكلات الطاقة النووية

وبخصوص الطاقة النووية فإن الآمال العريضة المشرقة التي كانت معلقة عليها منذ زهاء ربع قرن قد خبا وميضها الآن ولم تعد معتقد الأمل ، وموئل الرجاء ، كما كان يظن ، وذلك بسبب مصاعب كبيرة ليس أقلها وقوع مئات الحوادث بسبب الأضرار الناشئة عن النفايات المشعة ، الأمر الذي دفع الحكومة الفدرالية إلى أن تتولى بنفسها مسؤولية التأمين على مصانع الذرة في أميركا . وعلى عكس ما ذهب التوقعات في الماضي ، فإن الطاقة النووية لا تقل تكاليفها عن الطاقة التقليدية . ونضيف إلى ما سبق وجود مشكلات فنية كثيرة تتعلق بمعامل الطاقة النووية وقد يستغرب البعض إذا قلنا إنها أقل كفاءة من المعامل التي تعمل على الفحم أو البترول أو الغاز !

الاقتصار على أساليب محددة تففل باب الاختيار . وهو يعلق أهمية كبيرة على ضرورة تقليص الزمن اللازم للانتقال إلى الأنواع الجديدة من الطاقة التي تعتمد على المصادر الوقودية المتوافرة بكثرة على النطاق المحلي الأميركي .

المصادر التقليدية

والآن ما هي الصورة الحالية التي يقدمها الكتاب بالنسبة لمصادر الطاقة التقليدية ؟ إذا أخذنا الولايات المتحدة مثالا ، نجد أن بعض التقديرات تشير إلى أنه سيمضي عقد من الزمان قبل أن تنفذ الموارد البترولية والغازية فيها ، ولكن تقديرات أخرى تذهب مذهبا متشائما ، فتشير إلى أن أميركا تقف اليوم على حافة الافلاس البترولي والغازي !

وبالنسبة للفحم فإن معظم الاحتياطي منه فحم طري ، ويحتوي على شوائب كبريتية كبيرة ، وحل هذه المشكلة متيسر بالوسائل

ويهدر المصنع التقليدي للطاقة وسطياً ٦٢ ٪ من المحتوى الحراري لوقوده في حين يصل هذا في المصنع النووي إلى ٧٠ ٪ . وأكثر من ذلك ، وهذه حقيقة تكنولوجية لا يعرفها إلا المختصون التكنولوجيون ، فإن المصانع النووية الحالية تهدر حوالي ٩٩ ٪ من اليورانيوم المزودة به وذلك قبل أن يبدأ الهدر الحراري المقدّر بـ ٧٠ ٪ وتزداد هذه الحقيقة أهمية إذا عرفنا أن رطلاً^(١) واحداً من اليورانيوم يكلف بمقدار تكلفة طن من الفحم . وهكذا فعلى الرغم من أن الوقود الذري يملك طاقة تفوق ما يملكه الوقود التقليدي ، فإن هناك مشكلة الهدر ، ومشكلة ارتفاع ثمن اليورانيوم الذي تضاعف ثلاث مرات مؤخراً حتى وصل إلى ٢٦ دولاراً للبائند الواحد .

احتمالات أم أوهام

يبشر بعض الخبراء باحتمال الاستفادة من الانصهار fusion بواسطة أشعة لآزر laser ، ولكن النجاح في هذا الميدان يستلزم مضي وقت طويل ، كما يرنو آخرون بأمل إلى الهيدروجين فهو مصدر عالي القدرة إذا قيس بوزنه وحجمه ويحترق بفاعلية كبيرة بأدنى حد من التلوث ، ولكن المشكلة أن الهيدروجين لا يتوافر إلا في الماء وفي بعض المركبات الكيميائية ، واستخلاصه منها يستلزم من الطاقة بقدر ما يمكن للهيدروجين أن يُنتج منها ! سيقى الهيدروجين إذن أكثر من الحلم بقليل إلى أن يتم العثور عليه حرراً في الطبيعة .

وهناك احتمالات يكاد أن يكون بعضها أضغاث أحلام ، أو قصوراً في الهواء ، أو نسجاً من الخيال لا يتكىء على أي واقع عملي : فبعض العلماء ما زالوا يمتنون أنفسهم ويخدعونها بسراب الاستفادة من الحركة المستديرة أو الأوزان الهابطة أو المغناطيس أو من الأوزان المضادة الدائرة Spinning Counter Weights لتوليد الطاقة .

ويؤمن آخرون بإمكانية اصطيد احتياطي هائل من الطاقة الكهربائية الموجودة في الجو ، بطريقة تكنولوجية ما . ويقترح غيرهم أن نيمم شطر الأحزمة الإشعاعية العظيمة المحيطة بالأرض لتنجنا بالطاقة ! ويضع فريق من العلماء آمالهم في طاقات النجوم ! وهم يأملون أن تصل التكنولوجيا إلى مرحلة متقدمة نستطيع معها أن نستثمر الطاقة النجمية (Star Power) .

ولا يعرف أحد حتى الآن إلى أي حد يمكن اعتبار الاحتمالات السابقة شطحات من الخيال الواسع أم احتمالات علمية حقيقية ، وما إذا كان الأمر لا يتعدى كونه أشبه بضرب عصا بعضاً أخرى لإنتاج النار .

البدائل المأمولة

تتأجج في داخل الأرض درجات هائلة من الحرارة ، وترنو أبصار العلماء اليوم إلى هذه الحرارة لدنا بمزيد من الطاقة . وفي حين نجد أن

جميع جذور مصادر الوقود كالحشب والحرق الأخرى تضرب في الأرض ، فإن المصدر الأرضي ليس وقوداً لتوليد الحرارة بل إنه الحرارة نفسها . ويمكن استخدام هذه الحرارة لإنتاج الكهرباء بشكل خاص . وفي شمالي كاليفورنيا توجد منطقة اسمها الحمة Geysers ، تشمل على أبخرة تحت الأرض تنتج قرابة (٤٠٠) ميغاواط سنوياً ، لصالح إحدى الشركات الأميركية ، وهذا يسد نصف احتياجات سان فرانسيسكو الكهربائية . ومنطقة الحمة هي التي لفتت أنظار العلماء إلى أهمية المصدر الأرضي الحراري .

وتوجد اليوم في كاليفورنيا ونيوزيلانده والمكسيك والسلفادور وروسيا وإيطاليا واليابان آبار للبخار الطبيعي تنتج زهاء (١٨٠٠) ميغاواط من الطاقة سنوياً . ويقدر أن هذا الرقم سيرتفع إلى (٤٠٠,٠٠٠) ميغاواط خلال عام ٢٠٠٠ م ، وهذا سيلي ٤٠ ٪ من المتطلبات الكهربائية للبلدان المذكورة في ذلك الوقت .

ويتشكل الجزء الأكبر من الحرارة الأرضية من :



★ مولد هوائي للطاقة في الولايات المتحدة ★

والحال هنا يشبه حال حقل الزرع الذي يستعيد قدرته الإنتاجية بعد تركه لمدة دون استثمار . وبالطبع لا يمكن الاستفادة من الكهرباء المتولدة من الآبار الأرضية - الحرارية إلا في الأماكن التي توفر فيها الطبيعة كميات غزيرة من البخار الساخن ، وذلك بالقدر نفسه الذي لا نستطيع به أن نستفيد من التوربينات الهوائية إلا عندما تكون الرياح قوية . ويعقد العلماء اليوم آمالا كبيرة على الحرارة الأرضية . ففي الولايات المتحدة ، مثلاً ، على الرغم من أن العمل الكهربائي الذي يستمد طاقته من الحرارة الأرضية في منطقة الحمة ، وهو العمل الرئيسي من نوعه في أميركا ، لا يسد في الوقت الحاضر أكثر من ١/١٠٠٠ من احتياجات أميركا الكهربائية ، فإن المعامل الأميركية التي تعمل على الحرارة الأرضية ستكون قادرة بحلول عام ١٩٨٥ م ، على توليد ما يتراوح بين ١٩٠٠ و ٣٥٠٠ ميغاواط من الكهرباء الأرضية - الحرارية .

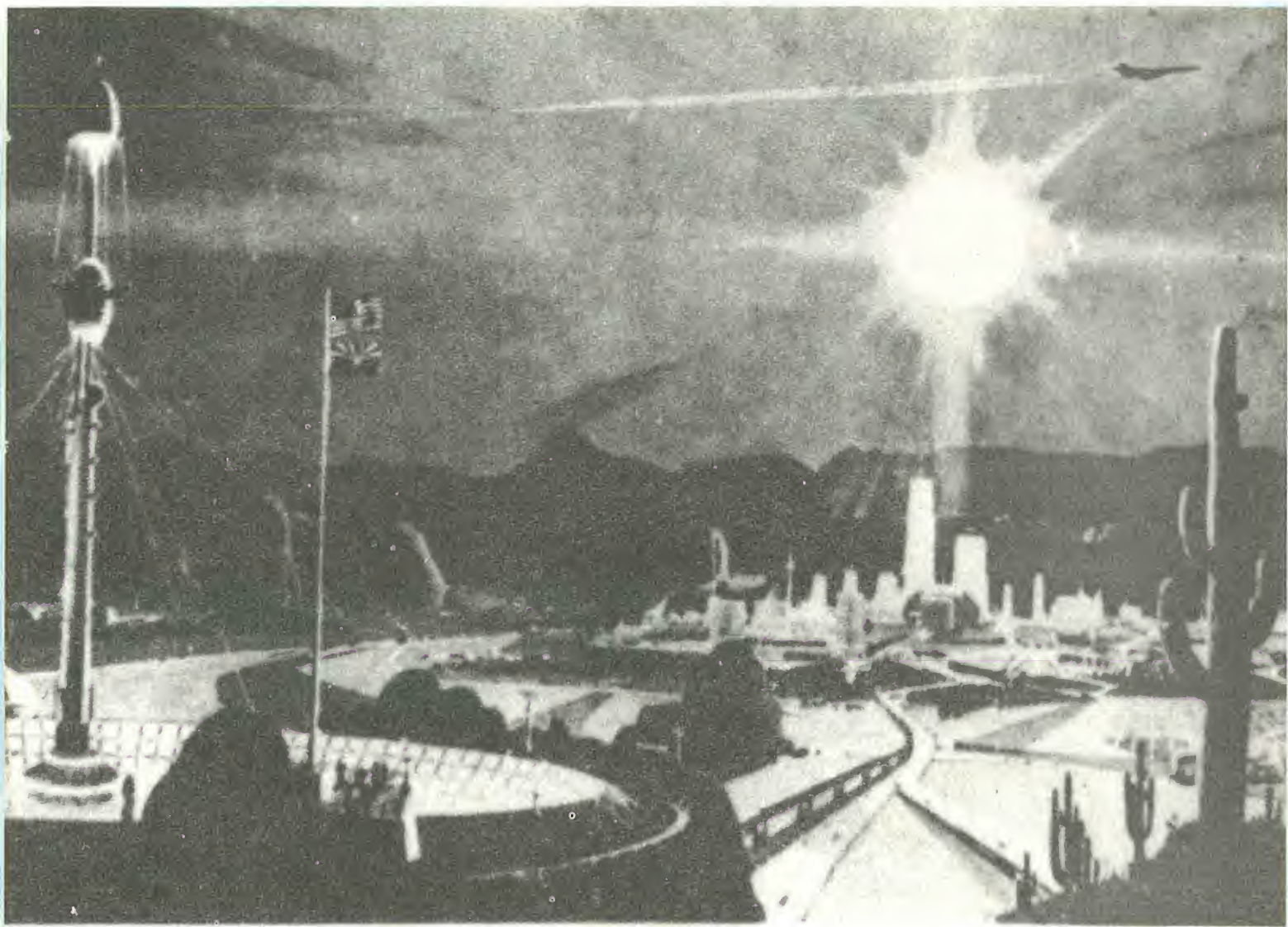
الماء

خلافًا للوقود التقليدي الذي لا يُستعمل إلا مرة واحدة

١ (تلف المواد النووية العميقة nuclear material في الأرض .
ب) احتكاك الحركة الصخرية rock movement وقوى المد والجزر tidal forces .

ولا بد لتكونها من اجتماع عنصرين :
١ (الصهارة magma وهي مادة صخرية ساخنة ذائبة في باطن الأرض .
ب) الماء Water .

وهناك أربعة أشكال للطاقة الأرضية - الحرارية : البخار الجاف - البخار الرطب - الصخور الساخنة - المستودعات المضغوطة . وأفضلها البخار الجاف لقدرته الحرارية العالية جداً وعدم تسببه في تآكل المعدات المستعملة . ومن أهم مميزات الحرارة الأرضية أنها تمثل مصدراً للطاقة قابلاً للتعويض . فمع أن استعمال الماء الساخن من الأرض يؤدي إلى نفاد المخزون الوقي منه فإن النقص سرعان ما يُسدّ فيعود المخزون إلى التجدد بعد فترة من الزمن .



★ آمال السفن تنحى نحو الشمس ★

الماضي تمثل بايجاد طريقة لنقل الطاقة التي تنتجها الطواحين في موقع المصدر المائي إلى مسافات معقولة . وبعد اختراع الكهرباء وجدت المشكلة طريقها إلى الحل ، ودبت حياة جديدة في الطاقة المائية . وكان العلماء الألمان أول من نجح في عام ١٨٩٠ م ، في نقل الكهرباء بالأسلاك من فرانكفورت إلى لوفن . وفي مضيق جبل طارق تحدث ظواهر هيدروليكية هامة تجعل من الممكن بناء سد قادر على إنتاج كميات هائلة من الطاقة الكهربائية . ولكن بعض الصعوبات حالت حتى الآن دون بناء مثل هذا السد . . ولا يمكننا أن ننسى بالطبع السد العالي الذي شادته مصر في أسوان ، فهو ينتج زهاء (٢١٠٠) ميغاواط سنوياً .

أما في الولايات المتحدة فإن استثمار الطاقة المائية قائم على قدم وساق . وفي عام ١٩٧٥ م ، كانت معامل الطاقة الهيدروليكية هناك تنتج ثلاثة أضعاف ما تنتجه المعامل الذرية من الكهرباء وهي اليوم تنتج ما يعادل ١٦ ٪ من مجمل إنتاج الطاقة الكهربائية الأمريكية . وعلى الرغم من نظافة المعامل الهيدروليكية ، فإن هناك

فإن للمصدر المائي دورات متكررة يستخدم خلالها في عدة استعمالات من الزراعة ... إلى إنتاج الطاقة . ويقول الدكتور هانز ثرينج من جامعة فيينا : « مع أن الطواحين المائية تعد من أقدم الطرق لإنتاج الطاقة فإنها ما زالت حتى اليوم تمثل أحسن وسيلة نظراً لاقتصاديتها وكفاءتها ونظافتها وعدم نفادها ، وقابلية التعويل عليها » .

إن المياه تملك في أثناء حركتها قدرة حركية يمكن تحويلها ، باستخدام المعدات ، إلى طاقة . ويعود استعمال الطواحين المائية إلى تاريخ موغل في القدم ، إذ إنه يرجع إلى ثلاثة آلاف سنة حين ظهرت هذه الطواحين لأول مرة في الشرق الأدنى ، على ما يروي بعض المؤرخين ، كما أنها استعملت في اليونان قبل ميلاد المسيح . وتعد شلالات نياجارا من أكبر مصادر الطاقة المائية وتقدر قدرتها الكامنة بأكثر من ستة ملايين قدرة حصانية (horse power) وقد بدأ استثمارها منذ عام ١٨٧٥ م ، إلا أن العلماء لم يستثمروا من قدرتها الهائلة سوى (٧٠,٠٠٠) قدرة حصانية . وكانت العقبة الرئيسية في

الأرض ، وجاذبية الشمس والقمر ، وفي فرنسا تقوم اليوم على مصب نهر رانس أكبر منشأة مد جزرية تنتج توربيناتها ما يقارب (٣٥٠) ميغاطاً من الطاقة ، وهناك توربينات شبيهة بها في أمكنة كثيرة من العالم مثل روسيا والأرجنتين .

وكما هو الحال بالنسبة للطاقة الأرضية - الحرارية والمائية فإن القدرة على تجاوز المعدل الحالي لإنتاج الطاقة المد جزرية تبدو متواضعة . فحركات المد والجزر تستطيع أن تساعد على سد جزء كبير من متطلباتنا الكهربائية . ولكن هناك مناطق جغرافية يمكن فيها الاستفادة من الطاقة المد جزرية فائدة قصوى . ومع أن هذه الطاقة نظيفة ولا تؤدي إلى التلوث إلا أنها ليست اقتصادية ، حتى الآن على الأقل .

الطاقة البحرية - الحرارية

هنالك طرق عديدة للحصول على الطاقة من البحر ، ولكن أهمها الطاقة الحرارية المنبعثة من الحرارة الشمسية المختزنة في الماء . وفي عام ١٩٢٠ م ، نجح جورج كلود في إنشاء معامل بحرية للطاقة الحرارية قادرة على توليد كميات معقولة من الطاقة . وسوف تجيب السنوات القادمة عما إذا كان البحر الذي وفر وسيلة السفر والمتعة وقدم الغذاء للإنسان وألهم الشعراء يستطيع أيضاً أن يمدنا بالطاقة .

الطاقة الريحية

الرياح حقيقة واقعة يعرفها كل الناس من البحارة ، إلى الطيارين ، إلى الأشخاص العاديين ، ولكن فكرة كون الرياح طاقة شمسية غير مباشرة تبدو غريبة ، ولا بد من مرور وقت كاف حتى نستوعبها ونألفها ، ولكن قليلاً من التفكير يبدد الشكوك : فالشمس هي التي تسخن التربة ، والتربة بدورها تسخن الهواء وبالتالي الرياح . وعندما تساب أشعة الشمس لا يمتص منها الجو إلا القليل من الحرارة ولكن الماء أو التربة التي تسخنها أو تدفئها أشعة الشمس تنقل السخونة أو الدفء إلى الهواء بعملية التوصيل . أما الطاقة الريحية فهي شكل من أشكال الطاقة الحركية . . . وهي الطاقة الناجمة عن تحرك الذرات الغازية التي تسبب ردود فعل لدى اصطدامها بأي شيء . وتعمل الطواحين الريحية بالطريقة نفسها التي تعمل بها الطواحين المائية ، والفرق فقط في الدرجة ، فكثافة الماء تزيد بمقدار (٨٠٠) مرة عن كثافة الهواء ، وهذه زيادة محسوسة جداً ، فالهواء قليل الكثافة إلى درجة تجعلنا لا نحس به أو نشعر بوجوده إلا في المناسبات . . . كمناسبة دراسته في هذا الفصل من الكتاب مثلاً !

وتزيد نسبة الطاقة في القدم المكعب الواحد من الماء عن نسبتها في القدم المكعب من الهواء بمقدار ٨٠٠ مرة أيضاً أو ربما أكثر من ذلك بقليل . وبما أن الرياح قوية بشكل خاص في المناطق القطبية ، فقد كانت هذه أكثر المناطق التي شيدت فيها



★ العلماء يأملون بتحويل نبات البلاكتون إلى طاقة ★

بعض المشكلات البيئية التي تنجم عنها ، بإقامة السدود وتجميع المياه فوق أراضي كانت جافة يؤديان إلى تكون الغرين (الطمي) كما أن المنطقة قد تصبح مرعاً للحشرات والبعوض . وإلى جانب هذه المشكلات التلوثية هناك أيضاً قضايا قانونية تتعلق بحق استعمال المياه . وقلائل هم المحامون الذين يعرفون ما فيه الكفاية عن قانون المياه .

الطاقة المد جزرية

Tidal Power

يرجع استعمال الطواحين المد جزرية في بريطانيا وفرنسا وإسبانيا إلى القرن الحادي عشر . وإحدى هذه الطواحين تقع في منطقة مصب نهر دين ظلت تعمل لمدة ٨٠٠ سنة بعد إنشائها . وكانت الطواحين المد جزرية تستخدم لإنتاج القدرة الميكانيكية فقط ، ولم تعد قدرتها التوليدية من (٣٠) إلى (١٠٠) قدرة حصانية ، وهي تعتمد على نظام معقد للطاقة يدخل فيه دوران

الطواحين الهوائية . ومن المعلوم أننا لا نستطيع الاستفادة من مثل هذه الطواحين إلا في الأماكن التي تشتد فيها الرياح . أما النسيم الهادئ فإنه قد ينشط الجسد ويلهب الخيال ويلهم القريحة ولكنه لا يصلح لتسيير العنفات الهوائية . في هذا المجال فقط يمكن تفضيل الرياح العاتية على النسيم العليل !

وقد بدأت إقامة الطواحين الهوائية في المناطق القطبية منذ عام ١٩٢٥ م ، وتنتج الواحدة منها من (٤٠٠) إلى (٥٠٠) كيلواط ساعي كل شهر . ومن الأمور الطريفة أن الطاحونة الهوائية هي التي قادتنا نظرياً إلى استعمال الطائرة فقد عكس العلماء عملية تحويل الرياح إلى طاقة وجعلوا الطاقة الميكانيكية تولد ريحاً ! ومع تعالي أزيز الطائرات في أسفارنا وحياتنا اليومية هداً صوت الطواحين الهوائية وتقلص استعمالها ؟

الشمس

إن الشمس هي مصدر الرؤية والتدفئة والغذاء ومركز النظام الكوكبي فليس غريباً أن تكون مصدراً للطاقة النظيفة والمفيدة والمأمونة . وهناك ثلاثة أشكال للطاقة الشمسية :

١ - الطاقة الحرارية : thermal power ويستحصل عليها بتحول ضوء الشمس إلى حرارة ومن تطبيقاتها المعروفة التدفئة المنزلية بالماء الساخن .

٢ - الطاقة الكهروضوئية : photo voltaic وهذا النوع أكثر تعقيداً من سابقه . ومن تطبيقاته : الخلايا والبطاريات الشمسية .

٣ - الطاقة الضووكيميائية : photo chemical وتُمثل أعقد أشكال الطاقة الشمسية ومن تطبيقاتها : التصوير الشمسي والتحليل الضووكيميائي للماء . ومع أن الطاقة الشمسية هي من أهم المصادر البديلة عن الطاقة التقليدية وأكثرها بعثاً على الأمل فإن هناك مشكلات كثيرة ترتبط بها كمشكلات التخزين والتجميع والتحويل ، فاستثمارها يحتاج إلى أجهزة معقدة جداً ومرتفعة التكاليف في الوقت الحاضر . ولكن المستقبل يبدو واعداً .

تحويل الفضلات إلى طاقة

خلال تاريخ الإنسان الطويل كانت الطاقة دائماً تتحول إلى فضلات ونفايات ، ولكن الاتجاه يسير الآن نحو العكس : تحويل النفايات إلى طاقة ! وفي بلد كالولايات المتحدة تذهب التقديرات إلى أن كمية الفضلات المتبقية فيها كل عام تبلغ زهاء (٢) بليون طن ، ويقول أنصار طريقة تحويل الفضلات إلى نفايات إن الكمية المذكورة يمكن تحويلها إلى ما يعادل (٢,٥) بليون برميل من النفط ، أي ما يقارب نصف إنتاج أميركا السنوي منه !! ولكن للخبراء رأياً آخر ! فهم يقولون إن نصف كمية الفضلات المذكورة تشكل من الماء !! وهذا يجعل كمية من

الطاقة المحتمل استخراجها (١,٢٥) بليون برميل بدلاً من (٢,٥) بليون برميل .

والأمر لا ينتهي عند هذا الحد . فهناك دراسات أخرى تبين أن ٨٠ ٪ من النفايات المذكورة غير صالحة للاستثمار لأسباب شتى . وهكذا يبقى (١٥٠) مليون طن فقط من الفضلات قابلة للاستثمار ! وبدلاً مما يعادل طاقة (٢,٥) بليون برميل من النفط يرى المتحمسون إمكانية استثمارها من الفضلات هناك فقط من الناحية العملية على ما يؤكد الخبراء البتروليون (١٧٠) مليون برميل ، ناهيك أيضاً عن مشكلة النقل ... أي نقل النفايات من الغابات والمزارع إلى مصانع التحويل .

وعلى كل حال فحتى تقديرات الخبراء المتشائمة تشير إلى أن الفضلات يمكن أن تغني أميركا عن ١٢ ٪ من مستورداتها النفطية . ويرى مؤلف الكتاب أن هذا الرقم لا بأس به ويستحق المضي قدماً في خطط تحويل النفايات إلى نفايات . وما يسري على الولايات المتحدة ينسحب على بلدان أخرى كأقطار أوروبا واليابان .

الخلاصة

إن كتاب (الأرض والماء والرياح والشمس بدائلنا عن الطاقة) يقدم لنا صورة وافية عن الإمكانيات التي تتضمنها المصادر المكتملة لمصادر الطاقة الحفريّة التقليدية . وهي جميعها لا تغني عن الإمدادات البترولية ، وهذه حقيقة ذات دلالة هامة بالنسبة للدول العربية النفطية . فعلى هذه الدول أن تحسن استغلال ثرواتها النفطية استغلالاً ذكياً ، وأن ترسم استراتيجية بترولية محكمة تنأى عن الخضوع والاستكانة والاذعان لمطالب الدول الكبرى من جهة ، وعن التصلب والتعصب من جهة أخرى ... فالعرب بحاجة إلى سياسة بترولية معتدلة وحكيمة تتيح لهم الاستفادة إلى أقصى حد من إمكانياتهم النفطية مالياً واقتصادياً وسياسياً دون الإضرار بسيادتهم . فكما أن الدول الكبرى كثيراً ما تفرض شروطاً لصالحها عندما تبيعنا السلاح الذي نحن بأمرس الحاجة إليه فإن علينا أيضاً أن نفرض عليها شروطاً لصالحنا عندما نبيعها نفطنا الذي هي بدورها في أمرس الحاجة إليه . ورسم مثل هذه السياسة أو لنقل الاستراتيجية البترولية يستلزم تضافر جهود السياسيين والاقتصاديين وخبراء البترول في آن واحد .

الهوامش

(١) الرطل = ٤٥٣ غراماً .

(٢) وحدة لقياس العمل تساوي ما يحتاج إليه لرفع (٥٥٠) رطلاً إلى ارتفاع قدم واحدة في

ثانية واحدة .



موضوع
خاص

فطر عيش الغراب

بقلم: د. أحمد نبيل أبو خطوة

★ أحد الأنواع التي تتميز بثمار ذات شكل فني مفتوح .. يكثر وجوده في الغابات والمراعي ★





* عيش غراب صالح للأكل يتميز بلون الخوذة الأبيض الناصع والملبس الفطيفي *
 * عيش غراب «متوهج». أخذت هذه الصورة أثناء الليل دون اصطلاح
 للضوء .. ولكن اعتمد على الضوء الذي يصدره هذا النوع من عيش الغراب المضيء *





★ « المروحة الجميلة » ، ينمو على جذوع الأشجار طوال السنة .. الأغناق التي تراها هي أفرع الشجرة .. لاحظ وجود « الخياشم » ذات التركيب المتباعد ★

تعريف ودورة الحياة

فطر « عيش الغراب » أو « الفجع » كما يطلق عليه أحياناً باللغة العربية الدارجة في بعض مناطق الجزيرة العربية ، هو مجموعة من النباتات المترمة الخالية من مادة الكلوروفيل الخضراء .. ولذا فهي لا تحتاج إلى أشعة الشمس من أجل بناء غذائها كما تفعل بقية النباتات . وفطر « عيش الغراب » كغيره من الفطريات يتميز بخلوه من الأوراق والجذوع والجذور .. كما يعد من أقدم الكائنات الحية التي وجدت على سطح الأرض . ويعتقد أن تاريخ وجوده عليها يرجع إلى نحو ستمائة مليون سنة ! وبالرغم من كثرة عدد أنواع الفطريات المعروفة حتى الآن والبالغ عددها نحو مائة ألف نوع ، فإن ما تضمه هذه المجموعة من أنواع « عيش الغراب » المختلفة لا يتعدى عدة مئات . وتنمو معظم أنواع « عيش الغراب » في الأجزاء الشمالية من الكرة الأرضية خاصة كندا ونيوزيلندا وأمريكا وأحاء مختلفة من القارة الأوروبية .

فطر
عيش
الغراب



★ عيش غراب « العسل » .. سمي كذلك نسبة إلى لونه الحوذة المميز . بسبب هذا النوع تدميراً شديداً لكافة أنواع الأشجار نتيجة لتفككه عليها .. مما يؤدي إلى قتلها في النهاية ★

تناسلية تسمى « بازديا » .. وهي التي ينتج عنها جراثيم الفطر التي تحملها الرياح إلى أماكن بعيدة مختلفة لتعيد دورة الحياة من جديد .

ويحصل « عيش الغراب » على غذائه بطرق مختلفة : إما بطريقة « رمية » بامتصاص المواد العضوية الناجمة عن تعفن جذوع الأشجار الميتة والأوراق المتساقطة .. أو بطريقة « متطفلة » حيث تهاجم فيها جذوع وفروع الأشجار الحية ، أو بطريقة « تبادل المنفعة » مع النباتات الخضراء .. وهنا يحدث تشابك « ميسيليوم » الفطر مع جذور النباتات تحت سطح التربة من أجل تبادل المواد الغذائية بينها .

وتبدأ دورة حياة « عيش الغراب » بسقوط « جراثيم » الفطر التي تنتجها ثمارة المختلفة الشكل على سطح الأرض .. فتتكاثر مكونة « الميسيليوم » وهو الجزء الخفزي الذي يخترق بسهولة سطح التربة .

وقد يعيش « الميسيليوم » ساكناً لعدة سنوات دون نمو حتى تنهيئ له الظروف المناخية المناسبة . وتكوين ثمرة « عيش الغراب » تبدأ بظهور

عقدة طرفية مكونة « زراراً لحمياً » مغلفاً بغطاء رقيق ما يلبث أن ينفجر ليظهر ما به من أجزاء الفطر المختلفة وهي الساق والقلنسوة والخياشيم

والصفائح التي تشبه سيقان « مظلة المطر » . ويغطي سطح الخياشيم خلايا



★ أحد الأنواع الشديدة السمية التي تنمو في الغابات . . لاحظ وجود نبات « الأشن » الأخضر ذي التفرعات الكثيفة الذي عادة ما ينمو مع هذا الفطر ★

البريطاني «هوك» في عام ١٦٦٥ م ، الذي أخطأ في اعتقاده أن منشأ الفطر يرجع إلى « التوالد الذاتي » من حبيبات التربة التي ينمو عليها . ولقد أوضح العالم الإيطالي «مليبيجي» بعد عدة أعوام ، أن منشأ هذه الفطريات هي الجراثيم التي تنتجها ثمارها . . وسقوطها على الأرض تنمو عليها .

تاريخ اكتشاف «عيش الغراب»

أما عن تاريخ بدء استخدام «عيش الغراب» كغذاء للإنسان ، فلقد بينت المخطوطات القديمة أن سكان منطقة شرق

«عيش الغراب» كغذاء

تعد رسومات «عيش الغراب» ، التي عثر عليها منذ ٣٠٠٠ سنة داخل مقابر قدماء المصريين ، من أوائل السجلات التي أوضحت أشكال «عيش الغراب» المختلفة . ولقد كتب الرومان

والإغريقيون ، قبل ظهور المسيح عليه السلام ، الكثير عن «عيش الغراب» . . كما زودوا هذه الكتابات برسومات إيضاحية عديدة . أما عن أول الرسومات التي أوضحت تركيب «عيش الغراب» الدقيق على مستوى المجهر ، فلقد كانت للعالم



★ عيش غراب « الحصان » الذي يتميز بكبر الحجم وسعة قطر الخوذة ، وهو أحد الأنواع الصالحة للأكل ★

★ أحد الأنواع المنزوعة كمحصول اقتصادي في الصين ، حيث ينمو بنجاح بين نبات الأرز ★

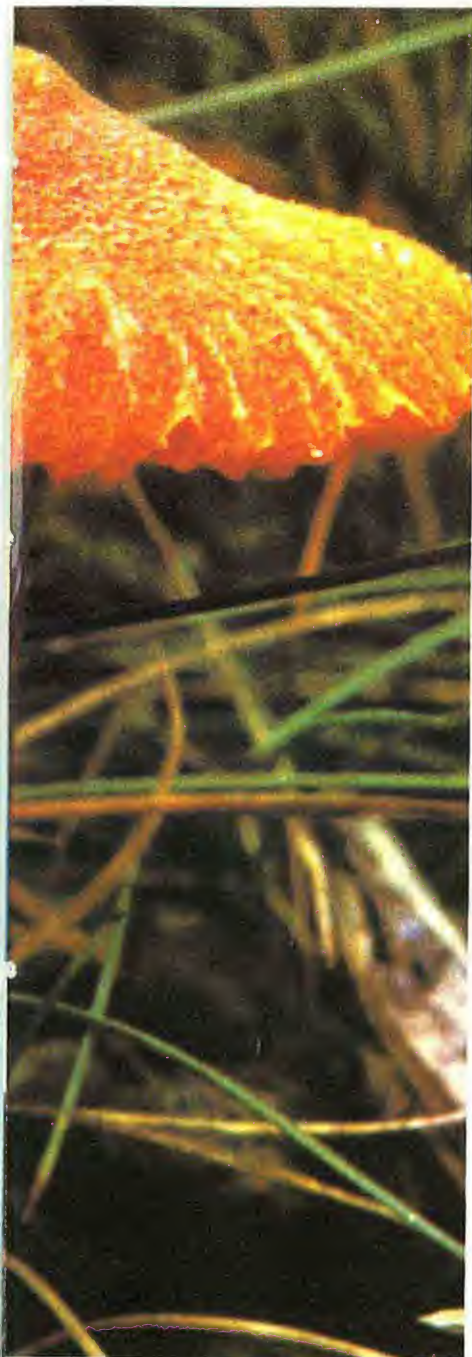




★ الملك المهلك « أشد أنواع عيش الغراب سمية على الإطلاق .. وهو تابع للجنس « أمانيتا » التي تتميز أفرادها بلونها الأبيض الزاهي ★

« ويوركيني » في إيطاليا . وبيع الآن في فرنسا وحدها عدة ملايين من الكيلوجرامات سنوياً من « عيش الغراب » .
وفي كثير من البلاد الأوروبية يكثر استخدام « عيش الغراب » في تحضير عدد كبير من الوجبات الغذائية اللذيذة الطعم .. فهو يضاف إلى لحوم الدواجن والطيور والأسماك عند طهيها . كما يصنع منه حساء « عيش الغراب » الذائع الصيت .. علاوة على كثرة استخدامه في عمل شطائر « البيتزا » المشهورة . وبالرغم من أن « عيش الغراب » يعد من النباتات الكثيرة الشيوخ التي تنمو برياً في الأماكن المشجرة من الوطن العربي ، إلا أنه نادراً ما يستخدمه العرب في طعامهم رغم مذاقه الطيب المستساغ .

البحر الأبيض المتوسط (ربما إيران) كانوا يستخدمون « عيش الغراب » في غذائهم .. بعد أن تمكنوا من التفرقة بين الأنواع السامة منها والصالحة للأكل . كذلك اشتهر الرومان والإغريق باستخدام « عيش الغراب » .. وكانوا يعتبرونه من أشهى وأطيب الأطعمة التي لا تقدم إلا على موائد الأثرياء والنبلاء . وكان الرومان يحصلون على « عيش الغراب » بكيات كبيرة من ليبيا ومناطق أخرى مختلفة في شمالي إفريقيا . وفي عام ١٦٠١ م ، نشر أول كتاب مصور في إيطاليا عن الفطريات السامة والصالحة للأكل . وبعد هذا الوقت بقليل أبدى الفرنسيون اهتماماً شديداً « بعيش الغراب » وزرعوه على نطاق تجاري واسع ، وخاصة نوعاً منه يسمى « كيبه » في فرنسا ،



★ عيش غراب على هيئة «مظلة» يحتوي على سم «المسكارين»
النفوس وزيادة ضربات القلب وارتفاع ضغط الدم. ومن أهم

★ عيش غراب يتميز بشار على هيئة «خوذة» أو «جرس»، لا ينمو هذا النوع إلا على تربة
طينية غنية. وهو نوع سام به سم «البيلوكابين» أحد سموم الأعصاب التي تحدث «هلوسة» ! ★

كله أصبح «عيش الغراب» من الأطعمة المفيدة لهؤلاء الذين يرغبون في
تقليل أوزانهم.

«عيش الغراب» السام

بالرغم من وجود العديد من أنواع «عيش الغراب» الصالحة
للأكل، إلا أن بعضها يعد شديد السمية، وقد يتسبب عن أكلها
حدوث الوفاة. وأخطر أنواع «عيش الغراب» وأكثرها سمية
هي تلك التابعة للجنس «أمانيتا». ويحكي التاريخ أن
الإمبراطور الروماني «كلوديوس الأول» (١٠ قبل الميلاد-٥٤
ميلادية) مات مسموماً بسبب أكله لنوع سام من «عيش الغراب» قدمته

القيمة الغذائية «لعيش الغراب»

بالرغم من أن ثمار «عيش الغراب» تحتوي على نحو ٩٠٪ من
وزنها ماء، إلا أنها تعد مصدراً هاماً للمواد البروتينية التي تصل نسبتها
فيه إلى نحو ٤٪. أما كمية «السعرات الحرارية» في «عيش
الغراب» فهي قليلة للغاية وتشابه مع تلك الموجودة في الخضروات،
ولكنها أقل من اللحوم والأسماك. ومن أهم الفيتامينات الموجودة بها
مجموعة «فيتامين ب» وخاصة «ب١» بالإضافة إلى «فيتامين د».
أما «فيتامين ج» فيكاد يخلو منه «عيش الغراب». علاوة على هذا
يعد الفطر غنياً ببعض المعادن التي من أهمها الحديد والنحاس. لهذا



★ أحد أنواع عيش الغراب الزاهية الألوان .. لاحظ لون الخوذة الحمراء المشوية ببقع بيضاء .. وهي بقايا الغلاف الأبيض الذي كان يغلف الخثرة قبل تفتتها . يسمى هذا النوع «بقاتل الذباب» لأنه يجذب إليه الذباب ليقتله في الحبال ★

أحد السموم العصبية الذي يسبب الدوار وكثرة العرق وصعوبة
المقاومة المستتخمة كترياق لهذا السم هو «الاستروين» ★

وهذه الأعراض كثيراً ما يتبعها تشنجات عصبية وهلوسة ، وقد يؤدي الأمر في النهاية إلى الوفاة . ومن هذه السموم العصبية التي أمكن عزلها من أنواع مختلفة من «عيش الغراب» السام والتعرف عليها هي «الأمانيتين» و «المسكارين» و «البسيلوكابين» .. وهي كلها مركبات عضوية معقدة التركيب الكيمائي .

له زوجته الرابعة «أجرينا» .. ويرجح أن يكون هذا النوع تابعا للجنس «أمانيتا» . ويرجع حدوث أكبر نسبة من الوفيات (٩٠ - ٩٥٪) بسبب أكل «عيش الغراب» البري في أوروبا إلى التغذية على أحد الأنواع التابعة لهذا الجنس . وتدل الإحصاءات على أن معدل الوفاة سنوياً في أميركا بسبب أكل «عيش الغراب» السام يصل إلى ٥٠ حالة وحالتين على الأقل في بريطانيا .

جمع «عيش الغراب» كهواية

أصبحت هواية جمع «عيش الغراب» الآن كثيرة الشيوع في بلدان أوروبا وأميركا .. وعادة ما يتوافد محبي جمع «عيش الغراب» البري في

تظهر أعراض التسمم من أكل «عيش الغراب» السام عادة متأخرة بعد ٢٤ ساعة .. وتتلخص أعراض التسمم في حدوث تدمير شديد للكلى والكبد مع شلل للأعصاب وزغللة وفقدان البصر ..



★ عيش غراب سام يصعب اليد بلون أصفر عند اللمس .. كما يتميز برائحته غير المستساغة ★

توجد طريقة بسيطة للتمييز بين الأنواع السامة والصالحة للأكل . وعلى أي حال هناك العديد من الكتب سهلة الأسلوب والأشكال الإيضاحية والصور الملونة التي تمكن الصغير والكبير من التعرف على نوع « عيش الغراب » البري الذي يعثر عليه .. وبذا يمكن تفادي السام منها .

المراجع

- 1- W. Litten; **Scientific American**, 91 (1972).
- 2- B. Nylen; **Scanorama**, Ang.-Sept. (1979).
- 3- H.L. Pursey; **The Wonderful World of Mushrooms and other Fungi** (1977).

وقت الربيع إلى ولاية « ميتشجان » الأمريكية كل عام ، بقصد تجميع « عيش الغراب » .. وأثناء هذه الفترة تنظم عدة مسابقات يشترك فيها الصغار والكبار ، حيث يتم توزيع الجوائز على هؤلاء الذين قاموا بجمع أكبر قدر من « عيش الغراب » البري .

وبالرغم من أن عملية جمع « عيش الغراب » تعد هواية مسلية ومفيدة ، إلا أنها لا تخلو من الأخطار بسبب وجود بعض الأنواع السامة منها والتي كثيراً ما تنمو جنباً إلى جنب مع الأنواع الصالحة للأكل . والنصيحة العامة التي يقدمها خبراء « عيش الغراب » هي ألا ينبغي لأي إنسان المجازفة بأكل « عيش الغراب » البري بأي حال من الأحوال إلا بعد التأكد تماماً من عدم انتبائه إلى تلك الأنواع السامة ، خاصة وأنه لا



★ أحد أنواع عيش الغراب التي تنمو برياً في الحدائق العامة ، وكانت تستخدم في الماضي في صناعة الحبر ، وهي من الأنواع الصالحة للأكل ★

★ أحد الأنواع غير السامة الموجودة بكثرة في الحدائق والمراعي ★



لوحة فنان



أحمد فلمبان

- من مواليد مدينة مكة المكرمة عام ١٣٧٠ هـ .
- خريج أكاديمية روما للفنون الجميلة ١٩٧١ م .
- وكيل ثانوية الصديق بجدة .

- أقام أربعة معارض شخصية في الداخل والخارج .
- اشترك في البينالي الدولي الثاني « روما ١٩٧١ م » .
- اشترك في المسابقة الوطنية الخامسة لفن روما العاصمة ١٩٧١ م .
- اشترك في معارض جماعية بالداخل والخارج من المعارض والمسابقات الدولية .
- حصل على جوائز متقدمة دولية في الرسم ، والعديد من الجوائز وشهادات التقدير بالداخل والخارج .
- حاز على درجة الشرف والميدالية الذهبية كأحسن طالب في قسم الرسم ١٩٧١ م .
- يعتبر من الرعيل الأول للحركة التشكيلية بالملكة .

الموسيقى العجوز

● أسلوبه الفني ينتمي إلى المدرسة الانطباعية ، فهو يتفق معها في معناها بإحساسه بالسرعة والتغير ، ويتفق معها في مفهومها بتسجيل اللحظة نظراً لكونها متغيرة ، أي تسجيل اللحظة في الحركة الدائمة للوجود .. فنجدته يسجل لحظة زمنية بعينها ، وهي لحظة تأمل أو تفكير الموسيقى في مرحلة متقدمة من العمر .

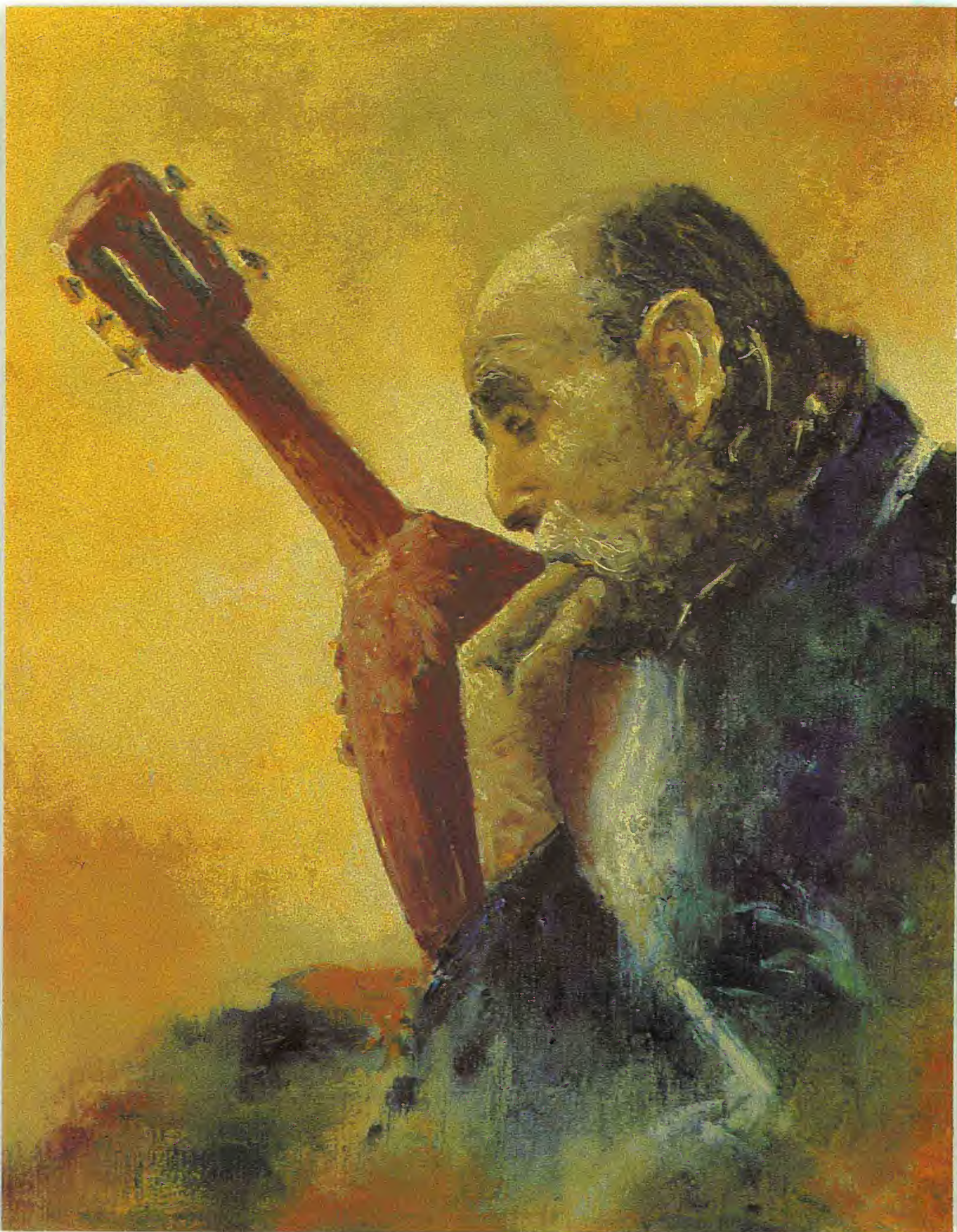
● يتفق مع الانطباعية أيضاً في رؤيتها ، وهي تحويل ما هو ثابت متأسك إلى تحولات متخذة طابعاً متجزئاً .. فهو قد صور الضوء ، وحول السطح إلى بقع لونية وضربات فرشاة سريعة محللة ، فعبّر بذلك عن العالم المتحرك المتغير .

بأسلوب بسيط معبر ، يعتمد على الحس والتعبير ، وجمال اللون وتأثير ذلك على التلقي .. وكذلك إيقاع الكتلة ، وهي الشخص وآلته في اللوحة وما تحدثه من فراغ حوها .. وتأثير الضوء والظل وما يحدثه من حس درامي في اللوحة بالإضافة إلى درامية الموضوع .

● يتفاعل الفنان مع الموضوعات الإنسانية ، فنجد أغلب موضوعاته ذات صبغة إنسانية ، وهذا يتضح من مسميات لوحاته « صرخة - الأيتام - حطام مركب - شيخوخة - الأمومة المعذبة - من أجل الحياة - ليت الشباب يعود يوماً - الموسيقى العجوز » .

● يصور الفنان أحمد فلمبان في لوحته المنشورة هنا « الموسيقى العجوز » تأثير الزمن على ذلك العازف ، الذي يبدو في لحظة تأمل ، أو استغراق في التفكير ، أو محاكاة الزمن في لحظة حوار معه .. وهو يتمسك بتأرجح حياته .. حبه للفن والموسيقى ، وذلك يتضح من احتفاظه أو تمسكه بآلته الموسيقية « العود » رفيق حياته وعمره .. فيها سجل لحظات حياته .. شعوره وأحاسيسه وانفعالاته .. دقائق عمره .. ومن خلالها ترك بصمته الوحيدة الرائعة للحياة .. ويريد بذلك الفنان أن يشارك الموسيقى تلك اللحظة من حياته .

● يصور الفنان ذلك





أول من كسى الكعبة في الجاهلية

★ هو أسعد الحميري أحد ملوك اليمن ، كما قام بعمل باب لها .. وقد قال في ذلك :

وكسونا البيت الذي حرم الله
ملاءاً معضداً ويرودا
وأقننا به من الشهر عشرأ
وجعلنا لبابه أقلبدا
وخرجنا منه ترم سهيلاً
قد رفعنا لواءنا معقودا

الحفر على الخشب

★ « الحفر على الخشب » ، واحد من الفنون القديمة التي عرفها العرب والمسلمون ، وقد تألق هذا الفن وظهرت دقته في تركيا - القرنان ، الثاني والثالث عشر الميلاديان - حيث كان الفنان يعتمد في زخارفه على الوحدات الهندسية الدقيقة . وهذا « الكرسي » الذي نراه ، من صناعة «عبد الواحد بن سلجان» ، وهو لمصنف كان موجوداً في مسجد علاء الدين بـ «قونية» . وفيه نرى اهتمام الفنان بالاعتناء في زخارفه على إيقاعات الزخارف النباتية والحروف ، المحفورة بعمق ودقة ★

المشربية

★ كانت تستعمل في العمارة الإسلامية ، وهي نوع من المعالجات المعمارية ، الغرض منها تغطية الشبايك والبلكونات والفتحات ، حيث تسمح بدخول الهواء بعد القيام بتلطيفه أثناء مروره منها ، كما تمنع من دخول الشمس نسبياً وتحد من قوة الضوء .. وهي مصنوعة من الخشب .. ومنها ما يسمى بـ «التشاميك» ، نوع من المشربيات الواسعة ، التي تستعمل في الأجزاء المرتفعة من المنازل ، وعامل مساعد للتهوية .

أما المشربيات ذات الخطوط الضيق ، فالغرض من استعمالها ، هو التقليل من الضوء القوي وكسر حدته ، كما أنها تمنع الرؤية ، لذلك فقد كانت تستعمل على الدوام في الأجزاء السفلى من الفتحات القريبة من العيون .

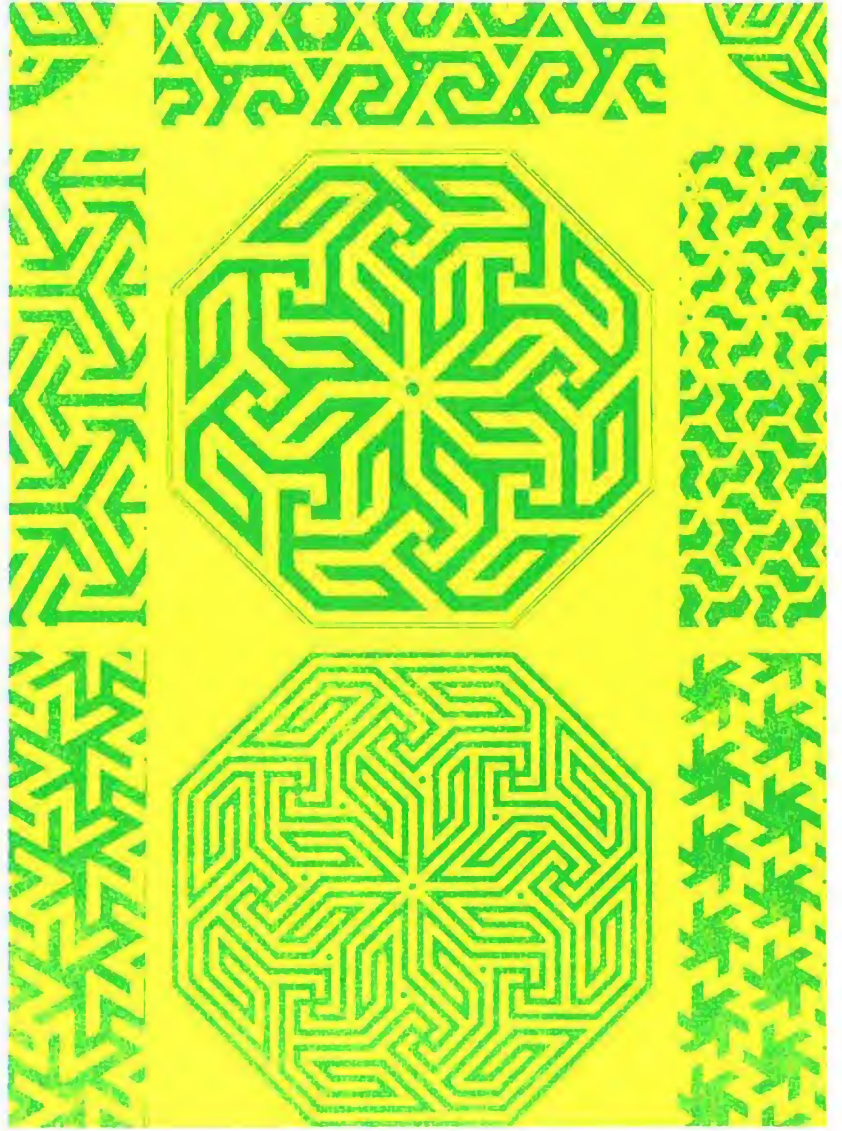
وقد تطورت صناعتها بعد ذلك عن طريق - أوروبا - بحيث أصبحت تصنع من الجبس والأسمنت المسلح .. أو الأحجار الصناعية ، وقد أطلق عليها اسم «الكولاسترا» .. أو «كاسرات الشمس» ، لكنها أتت بنسب مختلفة وغير مدروسة ، ولذلك فقدت المضمون ، وأصبحت تلك المشربيات الجديدة أو «الكولاسترا» ، تزيد من حدة الضوء ★

حقيقة الأرقام العربية

★ إن الأرقام التي يستخدمها جميع العرب - باستثناء تونس والجزائر والمغرب - ليست أرقاماً عربية ، وإنما قد تسربت عن طريق «الفرس» ، وهي أرقام هندية .

فالعرب الأوائل كانوا يستخدمون كتابة الأرقام بطريقة «الزوايا» ، فرقم «١» بزواوية واحدة . ورقم «٢» بزوايتين ، وهكذا . حتى إن أوروبا تشهد بأن الحروف التي تستعملها هي حروف يرجع تاريخها إلى العرب القدامى .. وهي حروف عربية الأصل ★





أطول جراحة :

- الاسم : فيكتور زاجويتا .
- العمر : ١٩ عاماً .
- السنة التي أجريت له العملية : (١٩٧٢م) .
- المستشفى : «سان دييجو» في كاليفورنيا .
- اسم الجراح : جون الكسن .
- مكان العملية : الدماغ .
- الوقت الذي استغرقته العملية : (٣١ ساعة) .

أطول رحلة :

- سيراً على اليمين .
- الاسم : جوهان هورلينجر .
- موطنه : النمسا .
- السنة التي قام فيها بالسير على يديه : (١٩٠٠م) .
- المكان : المسافة التي تفصل ما بين فيينا وباريس .
- المسافة التي قطعها : (٥٥ يوماً) .
- بمعدل كل يوم : (١٠ ساعات) .

أطول حيوان معاصر

- اسمه : حوت الروركال .
- طوله : ٣٣ متراً ونصف المتر .
- وزنه : ١٦٦ طناً .

★ شكل يوضح زخارف هندسية ، يرجع تاريخها إلى القرن الحادي عشر الهجري ، وهو عبارة عن وحدات متنوعة ، متتابعة لمعالجة الفراغ في الخلفية ★

الزهرة المضيئة !

★ زهور «عباد الشمس» .
لونها أصفر ، وتنمو في بعض المناطق المعتدلة .. وفي المناطق الدافئة .
كثير من الناس يستخدمونها لأغراض الزينة .. ولكن بذورها مفيدة ، حيث تستعمل في الطهي .. وفي بعض البلدان يأكلونها بدلاً عن «اللب» .. كما يستخرج من نفس البذور نوع من الزيوت قريب الشبه من زيت الزيتون ، وبعد عملية استخراج الزيت ، تبقى القشور التي تستخدم طعاماً للماشية .
ويذكر التاريخ المعاصر ، أن الفنان التشكيلي «فينست فان جوخ» استطاع أن يصور زهرة عباد الشمس في العديد من لوحاته ، فقد كان معجباً بهذه الزهرة .
وعندما أقيم له معرض في باريس .. وكان الوقت ليلاً ، كتب أحد النقاد : «إن اللوحات التي بها زهرة عباد الشمس تضيء في لون ذهبي وتلأ صالة العرض بنور له رائحة الدفء» ★

□ السطور الأخيرة □

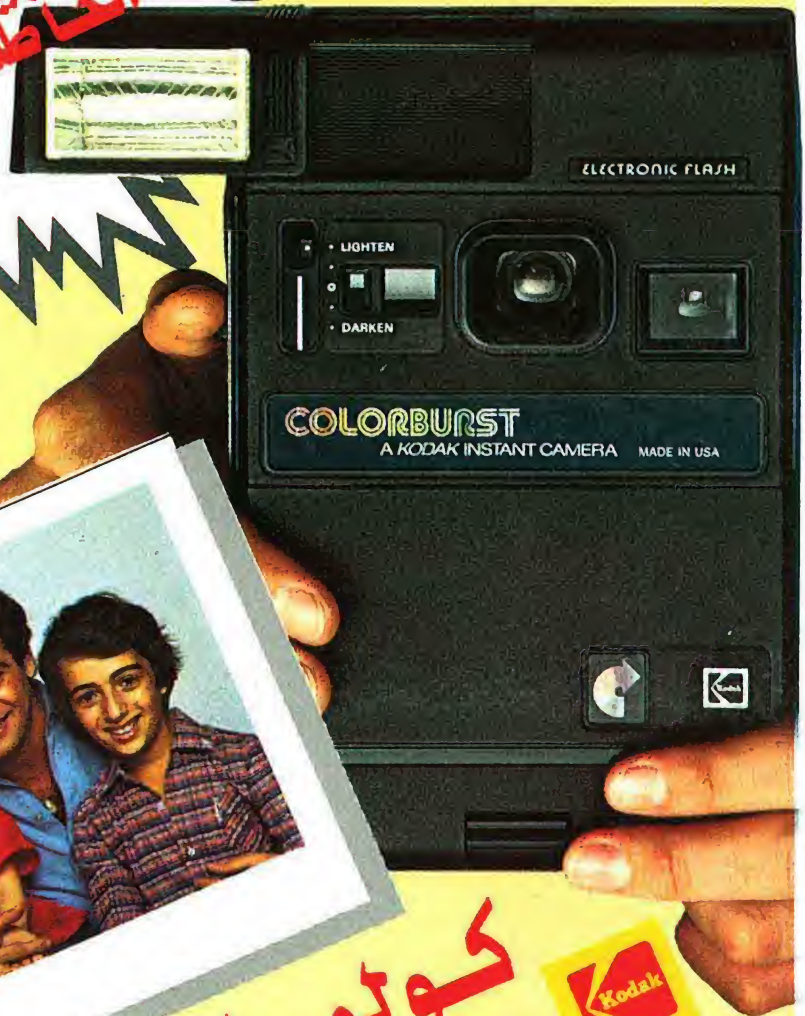
★ الدنيا مطيتك .. إن ركبتها حملتك .. وإن ركبتك ، قتلتك ★

حسن البصري



كولور بارست للتصوير الفوري

بجهاز
مبني للضوء
الفاطف!



SPOT-THOMPSON

كولور بارست

للتصوير الفوري

الوان ساطعة من كوداك



المخطوط العربي

دراسة فني

نشأته وملاحة البليوجرافية

بقلم : د. شعبان عبد العزيز خليفة

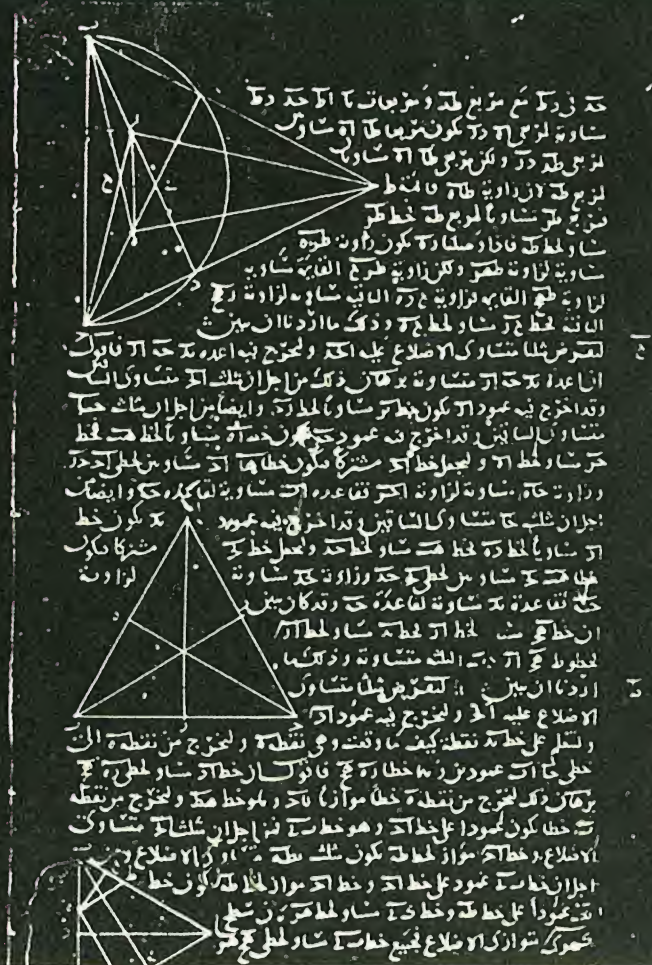
التدوين والتأليف وحركة الترجمة عند العرب

من المتفق عليه أنه لم يكن للعرب في جاهليتهم علم ولا فن ولا أدب مكتوب ، وكانت الروايات والأشعار والأخبار والأنساب تتداول بينهم شفاهة عن طريق التواتر ، ذلك أنهم عاشوا في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام في عزلة تقريباً عن العالم الخارجي . نعم لقد كانت لهم اتصالات بالروم في الشمال والفرس في الشمال الشرقي إلا أنها كانت اتصالات بسيطة قاصرة على التجارة وحراسة القوافل ولم تكن بالاتصالات الفكرية التي تساعد على الإبداع والتطور والتغيير .

حقاً لقد كانت لدى العرب بعض العلوم الأدبية والعملية ، إلا أنهم لم تكن لديهم

سجلات مكتوبة أو كتب أو شيء من هذا القبيل ، لأن حياة البداوة والترحال الدائم ، جعلتهم يعتمدون اعتماداً مطلقاً على الذاكرة . وكانوا يجتمعون بالأسواق الموسمية يتبادلون هذه المعلومات ، وأشهر هذه الأسواق سوق عكاظ وذو الحجاز والحجّة . ونستثني من هذه الظاهرة العامة بعض النقوش التي ترجع إلى ما قبل الإسلام ، وأهمها نقش القمارة الذي وجد مكتوباً على قبر امرئ القيس ، لدى عرب الشمال ، وكذلك النقوش الكثيرة التي وجدت لدى عرب الجنوب (١) .

ولما بزغ فجر الإسلام لم يكن في قريش من يحسن القراءة والكتابة إلا حوالي عشرة أفراد في مكة المكرمة . ويذهب الأستاذ محمد كرد علي في كتاب «الإسلام



والحضارة العربية ، أن حرباً وابنه أبا سفيان هما اللذان نقلتا الخط العربي إلى الحجاز قبل ظهور الإسلام^(٢) .

وما أن انتشر الإسلام شرقاً وغرباً ، استيعب ذلك نزوح العرب إلى الأقطار الداخلة في الإسلام ، وتأثروا تأثراً مباشراً بالثقافات التي كانت موجودة في تلك المناطق . وهذه الثقافات هي أساساً اليونانية والفارسية . ومن المعروف أن المسلمين قد تأثروا بالثقافة اليونانية في سورية ومصر تأثراً كبيراً ، ونقلوا عنها الشيء الكثير - وسوف نعود إلى هذه النقطة بالتفصيل فيما بعد - كما تأثروا بكتب ومكتبات الفرس .

بدايات التدوين عند العرب

ومن هنا لا نستطيع أن نؤرخ للتدوين والتأليف عند العرب إلا بعد الإسلام . ولقد كان المسلمون الأولون يعتمدون على الذاكرة في استظهار وحفظ القرآن الكريم ، ولكن وجد في عهد الرسول ﷺ بعض الصحابة الذين سجلوا القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية الشريفة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن ، ومن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحاه » ، وكانت هذه الكتابات تتم على سعف النخيل ورقاق الحجارة والعظام . وسوف نفصل القول في مواد الكتابة بعد ذلك ، وكان عدد كبير من الصحابة يحفظ القرآن غيباً ، ولما استشهد نفر كثير منهم خاف أبو بكر الصديق على القرآن من الضياع ، فاستشار الصحابة في جمع القرآن في طرس واحد ، فوافقوا على ذلك ، وشكلت لجنة لهذا الغرض يرأسها زيد بن ثابت فكتب القرآن على رق^(٣) .

ولما كان زمن عثمان بن عفان ورأى اختلاف الأمصار في قراءة القرآن ، أمر بكتابة نسخ رسمية من القرآن وتوزيعها على الأمصار لجمعها على قراءة واحدة ، فنسخت خمس نسخ من القرآن وأرسلت إلى مكة والمدينة والكوفة والبصرة ، وبقي لدى عثمان بن عفان مصحف عرف بالمصحف الإمام^(٤) . وظل الناس يقرأون في مصحف عثمان هذا أكثر من أربعين سنة ، إلى زمن عبد الملك بن مروان ، ثم بعد دخول العجم في الإسلام كثرت التصحيف في تلاوته ، مما أدى إلى إدخال الشك في المصحف عن طريق النقط أولاً ثم دخل الإعجام بعد ذلك . وقد انتشرت مهمة نسخ المصاحف منذ ذلك التاريخ . ومن هنا يمكن القول بأن المصحف هو أول كتاب عربي يدون^(٥) .

بعد تدوين القرآن في المصاحف وبعد انتشار المسلمين في الأمصار التي فتحوها واتساع الأفاق العلمية والثقافية أمامهم وتزايد الخبرات والتجارب ، أصبح من العسير عليهم الاعتماد على الذاكرة ، فبدأوا في تدوين العلوم . وبداية التدوين في هذه العلوم غير معروف لنا بالضبط ، لأن التاريخ لم يحفظ لنا أوليات الكتب ، بل اندثرت ولم نسمع بها إلا من كتب أخرى اعتمدت عليها . ويكاد المؤرخون يجمعون على أن العصر الأموي قد خلا من التأليف أو الترجمة ووصفوه بالإحلال والجذب الفكري ، ويؤكدون أن التأليف والترجمة لم يبدأ إلا في العصر العباسي . فيذكر حاجي خليفة في « كشف الظنون » أن أول من عني بالعلوم العباسيون في عصر الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور الذي كان بارعاً في الفقه والفلسفة (ج ١ ، ص ٣٤) . وذكرت بعض المصادر أن أقدم مخطوط عربي عثر عليه مكتوباً على ورق بردي من سبع وعشرين صفحة ويرجع إلى سنة ٢٢٨ هـ (٨٨٤ م) ، وليس على شكل لفافة بل على شكل كراسة .

وليس لنا أن نتجنى على العصر الأموي ، فإن النهضة الفكرية التي وجدت في العصر العباسي لا بد أنها كانت امتداداً لبذرة وجدت في العصر الأموي ، فالعلوم التي كانت أجنة في بطون أمهاتها في ذلك العصر خرجت إلى النور في العصر العباسي ، إذ يذكر ابن النديم في الفهرست (ص ٣٣٨) ، أن خالد بن يزيد بن معاوية ، بعد أن عجز عن الوصول إلى الخلافة ، اشتغل بالعلم وكان له فضل البدء في نقل الكتب من اللغات اليونانية والقبطية إلى اللغة العربية .

وقد استعمرت حركة الترجمة هذه زمن بقية الخلفاء الأمويين وصدر الخلافة العباسية . ويجب أن نتذكر جيداً أن الدواوين قد عريت عن اليونانية في سورية على يد عبد الملك بن مروان ، ومن الفارسية بالعراق ومن القبطية واليونانية في مصر . ومن المؤكد أنه قد وجد مؤلفون كثيرون في العصر الأموي على الرغم من عدم وصول مؤلفاتهم إلينا . نذكر منهم ثلاثة كان لهم أثر كبير في التأليف هم :

● الإمام مالك صاحب « الموطأ » وعلى الرغم من أن هذا الكتاب يعود في تأليفه إلى العصر العباسي إلا أن المؤلف في الأعم الأغلب قد استوفى مادته العلمية من مؤلفات سابقة عليه كما يتضح ذلك من الكتاب نفسه .

● عبد الحميد الكاتب الذي كان كاتباً لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وتذكر المصادر أن رسائله بلغت ألف ورقة^(٦) .

● عبد الله بن المقفع الفارسي الأصل الذي كان تلميذاً لعبد الحميد الكاتب وهو الذي نقل إلى العربية كتاب « كلیلة ودمنة » ، وألف كتباً أخرى كالأدب الكبير والأدب الصغير .

ولعل أهم موضوعات التأليف في عصر صدر الإسلام هو تسجيل جميع الحوادث التي لها علاقة برسول الله ﷺ وبالحديث الشريف . وذلك أن الرغبة في ضبط الحديث وضبط رواياته فيما عرف بالتعديل والتجريح قادت إلى العناية بالسيرة والتراجم ، كما أدت إلى تسجيل سيرة الرسول ﷺ ومغازيه ، حتى لقد قيل إن علم التاريخ نشأ وشب وترعرع في أحضان مدارس الحديث وعلى أيدي المحدثين .

وعلى الرغم من أن أقدم سيرة للرسول هي سيرة ابن إسحاق برواية ابن هشام التي تعود إلى أوائل العصر العباسي ، إلا أنه ليس هناك شك في أن ابن إسحاق قد استقى معلوماته من كتب ومصادر أخرى ترجع إلى العصر الأموي . ولعل أهم محدث أهم بتدوين سيرة الرسول وأحاديثه هو عروة بن الزبير المتوفي ٧١٢ م .

وقد بدأ المسلمون بعد ذلك في العناية بالأنساب وأشجار العائلات ، فقد كان الزمان زمان عصبية قبلية . وهذا أيضاً يدخل في عداد التاريخ .

كذلك كان الشعر والأدب العربي في تلك الفترة من موضوعات التأليف ، فقد كان القوم يجتمعون بالمريد (قرب البصرة) ، ويتناشدون الأشعار ويتفاخرون ويتهاجون بجميع أنواع الشعر قديمه وحديثه ، وقد برز عدد من الشعراء أهمهم : جرير والأخطل والفرزدق .

وقد حدث اختلاف شديد في أول من دون ألف ، فيذكر محمد كرد علي^(٧) أن أول من أمر بتدوين القصص والأخبار والتواريخ هو معاوية بن أبي سفيان الذي جمع حوله الرواة وأهمهم (عبيد بن شريح) وأمر بتدوين ما يلقونه من أخبار وتواريخ وأشعار .

وعلى الرغم من ذلك يذكر حاجي خليفة (في كشف الظنون) أن أول من صنف في الإسلام الإمام عبد الملك بن عبد العزيز جريح البصري المتوفي ١٥٥ هـ وذلك بالحجاز ، وقيل إن أول من ألف بالعراق هو أبو نصر سعيد بن أبي عروبة المتوفي ١٥٦ هـ ، وقيل ربيع بن صبيح سنة ١٦٠ هـ .

حركة الترجمة

ولما انتقلت الخلافة من بيت أمية إلى بيت العباس وانتقلت الخلافة من دمشق إلى بغداد واشترك الوالي في الحكم ، ازدادت رغبة التأليف والترجمة ، فقد أولى الخلفاء العباسيون حركة الترجمة عناية كبرى ، وكانت هذه الترجمة من عدد من اللغات اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والسريانية إلى اللغة العربية .

وقد بدأت حركة النقل من اللغات اليونانية والفارسية إلى اللغة العربية في عصر الخليفة العباسي الثاني المنصور . وكان هذا الخليفة يهتم بالطب ، لأنه كان معموداً وكان جورجيوس بن جبرائيل يعالجه ، ونقل له كتباً كثيرة من كتب الطب إلى اللغة العربية .

ويعتبر عصر الرشيد وابنه المأمون العصر الذهبي للترجمة إلى اللغة العربية . فقد كانت الترجمة عملاً رسمياً تتولاه الدولة وتتفق عليه بسخاء من ميزانيتها العامة ، وقد أسس الخليفة الرشيد مؤسسة كبرى للقيام بهذه الحركة العلمية . وهذه المؤسسة تعرف في تاريخ المكتبات باسم (بيت الحكمة) ، وقد كانت أكاديمية تحتوي قسماً للترجمة وقسماً للتأليف ومكتبة ومرصداً فلکیاً .

وكانت غزوات الخلفاء العباسيين للدول الأخرى تعود ومعها غنائم من كتب ، كذلك كان الخلفاء يرسلون البعوث للبحث عن كتب الأولين . ومن أشهر المترجمين لدى المأمون حنين بن إسحق الذي كان يشرف على عملية الترجمة من اليونانية إلى العربية^(٨) .

وقد ترجمت كتب كثيرة في العلوم والطب والفلك ككتب جالينوس وأبقراط

وبطليموس وغيرهم ، كذلك نقلت كتب في الفلسفة والسياسة مثل كتب أرسطو . وقد أدخل حنين بن إسحق كثيراً من التعديلات على طريق الترجمة . ومن المشهور المعروف أن حنيناً كان يأخذ زنة ما يترجمه ذهباً . هذا وقد سار التأليف جنباً إلى جنب مع حركة الترجمة والنقل هذه ، فقد زخر ذلك العصر بالعلماء والمفكرين الذين ألفوا في مختلف العلوم : الدينية والفقهية ، والحديث والتاريخ واللغة والأدب ، والعلوم البحتة والتطبيقية . يدلنا على ذلك حياة الماحظ الأدبية الزاخرة في تلك الفترة . ومن المعروف أن الخوارزمي قد ابتدع علم الجبر والمقابلة في زمن المأمون ، كذلك قام أبناء شاذلي بقياس محيط الأرض وذلك عن طريق قياس دائرة نصف النهار في صحراء سنجر ، وكان تقديرهم قريباً من الطول الحقيقي لها . وقد ساعد على انتشار التأليف والترجمة وازدهار الحياة الفكرية بصفة عامة على نحو لم يسبق له مثيل انتشار الورق في جميع أنحاء العالم الإسلامي ابتداء من عصر الرشيد والمأمون (٩) .

الورقة والوراقون

استدعى اختراع الورق وانتشار استعماله ظهور طائفة من الناس يشتغلون بالورق والكتابة وصناعة الكتب .. هؤلاء يطلق عليهم (الوراقون) ، وما يؤدونه من عمليات النسخ وبيع المخطوطات والورق يسمى (الوراقة) ، وقد لعبوا دوراً هاماً جداً في تاريخ الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية . وذلك أن الوراقين ، في ذلك الزمان ، كانوا يقومون بما يقوم به الناشر في زماننا هذا ، فهم الذين يقومون بنسخ الكتب وتجليدها وتصحيحها وبيعها للناس .

وقد اشتغل بالوراقة علماء لهم شأنهم ولهم خطرهم ، وانتشرت دكاكين الوراقين في الدولة العباسية منذ أوائل أيامها ، وقد بلغ انتشار هذه الدكاكين حداً جعل لها أحياء خاصة بها تعرف باسمها . فقد ذكرت كتب التاريخ أن عدد حوانيت الوراقين في ريبض وضاح من ضواحي بغداد بلغ أكثر من مئة دكان (القرن ٣ هـ) ، والأمثلة كثيرة في مصر وسورية . وكان يطلق على الوراق أحياناً اسم «دلال الكتب» . وقد وجد من الوراقين أشخاص أساءوا إلى هذه المهنة الجليلة ، فقد كانوا يزورون الحقائق التي ينقلونها أو ينسبون كتاباً إلى غير مؤلفه أو يدسون معلومات من عندهم إلى الكتاب أو يضعون اسم مؤلف كبير على كتاب ليس من تأليفه رغبة في تسويجه .. وهكذا .

وكانت دكاكين الوراقين ، في بعض الحالات ، مكاناً لالتقاء الأدباء والعلماء ، ومنتدى تجري فيه المناقشات والمناظرات العلمية والأدبية .

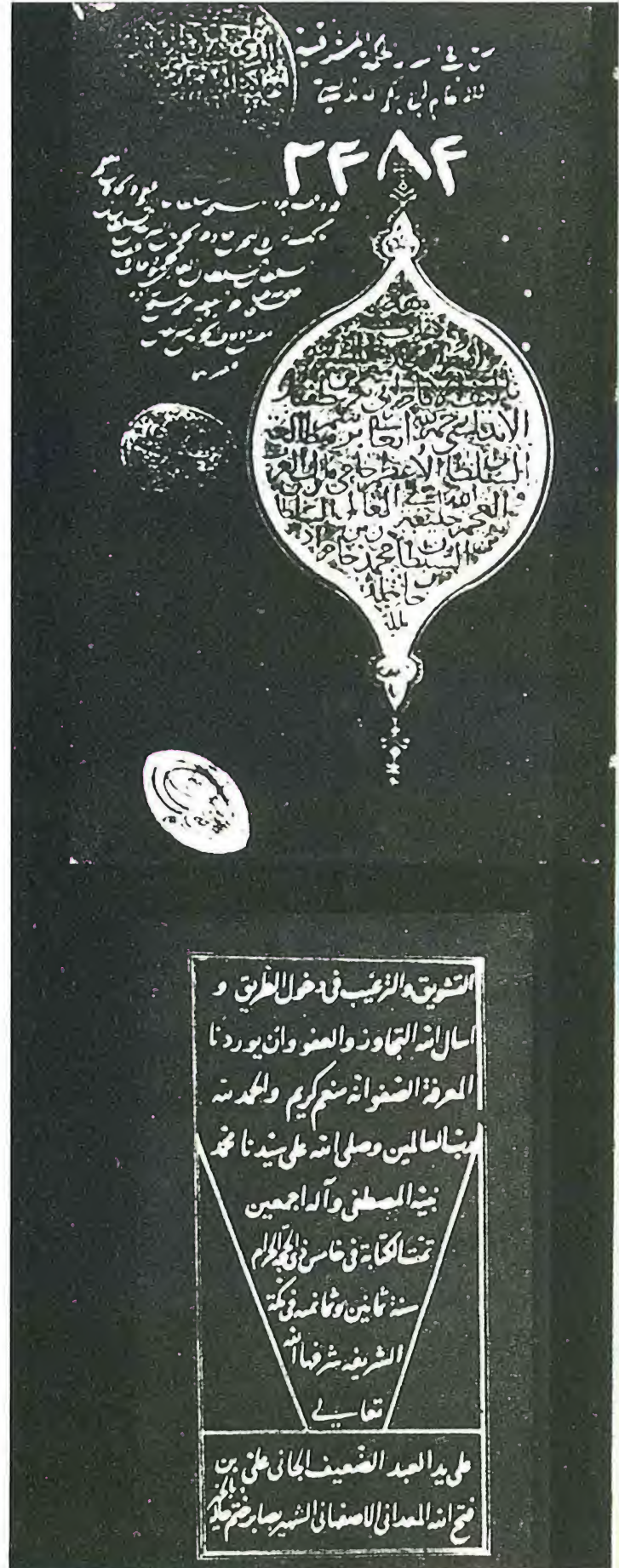
ولعل أهم شروط النسخ والناسخ هو جودة الخط ووضوحه وصحته .. وكانت هناك طريقتان للنسخ ، الأولى : أن ينسخ ناسخ واحد المخطوط بدون مساعدة من أحد ، وبعد الانتهاء من النسخ يراجع للتأكد من عدم نسيانه سطوراً أو كلمات أو وقوع أخطاء (انظر طريقة التصويب في الملاحح المادية للمخطوط بعد) ، نتيجة لتعب جسدي أو سهو أو نسيان وما إلى ذلك . والثانية : هي أن يقوم بالنسخ عدد من الأشخاص في وقت واحد بملي عليهم شخص آخر ما يكتبون .

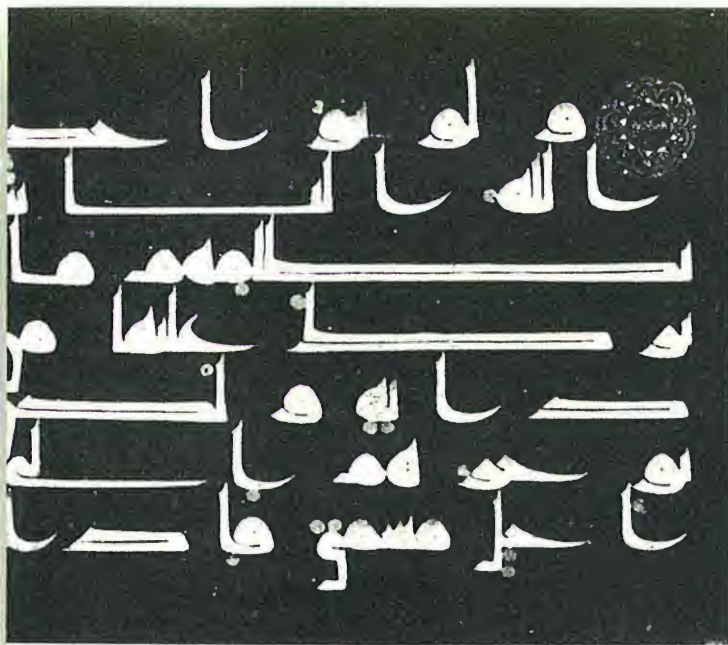
وقد اختلفت أجور النسخ بطبيعة الحال من مكان إلى آخر ومن زمان إلى زمان ، وتبعاً لأقدار النساخ وحجم الكتاب ، وأن أقل أجره وجدت في المصادر المختلفة هي سبعون درهماً عن نسخ مصحف ، وأكبر أجر هو خمسون ديناراً ، إلا أنها معاً يمثلان طرفي نقيض ، وكان الأجر العادي يتراوح بين خمسة دنائير وخمسة عشر ديناراً (وكان ابن البواب المشهور بحسن الخط يتناول مثل هذا الأجر) (١٠) .

وفي بعض الأحيان كان الأجر يحسب على أساس عدد الأوراق ، وهو معيار ثابت ودقيق نسبياً ، فقد كانت أجره عشرة أوراق عشرة دراهم كل ورقة بدرهم .

مواد الكتابة عند العرب

كانت المواد التي يكتب عليها العرب من وحي البيئة في بادئ الأمر ثم اختلفت باختلاف الزمان بعد ذلك ، فقد كتب العرب في الجاهلية وسنين الإسلام الأولى -





القلم لاستواء البري .

(ج) **المقلمة** : وهي المكان الذي توضع فيه الأقلام سواء كان من نفس الدواة أو منفصلاً عنها .

(د) **المفرشة** : قطعة من خرق الكتان أو الصوف نفرش تحت الأقلام وتكون في بطن الدواة .

(هـ) **الممسحة** : وكانت تسمى الدفتر أيضاً ، وهي آلة تتخذ من خرق متراكبة ذات وجهين ملونين من صدف أو حرير أو غير ذلك من نفيس القماش يمسح به القلم عند الفراغ من الكتابة حتى لا ينجف عليه الحبر فيفسد .

(٢) **المداد** : اشتق اسمه من الفعل مد أي كل ما يمد به أي ما تمد به الدواة الكاتب ، وقد يسمى حبراً من الفعل يحبر الشيء أي يترك عليه أثره ، وقد يكون مشتقاً من الحبار أي الأثر .

وكان المداد أو الحبر في أول الأمر يستورد من الصين ، كما كان يصنع في بلاد العرب من **العفص والزجاج والصمغ** ، أو من **السناج** (الدخان) وأجود الدخان ما أخذ من سخام النفط . والعفص حمل شجر البلوط تحمل سنة بلوطاً وستة عصفاً ، وهو مادة سوداء غنية بجامض التنيك إذا نعتت في الخل سودت الشعر . أما الزجاج الأخضر فهو كبريتات الحديد .

أما المقادير وطريقة الصناعة فكانت على النحو التالي :

٣ أوطال سخام النفط (تنخل وتصفى) .

٣ أمثال ماء .

١ رطلاً من العسل .

١٥ درهماً من الملح .

١٥ درهماً من الصمغ .

١٠ دراهم عفص .

ويمزج هذا كله في وعاء ، ويوضع على النار حتى يصير قوامه متاسكاً ، وبعد ذلك يبرد ويستخدم .

(٣) **الدواة** والمهبرة بمعنى واحد : وفي العصر الجاهلي وفي القرون الأولى للهجرة كانت الدوى تصنع من الخشب وربما صنعت من **الفخار** ، وبعد أن تقدم الزمن أصبحت تصنع من **المعادن كالنحاس والحديد** ، وأحياناً من **الزجاج** . وأما في الثالث كانت الدوى تصنع من **الأبنوس المحلى بالذهب** . وكانت مجالس الكتاب والعلماء تزخر بالدوى ، حتى لقد أحصى بعض المؤرخين الدوى التي وجدت بأيدي الكتاب في أحد المجالس بأكثر من خمسمائة دواة .

كما مر بنا من قبل - على المواد الآتية :

(١) **العسب والكرانيف** : وكانت أكثر مواد الكتابة شيوعاً نظراً لتوفرها في البيئة الصحراوية . والعسب جمع عسب : وهي السعفة أو جريدة النخل حين تجف وينزع خوصها ، أما الكرانيف فهي جمع كرنافة : وهي أصل السعفة الغليظ الملتصق بجذع النخلة .

(٢) **الأكتاف والأضلاع** : وهي عظام الكتف والضلع في الإبل والأغنام .

(٣) **الدخاف** : وهي الحجارة الرقيقة البيضاء .

(٤) **الرق والأديم والقضيم** : وهي كلها أنواع من الجلود .

(٥) **المهارق** : صنف بيضاء من القماش مفرداً مهرق ، وهو في الواقع لفظ فارسي ، وهو ثوب حرير أبيض يسقى بالصمغ ويصقل ثم يكتب فيه (١١) ، وكما مر بنا ظل استخدام هذه المواد على عهد رسول الله ﷺ وصحابه في كتابة القرآن . . إلا أنه بعد فتح مصر دخلت مواد جديدة ، أهمها من مصر :

(٦) **البردي** : ومعلوم أن البردي نبات كان ينمو في مصر القديمة **والوسيط** على ضفاف النيل يبلغ في بعض الأحيان مترين طولاً ، وكان الورق يصنع من ساق النبات حيث تقسم الساق إلى شرائح طويلة ثم ترص عليها شرائح أخرى أفقية وتغطي بشيء ثقيل ، فتساعد المادة الصمغية الموجودة بالنبات على الالتصاق ، ثم تنقل وتصفى ، وكانت القطعة تلحق بالقطعة لتصير لفافة كبيرة تبلغ ثلاثين ذراعاً أحياناً في عرض شبر ، ويكتب على أوراق البردي من وجه واحد وهو الوجه الذي تكون فيه الألياف أفقية لتساعد القلم على المضي في الكتابة . وقد انتشر ورق البردي من مصر إلى الدول الأخرى ، وقد ظل البردي هو المادة الرئيسية في الكتابة طوال العصر الأموي ، وخلال الفترة الأولى من العصر العباسي . وكانت أوراق البردي على شكل **لفائف** ROLLS ، ومن هنا كان شكل الكتاب ، ولم يتحول الكتاب العربي من اللفافة إلى الشكل الدفتر إلا زمن **أبي العباس السفاح** (ت ١٣٦هـ) ، على يد وزيره **خالد بن برمك** (ت ١٦٣هـ) (١٢) .

(٧) **الورق** : وفي عصر الرشيد دخل الورق كمنافس خطير للبردي . ومن المعروف أن الصينيين هم أول من اخترع الورق ، فقد اخترعه **الصيني (تساي لون)** في عصر **الإمبراطور (هوت)** سنة ١٠٥ م . وكان العرب يحتلون **سمرقند** سنة ٧٥١ م ، عندما حاولت جيوش الصين طردهم منها ، لكن الغزو الصيني رد على أعقابها ووقع في الأسر كثير منهم كانوا يجيدون صناعة الورق فتعلمها العرب منهم ، فأسس مصنع للورق في سمرقند ، ثم انتقلت هذه الصناعة بعد ذلك إلى **بغداد** ، حيث أسس **الفضل بن يحيى البرمكي** وزير الرشيد مصنعاً للورق ، ثم انتقلت هذه الصناعة بعد ذلك إلى **الشام وفلسطين** ، ثم انتقلت إلى **المغرب العربي** ، ثم منها إلى **الأندلس** ، ثم إلى بقية أنحاء أوروبا عن طريق الأندلس ، ثم إلى **الولايات المتحدة الأمريكية** بعد ذلك . وقد انتهى البردي كفاءة للكتابة حوالي منتصف القرن العاشر الميلادي بعد أن طغى استخدام الورق ، وقد تعايشا فترة من الزمن تقدر بحوالي نصف قرن (١٣) .

أدوات الكتابة

(١) **القلم** : كان العرب في الجاهلية - كما كان الإنسان البدائي - يستعملون أدوات حادة ينقشون بها كلماتهم في الحجارة أو الخشب ، وفي بعض الأحيان كانوا يكتبون بالفحم أو الطباشير أو نوع من الرصاص الذي يجذونه في الصحراء ، ولم يجهد العرب القلم بدليل ما ورد في القرآن الكريم من ذكر للقلم ، كما ورد ذكر القلم في **الشعر الجاهلي** ، وقد عرف القلم بأسماء كثيرة منها **اليراع والمذير** . وكانت الأقلام ، في بادئ الأمر ، تصنع من السعف أو الغاب أو القصب ، وكان الغاب أو القصب يقط ويرى أو يقلم ، ومن هنا كان اشتقاق اسم القلم من التقليم أو البري . ومن لوازم الناسخ والأقلام في العصور الوسطى العربية :

(أ) **المدية** : وهي السكين التي تهرى بها الأقلام وكانوا ينصحون بعدم استخدامها في غرض آخر سوى البري .

(ب) **المقط** : أو المعصمة ، وهي قطعة صلبة من الحجارة أو الرخام يهرى عليها

لون الحبر ولا في حجم الخط ، بل كان الفصل يبدأ بكلمة فصل ثم يأخذ الكاتب في سرد المادة العلمية . . ثم وجد أن هذا الأمر منفر لم يربد البحث عن فصل معين أو باب بالذات ، قبدأوا يميزون عناوين الفصول والعناوين الفرعية بتضخيم الخط أولاً ، أو بمغايرته لخط النص ، ثم بعد ذلك استخدموا لوناً مغايراً من الحبر لتمييز هذه العناوين . ولعل السبب في ذلك هو الرغبة في استغلال كل المساحة وعدم التبذير فيها ، نظراً لارتفاع ثمن البردي والرق ، ثم الورق بالتبعية وبحكم العادة .

(٤) الهوامش

ولقد كان النسخ العربي يحرص على ترك هوامش أربعة ، وكانت هذه الهوامش تتمشى مع حجم المخطوط ، فكلما كان حجم الكتاب كبيراً كانت الهوامش أكبر مما لو كان حجم الكتاب صغيراً ، وهذا هو منطق الأمور . وكان النساخون يحرصون على تساوي الهامش الواحد ، فيحرصون على ألا تخرج السطور عن بعضها حتى لا تشوه منظر الكتاب ، كذلك كان حرصهم على أن تكون المسافات بين السطور Leading على نسب متساوية .

وبمرور الزمن دأب قراء المخطوطات — المتقنون منهم خاصة — على كتابة تعليقات وحواش وتقريرات على هوامش المخطوطات أثناء قراءتهم مما يعتبر تالياً جديداً ، وكلمة حاشية نفسها مأخوذة من هذا المعنى (أي ما يكتب في هامش الكتاب أي أطراف الكتاب) ، حتى إذا استقلت هذه الحواشي في كتاب مستقل بذاته أخذت نفس الاسم . ونصادف هذه الظاهرة في أواخر المخطوطات بصفة خاصة ، وقد قلدها أوائل المطبوعات العربية فنصادف ثلاثة كتب أو أربعة في مجلد واحد ، كتاب أو كتابان في المتن ، وكتاب أو كتابان على الهامش ، والأمر لا يخرج عن كونه تقليداً للمخطوطات وليس له أي علاقة بالطباعة .

(٥) مسطرة المخطوط

ولم يكن ثمة معدل ثابت لعدد السطور في الصفحة الواحدة بل أحياناً (قليلة) كان عدد السطور يختلف من صفحة إلى صفحة في المخطوط الواحد . وإن كان المعدل هو في القطع الكبير ٢٥ — ٣٠ سطراً ، وفي القطع المتوسط ٢٠ — ٢٥ سطراً ، وفي القطع الصغير ١٢ — ١٥ سطراً .

وأغلب الظن أن النساخين لم يكونوا يسطرون أوراق المخطوط قبل البدء في الكتابة كما يقول د . عبد الستار الحلوجي ، حتى يتحكموا في عدد السطور واستوائها ، وإن كان ذلك جائزاً في المخطوطات الصغيرة والمتوسطة ، إلا أن ذلك لم يكن الوضع في المخطوطات الضخمة الحجم ، كالمصاحف الكبيرة ونحوها التي يحتم اتساع صفحاتها تسطيرها . ولم يعرف العرب في مخطوطاتهم تقسيم الصفحة الواحدة إلى فقرات تبدأ كل منها على بعد معين عن بقية السطور .

(٦) علامات الترقيم

ولم يعرف العرب من علامات الترقيم في القرون الأولى للهجرة سوى النقطة أو ما يقوم مقامها كأداة للفصل بين الجمل ، ويذكر أدلف جرومان^(١٥) أن النساخين العرب قد استعملوا الدائرة ، ونصادفها بأشكال مختلفة في المصحف ، من اللغة البهلوية ، وكانت النقطة عبارة عن دائرة . وقد لاحظ الدكتور الحلوجي أن الدائرة كانت تستخدم مجردة أحياناً ، وفي أحيان أخرى يكون بداخلها نقطة ، وفي أحيان ثالثة يخرج خط من

منتصف الدائرة ، — أو دائرتان متساويتان ∞ ، وربما كانت النقطة أو العلامة التي نصادفها بداخل الدائرة أو خارجة عنها من صنع القراء لتحديد المكان الذي وقفوا عنده في القراءة في بادئ الأمر ، ثم أصبحت تقليداً بين النساخ بعد ذلك تائفاً وتزيدياً . وفي المخطوطات المتأخرة نصادف اختفاء الدائرة وظهور النقطة فقط للفصل بين الجمل ، ونصادف أيضاً — ولكن في أحيان قليلة — وجود فاصلات ونقطتين : .



الملاحج السادية للمخطوط العربي

بعد أن استعرضنا في المقالة السابقة حركة التأليف والترجمة وتطورها ، ومواد الكتابة وأدواتها ، وحركة الورقة والوراقين (النشر والتأليف بمفهومنا المعاصر) . . لا بد من تحليل المخطوط العربي أي من دراسة ملاحج السادية . وسوف نعالج عناصر المخطوط العربي الأولية على النحو التالي :

(١) صفحة العنوان

ظل المخطوط العربي طيلة حياته بدون صفحة عنوان — على النحو الذي نصادفه في المطبوعات في وقتنا هذا — و صفحة العنوان بالمعنى الذي نفهمه الآن هي واجهة للكتاب ، تشتمل على عنوان الكتاب ، واسم مؤلفه وناسخه ، ومكان وتاريخ النسخ ، بل كان عنوان الكتاب واسم مؤلفه يأتيان في مقدمة الكتاب بعد قسم كثير من الكلام ، أو كانا يأتيان في نهاية المخطوط على النحو الذي ستره فيما بعد . وكان المخطوط في العادة يبدأ بورقة بيضاء لحاية النص من التلوث في المخطوطات غير المجلدة بصفة خاصة . وقد دأب من تملكوا المخطوطات أو ناسخوها في عصور متأخرة على إضافة عنوان الكتاب على هذه الورقة البيضاء ويخط مخالف أغلب الظن .

(٢) الاستهلال

وكان الاستهلال Inception أو بداية النص ، يبدأ عادة بالبسملة والمعدلة والصلاة على النبي ثم الهدف من تأليف الكتاب ومحتوياته أحياناً بل المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في كتابة مؤلفه هذا ، ويذكر اسمه ، والعنوان الذي اختاره لكتابه . يقول د . عبد الستار الحلوجي إن الاستهلال هذا كان يؤدي ثلاثة أغراض في الكتاب المطبوع في عصرنا الحاضر وهي : (أ) صفحة العنوان ، (ب) قائمة المحتويات ، (ج) مقدمة الكتاب^(١٦) ، ونضيف كذلك قائمة المصادر في بعض المخطوطات ، وهذه الأخيرة قصد بها إعطاء أهمية عملية للكتاب من حيث اعتماده على مصادر أخرى ، وكذلك تفيد من يريد الاستزادة من المادة العلمية في هذا الموضوع .

(٣) عناوين الفصول والعناوين الفرعية

والحقيقة أن فصول المخطوط العربي لم تكن لترد في صفحة مستقلة أو سطر مستقل أو في منتصف السطور على النحو المعمول به في أيامنا في الكتب المطبوعة ، وكذلك العناوين الفرعية ، بل كانت عناوين الفصول والعناوين الفرعية تندرج داخل النص دون تمييز لا في

(٧) الاختصاصات

وكان الكتاب العرب يختصرون الكلمات التي تتكرر كثيراً في النص حدثنا (ثنا - نا) أخبرنا (أنا) انتهى (أه) . وكان اختصار الصلاة على النبي مكروهاً ولم تصادفه في المخطوطات الباكورة .

(٨) التصويبات والتصحيحات

وعندما كان الناسخ يخطى في كتابة المخطوط ويعرف ذلك فإنه كان يشطبه ويكتب الصواب بعده . أما إذا اكتشف الخطأ بعد الانتهاء من نسخ المخطوط فإنه كان يشطبه ويعيد الكتابة فوقه بالصواب على النحو الذي نقوم به في أيامنا هذه . وكانت الكلمات المنسية تضاف في مكانها بين السطور إذا كانت قليلة والمسافة بين السطور تسمح بذلك . أما إذا كانت كثيرة لا تتحملها الفراغات بين الكلمات فإنها كانت تسجل في الهامش أمام الموضع الطبيعي لها ، مع وضع علامة أو خط يدل على مكانها .

(٩) ترقيم أوراق المخطوط

وقد ظل المخطوط العربي رديحاً طويلاً من الزمن بدون ترقيم لأوراقه أو صفحاته حتى نهاية القرن الخامس الهجري تقريباً . ولما كان يخشى من انقراض عقد أوراق المخطوط والصعوبة في ترتيبها ظهرت طريقة كتابة أول كلمة في الصفحة اليسرى في الهامش الأسفل للصفحة اليمنى فيما يعرف بالتعقيبات . وفي العصور المتأخرة جرى ترقيم أوراق المخطوط بالورقة وليس بالصفحة . وفي أواخر أيام المخطوطات وقبل ظهور الطباعة مباشرة كان المخطوط العربي يرقم بالصفحة .

(١٠) خاتمة المخطوط

وتعتبر خاتمة المخطوط العربي Explicit جزءاً هاماً منه ، ففيه تذكر عبارة تدل على انتهاء النص واسم الناسخ ، وفي أحيان قليلة يذكر مكان النسخ ، وفي أحيان كثيرة يذكر تاريخ النسخ باليوم والشهر والسنة الهجرية . وقد تكون السطور الأخيرة في النص مكتوبة على شكل هرم مقلوب تسمى بمرج المتن Colophon . أما إذا كان المخطوط ينتظم أكثر من مجلد فإنه تذكر في نهاية كل مجلد عبارة تفيد الربط بين المجلد والمجلد الذي يليه . (انتهى المجلد كذا ويليه المجلد كذا وأوله) .

(١١) التمليكات والإجازات والسماعات

ونصادف في أول المخطوط أو آخره بعض عبارات تفيد ملكية الكتاب لشخص معين أو لمسجد بالذات أو لكتبة معينة على النحو المعمول به في زماننا هذا بالنسبة للكتب المطبوعة ، وهذه العبارات تعرف بالتمليكات . ومن المعروف أن نظام التعليم في الإسلام كان يقوم أساساً على أستاذ يشرح كتاباً وتلاميذ يتحلقونه ويسمعون عليه الكتاب ولا بد من إثبات أن فلاناً قد سمع هذا الكتاب على الشيخ الفلاني ليكون ثقة بعد ذلك في مادة هذا الكتاب ، ويكون هذا الإثبات على الكتاب نفسه ويعرف هذا بالسماعات . وكذلك كان لا بد لكي يقوم التلميذ بالتدريس في مادة ذلك الكتاب بعد ذلك أن يجاز له بالقيام بهذا العمل ، ولا بد من إثبات ذلك أيضاً على الكتاب نفسه فيما يعرف بالإجازات على النحو المعمول به اليوم في رسائل الماجستير والدكتوراه مع تغير الظروف والأسلوب .

(١٢) أحجام المخطوطات

والحقيقة أنه لم يكن للمخطوطات العربية أحجام ثابتة على النحو المعمول به في أيامنا في الكتب المطبوعة بمقاييس معلومة نتيجة صناعة الورق المنظمة الآن . كذلك

لم يكن يحجم في القرون الأولى بصفة خاصة بأن تتساوى أوراق المخطوط الواحد وإن كنا نصادف بعد ذلك حرصاً متزايداً على تساوي أوراق المخطوط الواحد .

وقد أشار د . الحلوجي إلى وجود حجمين متقاربين للمخطوطات العربية في القرون ١ هجرية الأولى حوالي ٢٥ × ١٨ سم ، والثاني حوالي ١٨ × ١٢ سم ، وإن كانت أحجام المخطوط العربي لا تخضع لمقاييس ثابتة عادة .

(١٣) الصور والرسوم

وكانت الصور في المخطوطات العربية تتم بعد الانتهاء من نسخ المخطوط وكان الناسخ يترك فراغات للملئها بالصور والرسوم . وهذا يؤكد لنا أن الرسام كان شخصاً مختلفاً عن الناسخ ، يدلنا على ذلك أن الصور في بعض المخطوطات العربية تتجاوز المساحة المتروكة لها وتطغى على النص أعلاها وأسفلها (١٦) . كما وصلتنا مخطوطات وبها مساحات بيضاء تركت للصور والرسوم ، لكنها لم ترسم .

وأغلب الظن أن العرب قد عرفوا التصوير عن طريق الفرس ، فالمسعودي يذكر أنه رأى عندما زار مدينة اصطخر سنة ٣٠٣ هـ ، كتاباً يشتمل على علوم كثيرة من علومهم وأخبار ملوكهم وأنبياهم وساستهم « مصوراً فيه ملوك فارس من آل ساسان سبعة وعشرون ملكاً منهم خمسة وعشرون رجلاً وامرأتان » (١٨) .

كذلك كان كتاب « كليله ودمنة » مصوراً بصور الطيور والحيوانات التي جرت على السنتها حوادث ذلك الكتاب .

وكانت الصور والرسوم في المخطوطات العربية تتمشى مع طبيعة موضوع الكتاب ، فكتب الجغرافيا كانت محلاة بالخرائط ، وكتب الهيئة (علم الفلك) كانت تشتمل على صور للكواكب والنجوم ، وكذلك كانت كتب الموضوعات الأخرى كالمهندسة والفروسية والكيمياء وغيرها .

وكان الرسامون العرب إلى - جانب استخدام اللون الأسود - يستخدمون الألوان المختلفة في التصوير ، لكنها من ناحية أخرى كانت محدودة العدد جداً ، فكانت الألوان الأحمر والأخضر والأزرق هي الغالبة .

والحق أن الصور والرسوم هنا كان يقصد بها خدمة النص والموضوع ولم تكن تقصد في حد ذاتها .

(١٤) زخرفة المخطوطات وتحليتها وتذهيبها

أما الحليات والزخارف فقد كانت تقصد بذاتها لتحلية المخطوط وزخرفته . وكانت هذه الزخارف في بداية الأمر مجرد خطوط بسيطة لم تلبث أن تعقدت بعد ذلك إلى رسوم هندسية لها أصول وقواعد ، وأحياناً تتخذ أشكالاً نباتية فيما عرف بالآرابيسك . والحقيقة أن المصاحف كانت مجالاً خصباً لهذه الزخارف ، لأن الرسامين تخرجوا من رسم أشكال آدمية وحيوانية فيها فتوسعوا في استعمال الأشكال الهندسية والنباتية المختلفة وتأنقوا في استخدام الذهب والألوان كالأحمر والأزرق والأخضر .

ولعل هذا يقودنا إلى الحديث عن التذهيب ، فإنه أول ما وجد بالمصاحف ، وفي مواضع الزخرفة منها على وجه الخصوص ، ولم يلبث العرب أن نقلوه إلى الكتب الأخرى وأغرقوا في استخدامها ، فكتبوا المصاحف بماء الذهب .

ولم يقتصر عمل المذهبين العرب على تذهيب صفحات المخطوطات فقط وإنما تعدى الأمر إلى تذهيب الجلود أيضاً . وكان فن التذهيب هو أول الفنون التي تعلمها الإيطاليون قبل كل شيء من أساتذتهم المسلمين فيما يذهب سفندال . ولقد كان التذهيب عادة المرحلة الثالثة في صناعة المخطوط بعد مرحلتي الكتابة والتزيين بالصور والرسوم . وكانت وظيفة المذهب تأتي مكملة لوظيفة الخطاط والرسام .

(١٥) تجليد المخطوطات

أما فيما يتعلق بتجليد المخطوط فقد كان المصنف الشريف هو أول كتاب يجلد حتى منتصف القرن الثاني الهجري ، لأنه كان أول كتاب عربي يصنع على شكل دفتر Codex ، ولما أخذ شكل المصنفات شكل الدفتر هذا بعد أن ظل فترة طويلة على



شكل لفافة Roll ، منذ ذلك الوقت أخذ ميدان التجليد يتسع ويجذب الناس إليه . وقد عدد ابن النديم أسماء سبعة من المجلدين على رأسهم ابن أبي الحريش الذي كان يجلد في خزانة الحكمة للمامون .

ويقال إن العرب قد أخذوا فن التجليد عن الأحباش ، ويقال أخذوه عن أقباط مصر ، وكان المصريون يستخدمون ورق البردي المقوى في تجليد الكتب صغيرة الحجم والخشب في تجليد الكتب كبيرة الحجم . ولما زال البردي من الوجود استخدم السور كبديل في التجليد .

كان هذا حتى القرن الثاني ، أما في بداية القرن الثالث الهجري فقد أخذ الجلد يدخل في صناعة التجليد بالتدريج في لصق الكعب أولا ، ثم بعد ذلك توسعوا في استخدامه لتجليد كل الكتاب وخاصة المصاحف وكان لتوفر الجلود أثر طيب في هذا الاتجاه .

وكان من الطبيعي ألا تترك جلدة الكتاب بدون زخرفة ، فكانت في أبسط حالاتها إطاراً يطوق الجلدة على شكل زخارف هندسية أو نباتية بسيطة ، ثم تأتي بعد ذلك الزخارف الهندسية لملأ الفراغ الموجود في هذا الإطار . وقد سجل جرومان في كتابه Islamic Book صورا رائعة لجلود عربية من مجموعة الأرشيدوق رايت في فيينا (١٩) .

ولما جاء القرن الرابع الهجري استحدث المجلدون نظام اللسان في الجلدة وكانت

وظيفته تغطية أطراف الأوراق ، وكذلك لتجديد الموضع الذي يقف عنده القارئ أثناء قراءة الكتاب .

وكان المجلدون العرب يبطنون الكتب من الداخل بالبردي والرق أو الورق ، وربما بالغوا في ذلك فيطونها بالقماش أو الحرير (٢٠) .

ولم يكتف المجلدون العرب بزخرفة الجلود الخارجية فقط ، بل تعدوا ذلك ظهر الجلد الداخلي ، فغطوه بزخارف لا تقل عن الزخارف الخارجية روعة وجمالا .

ويلحق بالحديث عن التجليد الحديث عن ترميم الكتب ، وعلى الرغم من أنه لم تصلنا معلومات كافية عن ذلك ، فإن المقريزي يذكر أن ميزانية مكتبة دار الحكمة في القاهرة (التي أنشأها الحاكم بأمر الله ٣٩٥هـ) ، كان بها بند لترميم الكتب التي تتلف من كثرة الاستعمال . . وأغلب الظن أن عملية الترميم لم تكن تخصصاً قائماً بذاته ، لكنها كانت عملية بسيطة يقوم بها المجلدون من أنفسهم باستعمال الصمغ أو النشاء في لصق ما قد يتمزق من الأوراق .

صيانة المخطوطات وترميمها

هناك العديد من العوامل والأسباب التي تؤثر تأثيراً شديداً في أوراق المخطوطات التي وصلتنا عبر السنين ، لذلك فلا بد من حمايتها منها الإبقاء عليها أطول مدة ممكنة . وأهم هذه العوامل : (١) الضوء ، (٢) الهواء شديد الجفاف أو شديد الرطوبة ، (٣) التغيرات الفجائية في درجات الحرارة أو درجات الرطوبة ، (٤) زيادة نسبة الغازات الضارة في هواء المكتبة مثل ثاني أكسيد الكبريت والأوزون ، (٥) الأتربة ، (٦) الطفيليات كالقنطرة والحشرات .

وسوف نتناول بشيء من التفصيل كل عامل من هذه العوامل بنفس هذا الترتيب :

(١) فمن المعروف أن الأوراق المصنوعة من لب الخشب والألياف السليلوزية والأوراق التي تزيد فيها نسبة الأحماض هذه تتأثر أكثر من غيرها إذا تعرضت فترات طويلة للضوء ، ولذلك ينبغي حفظ المخطوطات بقدر الإمكان بعيداً عن ضوء الشمس والضوء الصناعي ، خاصة ما كان منها مصدراً للأشعة فوق البنفسجية بكميات كبيرة ، ومن هنا يكون الحفظ المثالي لها في مكان مغلق بأقل قدر من النفاذ ، ويضاء عند الضرورة بالضوء الصناعي بالقدر الذي يسمح بالرؤية ولمدة محدودة .

(٢) ومن المعروف أيضاً أن المخطوطات إذا تعرضت لدرجات عالية من الحرارة ولمدة قصيرة ، فإن أوراقها تصفر ويسرع إليها التقصف وتصبح هشّة ، ولذلك لا بد من الاحتفاظ بدرجة حرارة معتدلة داخل مكتبة (أو مخزن) المخطوطات . ودرجة الحرارة المناسبة لذلك هي ما تراوحت بين ٢٠ - ٢٤ درجة مئوية . ويجب البعد تماماً عن استعمال أجهزة التدفئة في مكتبات المخطوطات أو مخازنها .

كذلك ينبغي الاحتفاظ بدرجة رطوبة معقولة داخل مخازن المخطوطات ، فلا يجب أن تنخفض عن ٣٠ ٪ ، لأن أقل من ذلك سوف يساعد على جفاف الأوراق ومن ثم تقصفها . ولو زادت عن ٧٥ ٪ ولو لمدة قصيرة ، فإن هذا الجو يساعد على نمو الفطر على أوراق المخطوطات وتغير لونها وتكون بقع سوداء أو بنية اللون عليها . ولذلك ينبغي حفظ نسبة الرطوبة في المخازن بين درجتي ٣٠ ٪ و ٧٠ ٪ حتى تساعد على حفظ المخطوطات .

(٣) وقد وجد أن التغير المفاجئ الواسع المدى في درجات الحرارة أو البرودة يؤدي إلى الإضرار بألياف الورق ، ذلك أنها تتقلص وتمتد مع تغيرات الحرارة ، وهذه الحركة الداخلية في الورق قد تتسبب في تكسر هذه الألياف وإحداث تلفيات بالورق . ومن ثم لا ينبغي أن يكون التغير في درجة الحرارة بالرفع أو الخفض عن طريق التكيف إلا بمقدار درجتين تحت ، أو درجتين فوق المعدل الطبيعي .

(٤) وقد وجد أن غازات مثل الأوزون أو ثاني أكسيد الكبريت الذي ينتج عن احتراق الفحم واحتراق الزيوت والبترو و يصل إلى معدلات عالية في المدن موطن تجمع المخطوطات ، وفي فصل الشتاء على وجه الخصوص ، هذا الغاز يتنص بسهولة في ألياف الورق حتى ولو لم تصل نسبته إلى نصف في المليون من الهواء . وهذا الغاز يتحد مع

الجفاف . ويفضل استعمال النشاء مع نسبة صغيرة من (الجلسرين) . تحفظ عليه ليونته ومرونته .

فهرسة المخطوطات

من الواضح أن فهرسة المخطوطات على نطاق العالم كله لم تلق نفس العناية التي لقيتها فهرسة الكتب المطبوعة ، وليس ثمة تقنين متفق عليه في فهرسة المخطوط شأنه شأن المطبوع . وكل مكتبة لديها مجموعة من المخطوطات تجري فهرستها بطريقة الخاصة ، ومن أسف أن دار الكتب المصرية التي لديها رصيد هائل من المخطوطات لم تقم حتى اليوم بفهرسة شاملة لها تقتنيه من هذه المواد .

إذن فإن محاولتنا هنا لوضع نظام لفهرسة المخطوط العربي ستكون محاولة خاصة ويجب أن تؤخذ على هذا النحو ، وسوف تتفق هذه المحاولة من بعض جوانبها مع فهرسة المطبوع ، وبطبيعة الحال سوف تختلف في جوانب أخرى . فمن المعروف أن الفهرسة تعني وصف الكيان المادي للعمل الفهرس ، ولما كان الكيان المادي يختلف في المخطوط عن المطبوع فلا بد أن تتأثر الفهرسة بذلك أيضاً .

ولقد قام أحد خبراء اليونيسكو في تونس^(٢١) ، بوضع نموذج لبساطة فهرسة المخطوط ، ويمكن تلخيص هذه المحاولة في النقاط الآتية :

- أولاً : - مساحة البطاقة ١٨ × ٢٤ سم عرضاً وتكتب من وجهها .
- ثانياً : - تبين على وجه البطاقة العناصر المعتادة التي نجدها على بطاقة المطبوع مثل اسم المكتبة وفرن الكتاب ورقم المخطوط بالمكتبة وعنوان المخطوط ومؤلفه ومستنسله وخاتمه ، واسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه . ويضاف صورتان شمسيان مصغرتان ٦ × ٩ للصفتين الأولى والأخيرة من المخطوط ، وتوضع هاتان الصورتان في الركن الأيمن من النصف الأعلى من وجه البطاقة (انظر نموذج البطاقة) .
- ثالثاً : - يخصص ظهر البطاقة لتسجيل البيانات التي تساعد على تكوين صورة واضحة المعالم عن المخطوط مثل : المادة المكتوب عليها المخطوط (بردي ، رق ، ورق) ، ونوع الخط والخبر ، وحجم المخطوط ، ومسطرة المخطوط ، وعدد الأوراق والزخارف والتجليد .

كذلك يسجل في هذا المكان محتويات المخطوط باختصار ، ثم نسب المخطوط ، وذلك بذكر النسخ الأخرى من المخطوط ومكان وجودها ، وتاريخ نسخها ، وكذلك الطباعات المنشورة من المخطوط ، إن كان قد نشر ، مع بيانات ببليوجرافية كاملة عنها ، وكذلك تسجل أهم الإجازات والساعات في هذا المكان أيضاً .

- رابعاً : - لما كانت الفهرسة عملية فنية دقيقة وتحتاج إلى درجة عالية من الكفاية ، فإن اسم الفهرس واسم المراجع يدرجان بالبطاقة .

مكتبة :		اسم المخطوط :
فرن :		المؤلف :
رقم :		المستل :
		الخاتمة :
		الناسخ :
مكانه :	تاريخ النسخ :	

الأكسجين ويحترق الساء الموجودان في الهواء ومع مركبات الحديد في الورق ، فيتكون من ذلك حامض الكبريتيك ، وهذا الحامض يتفاعل مع ألياف السيليلوز ويتلف الأوراق في المخطوطات ، وبازدياد نسبة هذا الحامض في الورق تزداد سرعة تحلله . ومعالجة هذا الغاز تتم باستخدام جهاز تكييف يمر فيه الهواء عن طريق أنابيب بها ماء بارد . وهذا الماء يوضع به محلول قلوي لمنع الصدأ عن الأسطح المعدنية التي يمرر عليها الهواء بعد ذلك . هذا المزيج القلوي ينقي الهواء الداخل إلى مخازن المخطوطات من ثاني أكسيد الكبريت .

(٥) كذلك تعتبر الأثرية من أعداء المخطوطات وفضلاً عن أضرارها المباشرة فإنها تساعد كثيراً على تواجدها الحشرات واختفائها ، ولذلك كان لا بد من تنقية جو مخازن المخطوطات من الأثرية باستمرار عن طريق استخدام شفاطات الأثرية المستخدمة في المكتبات والأجهزة الحديثة التي تستخدم لهذا الغرض .

(٦) والحشرات من أعدى أعداء المخطوطات وذلك أن بعض الحشرات وأنواعاً من الفطر تعيش وتنمو على المواد الداخلة في تجليد المخطوطات كالنشاء والمواد الصمغية المختلفة بل والجلود نفسها . وهذه الحشرات تتسبب في ثقب بأوراق المخطوطات وتصل إلى حد كبير قد تصبح معه خطوطاً غير منتظمة تحدث تلفاً شديداً في المخطوطات .

ولا بد إذن من تبيخير المخازن على فترات منتظمة ، ورش الرفوف بمواد قاتلة لهذه الحشرات يمكن أن ينجب المخطوطات كثيراً من أضرار هذه الحشرات . وباستخدام الصوديوم أو خليط من حامض البوريك والنشاء على الرفوف يمكن القضاء إلى حد كبير على هذه الحشرات . هذه العوامل التي تصيب المخطوطات عوامل طبيعية ، يضاف إليها عوامل أخرى مثل الحريق الذي ينبغي تجنب أسبابه بشق الطرق ، لأن الكتاب المخطوط لا يمكن تعويضه ولا يقدر بثمن ، على عكس الكتاب المطبوع الذي يمكن تعويضه بنسخة أخرى . كذلك يجب على أمين المخطوطات أن يراعي عزل المخطوطات المصابة أولاً بأول لترميمها ، وذلك بالفرز الدوري للمجموعات ، كما يلاحظ الاستخدام السليم للمخطوطات من جانب القراء فلا يستخدمون الأقلام في وضع خطوط أو علامات تحت سطور أو كلمات في المخطوط الذي يقرأ .

ويتصل بصيانة المخطوطات أيضاً طريقة حفظها في المكتبة ، فالمخطوطات يجب أن توضع على رفوف معدنية ، ذلك أنها أسهل تنظيفاً وأدعى لعدم نمو الحشرات ، كما هو الحال في الرفوف الخشبية التي تساعد على نمو الحشرات ولا يمكن تنظيفها بدقة وسر . ومن المستحسن أن توضع المخطوطات الضخمة على الرفوف في وضع أفقي وليس في وضع رأسي حتى لا تلتهوي جلدته المخطوط وأوراقه .

ويقودنا هذا بطبيعة الحال إلى الحديث عن ترميم المخطوطات . والمقصود بالترميم هنا هو إصلاح ما يصيب أوراق المخطوط وجلدته من تلف أو تمزق أو تآكل ، وقد سبق أن ذكرنا أنه على أمين المخطوطات أن يقوم بفرز المخطوطات بصفة دورية ، وعزل المخطوطات التي تحتاج إلى ترميم بسبب إصابتها بأفة من الآفات أو بسبب تمزقها من جراء الاستعمال غير السليم .

والوضع الطبيعي أن يكون بمكتبة المخطوطات قسم خاص لترميمها ، لأنه من الخطأ الجسم أن يسمح بترميم المخطوطات خارج المكتبة . وقسم الترميم هذا يجب أن يجاور مخازن المخطوطات ، وهو يحتاج إلى الكثير من الأدوات والخامات ومنها المواد اللاصقة والسوائل اللازمة لتنظيف الأوراق والجلود بالكحول والبنزين .

وتتم عملية الترميم بأربعة إجراءات هي :

- (أ) يسط الأوراق المطوية أو المثنية وذلك بتعريضها لبخار الماء في غرفة خاصة تصل درجة رطوبتها إلى ٩٠ ٪ ، وتيسط الأوراق على مناضد زجاجية نظيفة جداً ثم تحفف الأوراق بوضعها بين طلاحي من الورق الشفاف الأبيض .
- (ب) تقوية الأوراق أو الضعيفة وذلك عن طريق غمسها بمحلول النشاء أو الجيلاتين المخفف وتركها لتجف ووضعها بعد ذلك في مكابس لبسطها .
- (ج) تغطي الأوراق بغطاء شفاف من الورق (السلفون) أو القماش الرقيق أو النايلون .

(د) في حالة الأوراق المكتوبة من وجه واحد يمكن لصقها على ورقة أخرى بقصد تقويتها ، وينصح بعدم استخدام الغراء لأنه غليظ القوام ويفسد الورق بلونه وتشققه بعد

ومن الواضح من العرض السابق أن البطاقة المذكورة كبيرة المساحة جداً وتحتاج إلى إدراج فهراس خاصة خارجة عن المؤلف المشهور في عالم صناعة الأدرج . كما أن إدراج صورتين فوتوغرافيتين لكل مخطوط بالبطاقة أمر فوق طاقة عدد كبير من مكنتبات المخطوطات ، ولا يقدر عليه إلا المكتبة القومية فقط . كما أن الكتابة على وجهي البطاقة سيضطر القارئ إلى إخراج البطاقات من أدرجها ، وغير ذلك من الصعوبات التي يمكن تتبعها في البطاقة المقترحة سابقاً .

إذن فلنحتذي بطاقة الكتاب المطبوع ، مع عدم الإخلال بالمعلومات والبيانات اللازمة ، للتعرف على المخطوط وتمييزه . وأقدم فيما يلي المخطوط العريضة لفهرسة المخطوط .

يمكننا أن نقسم بطاقة فهرسة المخطوط إلى عدد من الفقرات :

● الأولى : فقرة المدخل - ويجب أن يكون المدخل الرئيسي للكتاب باسم المؤلف مبتدئاً بالجزء الأشهر من الاسم متبوعاً بالأسماء الأولى للمؤلف مع إعطاء تاريخي الميلاد والوفاة بعد الاسم بالهجري والميلادي كلما أمكن ذلك .

● الثانية : فقرة العنوان - وهنا يعطى عنوان المخطوط الرئيسي والفرعي إذا وجد ، وكذلك العناوين التي اشتهر بها المخطوط (ولنصطلح على تسميتها بالعناوين البديلة Alternative title) ، ثم بعد العنوان يسجل مكان النسخ واسم الناسخ وتاريخ النسخ .

● الثالثة : فقرة التوريق (أو بيانات المقابلة) ، وفيها تسجل مادة المخطوط (بردي ، ورق ، رق) ، ثم عدد الأوراق ، ثم مسطرة المخطوط (أي متوسط عدد السطور في الصفحة) ، ثم نوع الخط المكتوب به المخطوط ، ثم الإيضاحيات (أي الصور والرسوم) ، ثم نوع التجليد ثم حجم المخطوط بالطول والعرض بالسلم .

● الرابعة : الاستهلال inception ، ونعني به بداية النص بعد البسملة والحمدلة والصلاة على النبي . والخاتمة Explicit ، ونعني به نهاية النص قبل حرد المتن .

● الخامسة : محتويات المخطوط ، وتُسرَد بإيجاز شديد ، أو في عبارة وصفية مركزة .

● السادسة : نسب المخطوط ، ونعني به النسخ الأخرى الموجودة من المخطوط في مكنتبات أخرى وكذلك الطبعات المنشورة من المخطوط ، وأهم الإجازات والساعات المسجلة في المخطوط .

● السابعة : هي فقرة المتابعات Tracings ، ونعني بها المداخل الأخرى أو البطاقات الإضافية للمخطوط ، ولتبدأ كما هو الحال في المطبوعات ، بمتابعة الموضوع ، ثم متابعة العنوان (أو العناوين) ، ثم متابعة الناسخ .

ويمكن أن تكون مساحة البطاقة أكبر من مساحة البطاقة المقننة دولياً للمطبوعات (٥×٣) بوصة (١٢,٥×٧,٥ سم) ، يمكن أن تكون (٧×٥) بوصة (١٧,٥×١٢,٥ سم) ، على أن تكل البيانات على بطاقة ثانية إذا لم تكف واحدة . ويجرم بتأتا الكتابة على ظهر البطاقة منعاً لفوضى استخدام الفهرس .

الإعداد المهني لأمناء المخطوطات

من المتفق عليه أن الإعداد المهني لأمناء الكتب المطبوعة أيسر بكثير من الإعداد المهني لأمناء المخطوطات . وعلى سبيل المثال فإن فهرسة الكتاب المطبوع بواسطة أمين مكتبة متمرس قد لا يستغرق أكثر من خمس عشرة دقيقة ، بينما فهرسة المخطوط الواحد قد تستغرق أسبوعاً وأحياناً شهراً كاملاً . كذلك يلاحظ أن جهات كثيرة



صفة المخطوط - المادة :	الخط :	العدد :
القطع :	المسطرة :	عدد الأوراق :
التذهيب :		
التجليد :		
دراسة محتويات المخطوط :		
نسب المخطوط (النسخ الأخرى / الطبعات المنشورة / الإجازات والساعات الخ .)		
المفهرس :	المراجع :	

علي بأنواع الهموم ليبتلي
بصبح وما الاصبح منك بأمثل

(من معلقة امرؤ القيس الكندي عام ٨٠ ق . هـ)

وليل كموج البحر أرخى سدوله
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي

للاكتئاب ، مع الإنسان ، تاريخ طويل ، وقصة حزينة كاسمه ، لولا أنها مشرقة في نهايتها . عانى الإنسان
منه زمانه ، تاركاً في تاريخه أثراً متجدداً .. تناقلته الأساطير والروايات ، وسجلته المعابد والأديرة .. وقرأنا
عنه في تراجمديات وملاحم الإغريق ثم الرومان . ولم يسلم منه العرب قبل وبعد إسلامهم .
عزاه الطبيب الأول « أبوقراط » عام ٣٠٠ ق . م ، و « ابن سينا » عام ألف ميلادية ، إلى زيادة
العصارة السوداء في الكبد Melancholy . ووصفه د . ريتشارد بيرتون في القرن السابع عشر فأجاد
تفصيله على الصورة التي نعرفها الآن . ومع كل فلا يعرف الاكتئاب كالذين أصابهم ثم خرجوا منه سالمين .

الاكتئاب

أعراضه .. أنواعه .. علاجه

بقلم : د . عبد الرؤوف ثابت

ماهية الاكتئاب

فما هذا المرض الذي أصاب الإنسان في كل زمان ؟ . وما غايته
منا ، إذا سلمنا بأن للأمراض غاية قد تغيب عنا حكمة . إنه ، في
بساطة ، قصور في الاستجابة Unresponsiveness ، أو قصور في
الطاقة الحيوية Libido كما يسميها البعض . يقل تدفقها وقد تتوقف
Stuper ، ثم تعود في نهاية فترة المرض إلى سريانها الطبيعي — وكأنها
عادت تعمل — وأحياناً أكثر تدفقاً . واستمع معي إلى شكوى أحد
المرضى ، وهم غالباً من الأذكاء :

« عندما أصابني الاكتئاب ، فقدت الأشياء لمعانها وكأنما كستها
ظلال . ثم فقدت الحياة مذاقها حتى أصبحت بلا طعم أو معنى . أهملت
واجباتي بعدما أصبح أقل فكر أو مجهود عبثاً ثقيلاً . وفقدت نفسي
عمقها ، فأصبح الناس كالصور الباهتة تتحرك أمامي وتضايقني . حتى

تمنيت لو أكون وحدي وأترك وشأني . فلما رحل عني أقبلت على الدنيا ،
كأنني ولدت من جديد .. على أن للاكتئاب بعد أن زال عني حنين
يصعب وصفه . كأنه الذي قاسيت منه فلما انقضى حننت إليه » .
في هذا المعنى الأخير الذي ذكره المريض الذكي كتبت إحدى
الكاتبات كتاباً مشهوراً بعنوان « مرحباً بالاكتئاب » .

أعراض الاكتئاب

ومن صفات مرض الاكتئاب أو أعراضه التي تأتي على السنة
مرضاه ، الهبوط ، الكآبة ، الاظلام ، الفراغ الداخلي ،
الاشياء ، القنوط ، العزلة ، الوحشة ، وفي الحالات القصوى ،
السكون واللوعة والندم * ، وبما يصفه ذوو المرضى عنهم ،
الحزن ، العبوس ، العزوف ، الخمول ، الوجوم ، اللامبالاة ،
وأخيراً السكون والتوقف .

وقد يضعف تفكير المريض فيعتقد أن ماضيه كان مليئاً بالأخطاء أو المعاصي أو الفشل وقد يتوهم أن مستقبله والذين يعولهم في كف القدر، ويعظم الاكتئاب مع الفجر والصباح ويتحسن نسبياً في المساء .
شقاء كهذا لا تحدته الظروف مهما كانت المسببات . ولا يعرف للاكتئاب سبب جوهري . فهو يجيء ويذهب بلا مقدمات أو انذارات . وهو يصيب ، أكثر ما يصيب الإنسان في أواسط العمر ، أو في سن متقدمة قليلاً ، وما يسمونه بسن اليأس ! وهو يكثر في بعض الشعوب عنها في شعوب أخرى ، وقد يكون لنوع الحياة التي يمحوها أو الجو الذي يعيشون فيه دخل في هذا . ويكثر الاكتئاب بين الطبقات العليا والمتوسطة في المجتمع وبين المهنيين أكثر من ذوي الحرف ، وبين أهل المدن الكبيرة عنهم في المدن الصغيرة والقرى . وللوراثة دخل كبير في حدوثه قد تصل إلى ثمانين في المئة .

والاكتئابيون ، في غالبيتهم ، أناس سميت نفوسهم وعلت هماتهم وعظم مقصدهم . حياتهم مليئة بالنجاح ، أو العلو والانخفاض . وقد يكون الاكتئاب بالنسبة لهم « تجميد » مؤقت Hypnations لطاقتهم وقدراتهم الممتازة حتى لا تتعرض للخطأ أو الفشل أو الضياع . ونادراً ما يكون في الاكتئاب نهاية لحياتهم . فإذا قدرنا أن النفوس معادن ، فللاكتئابيون نفوس نبيلة وثمينة .

أنواع الاكتئاب

ولمرض الاكتئاب أنواع ، الحقيقي endogenous وهو ما شرحناه حتى الآن ، وهو الوحيد الذي يصح أن نسميه بالاكتئاب . والثانوي reactive ويحدث عقب الخسائر والكوارث . ويختلف عن النوع الحقيقي بأنه يتحسن بزوال المؤثر أو الانشغال عنه ، وبالتعويض أو الانقاع أو الصحة الحسنة . وتزيد شدته إذا قرب المساء ويكون المريض أرواح بالا في الصباح ، ولا يفقد المريض استجاباته ولا يهمل واقعه والمهم من أموره إلا قليلاً بحيث لا يضره .

ونوع آخر من الاكتئاب يصيب الشباب . ويشكون من هذه الحياة وما غايتها ؟ وماذا بعد الشهادة الجامعية والعالم مليء بالشهادات ؟ وهل جعلت لهذا العمل ؟ وهل أنا على الطريق الصواب ؟ وهذه الحالات هي في الواقع نوع من التوقف الوجودي (غير الملحد) existential black وليست اكتئاباً حقيقياً . لكنها ، مع الأسف ، تتسبب في رسوب عدد لا بأس به من الشباب . وأنصح الشباب في هذه الحالة بأخذ اجازة طويلة من الجامعة يقضوها في مجال آخر يختارونه ويكون عملياً . وعادة يعود الشاب بعد الاجازة إلى كليته وقد استعاد نشاطه وميله إلى مواصلة الدراسة .

ويوجد نوع من الاكتئاب يعرف بالاكتئاب العصبي neurotic ، غالباً ما يأتي في صورة أوجاع أو شكاوى عضوية تحير المريض وطيبه العام . ومرضاه لا يشكون من أعراض نفسية ، وإنما

ومع أن الاكتئاب يصنف ضمن أمراض العاطفة affect ، إلا أنه ليس حزناً — ولا هو شدة الحزن — الذي قد يصاحبه . فالحزن ، مثل الفرح والخوف والغضب ، عاطفة عامة وطبيعية لا تخلو منها إنسان في وقت ما . وأوضح مثال للحزن وما يصاحبه من تفاعلات جسمية هو ما نشعر به عندما نفقد عزيز لدينا ، عند سماع الخبر ، يشعر « المصاب » بخدر عام كأنما الدنيا فرغت من حوله . . ويحس بانقباض في بطنه أو صدره ، ويحجف حلقه . . ويخيل إليه أنه في حلم مزعج وأن شيئاً منه يرفض تصديق الخبر . لكنه ، مع ذلك ، يسأل عن « الترتيبات » ويسأل غيره عن من يستحقون عطفاً أكثر منه كالأم أو الأطفال . فإذا خلا لنفسه ، عاش في لوعة من التفكير فيمن رحل حتى تؤرقه ذكراه . ثم لا يلبث أن يعود بعد فترة مراسم الحداد إلى شؤون دنياه ويعاوده بالتدرج اهتمامه بعمله . وشيئاً فشيئاً تعمل العمليات العقلية اللاشعورية ،

كالتعويض والاحلال ، عملها حتى غملاً الفراغ الذي تركه الفقيد في نفسه . . يذكره قليلاً ، فدون القليل ، فنادرًا ، ولا يمر شهر أو شهران على الأكثر حتى يكون قد أسدل على الفقيد ستار من النسيان .
مثل الحزن في هذا كمثل « الجرح » الذي يلتئم مهما كان عمقه ، وقد يترك أثراً لفترة ما ، وقد لا يمحى أثره ، لكنه على كل حال ، أثر . ومن المعروف أنه كلما حسنت العلاقة في الحياة بين الحي والراحل ، قصرت فترة الحداد . أما إذا شابها الشائبات والعقد بينها فقد يطيل الشعور بالذنب أو الندم فيما بعد من مدتها ، وقد لا ينقشع الحزن إلا بعد مدة طويلة ، لكنها لا تعدو عامين في أغلب الأحيان ، أو تتعقد الأمور على النحو التالي :

فقدت إحدى الشابات زوجها فجأة على أثر مرض لم يمهل أيام . وترك لها طفلاً في السادسة من عمره . حزنّت الزوجة على فقيدتها طويلاً . وبعد عامين من موت زوجها مات الطفل وحيداً فجأة في حادث سيارة ، فامتد بها الحزن سنتين أخريين . لم يبق لها أحد في هذه الدنيا إلا أهلها الذين ، فيما يبدو ، برموها وصرمت بهم ولكل شأنه ومشاغله . وفي النهاية لجأوا إلى الطبيب النفسي على أنها حالة من الاكتئاب المزمن ، ولم يكن الأمر كذلك . كانت حزينّة على نفسها وتتطلع ، لا شعورياً ثم شعورياً فيما بعد ، إلى من يحمل محل الراحلين .

أما مرض الاكتئاب ، أو الهبوط كما يسميه الغربيون Depression ، فهو شيء آخر غير الحزن . وقوامه فقدان الاستجابة كما أسلفنا . كالألة حيناً تبطئ ، أو حتى ، تتوقف . وليس في الإمكان تقريب الاكتئاب إلى الأذهان بغير هذا التشبيه إذا التزمنا الدقة . والكثير مما يعرف عن هذا المرض إنما هو في الواقع من نوع المضاعفات التي تصاحبه ، كالخوف والبكاء والخوف أو القلق — وليس المرض ذاته — وما يشكو منه المريض ، أو على الأصح ذوه ، من فقدان الشهوات كالأكل والنوم والجنس والأمان ، وهي التي تلجئ بالمريض ، أو أهله ، إلى طلب العلاج .

يشكون مما يعانونه من أوجاع جسمية كالصداع والروماتيزم العضلي، وآلام أسفل الظهر أو الصدر والذراع الأيسر خاصة عند السيدات أكثر من الرجال، ولا ننسى أمراض البرد والانفلونزا وتفسير حدوث هذا النوع من الاكتئاب على هذه الصورة لا يخلو من الطرافة، إذا كان في المرض طرافة. إذ يبدو أن كثيراً من الناس قد سمعوا عن «التلكس» أو «الفيسديو» ولم يسمعوا عن الطبيب النفسي.

والنفس، لمن لا يعرفها، هي مجموعة الأداء الفكري والعاطفي. قليلون من يعرفون هذا وكثيرون من يعرفون، خطأ، أنه إذا اضطرب الفكر فهو المرض العقلي، وإذا اضطرب الأداء فهذا هو الضعف وخاصة الجنسي أو الروماتيزم العضلي أو المفصلي أو الأعصاب. أما العاطفة، وهي في الغالب ما يعبر عنها العامة بالنفس، وقد تكون العين أو العمل «وقى الأرض شر مقاديره»، فأمرها متروك «لقلوب في البريد» أو «أسألوني». وليس للأطباء صنعة فيها. خاصة ما يدعون بالنفسيين في هذه الأيام، لهذا اعتاد الناس على الذهاب إلى الأطباء «العموميين» شاكين لهم من البطن (وهم يقصدون القلب) أو نقص الفيتامينات، أو الاجهاد، أو الروماتيزم. وثمة عامل آخر هو النوم إنه من طبيعة الإنسان الخجل من اظهار عاطفة الحزن حتى لا يوصف بالضعف أو المهانة. لهذا يكبت الناس عاطفتهم ما وسعهم حتى تظهر في شكل أمراض جسمية وما يدعى «بلغة الأجسام» organ language حتى يكون في ذلك تعويضاً لهم ومبرراً للذهاب إلى الطبيب. ولكن مع الأسف لا يسأل الطبيب العام عن عواطفهم ويصف لهم الفحوصات الكثيرة ثم الدواء الذي عادة لا ينفع.

ولا يخلو حديث عن الاكتئاب دون التعرض لموضوع الانتحار. وهنا أعود فألفت نظر القارئ إلى أن موضوعنا هذا عن الاكتئاب الحقيقي الذي يشكل أقل من ١٪ من المجموعة التي ذكرناها قبلاً عن الأنواع، والصحيح أن العلاقة بين النوع الحقيقي من الاكتئاب والانتحار علاقة مباشرة ولكن نسبته بينها ضعيفة جداً إذ لا تعدو نسبة الانتحار في أكثر الشعوب تعرضاً له عن ثلاثة ونصف من العشرة في المئة ألف. ونسبته في عالمنا العربي ضئيلة جداً (لا توجد إحصائيات دقيقة وإنما مجرد معلومات من الجهات المعنية).

ومما يزيد من حوادث الانتحار وجود أمراض وعوامل أخرى غير الاكتئاب كالقصام والسلوك المنحرف. والعفوية وجلب الانتباه. ويقبل نوعان من الناس على الانتحار، جاد وغير جاد وبالتالي يكون حدوث الانتحار محققاً أو محتملاً.

وهناك حالات (اصطناع) الانتحار التي قد تؤدي مع الأسف إلى ما لا يحمد عقباه، وضحايا النوع الجاد المحقق غالباً من الرجال في أواسط العمر ولهم مكانتهم الاجتماعية غير متزوجين لسبب من الأسباب غالباً ما يكون الترميل. يعيشون بمفردهم وقد يكونون مصابين بمرض عضال، ومنه الاكتئاب، أو فشل من نوع ما.

أما النوع الثاني غير المحقق، أو المحتمل فغالبيتهم من الشباب

والعاشقين والزوجات، الذين ينعمون عادة في رغد ذريهم وليسوا مصابين بأي مرض على الإطلاق، ويشكون من خيانة أو غدر أو عوزهم، لبطرهم، إلى المال. وليس من الصعب الكثير منع حدوث الانتحار خاصة المحقق، إذا فتحنا أعيننا عليه وعالجنا الاكتئاب أو المشاكل في حينها وقبل أن تطول أو تستفحل.

علاج الاكتئاب

يعالج الاكتئاب بنجاح باستعمال العقاقير المضادة للاكتئاب كالتوفرانيل والتربتول أو الباريت أو الباراستالين. والاكتئاب الحقيقي يشفى تماماً على العلاج بالجلسات الكهربائية E.C.T. من أربع إلى ست جلسات في مدى أسبوعين أو ثلاثة. بالإضافة إلى علاج العقاقير أو بدونها أحياناً. ويمكن علاج المرضى بالكهرباء في العيادات الخارجية، وهو، على فائدته القصوى، علاج بسيط للغاية، ينال المريض على فراش في غرفة هادئة، ثم يعطى مخدراً لطيفاً في الوريد، يعقبه في نفس المحقن دواء لاسترخاء العضلات. ثم يمر الطبيب تياراً كهربائياً خفيفاً بين الصدغين أو على الجانب الأيمن من الرأس. وبعد خمس دقائق يفيق المريض ويذهب إلى بيته. ولا خطر أو ضرر من علاج الكهرباء على الإطلاق. وهذه ملاحظات إحدى المريضات بعد أخذها للعلاج.

«... بعد الجلسة الأولى عادت شهيتي للطعام وكانت نفسي قد عافت الشكولاته، ووجدتني أطلبها وأتذوقها. وبعد الجلسة الثالثة زاد نشاطي ونومي وتركنتي أفكاري الحزينة. وعاد إليّ حيي لزوجي وأولادي وبدأت أعتني بهم وأهم بشؤونهم».

ولا يقتصر علاج الأنواع الأخرى من الاكتئاب على العقاقير فقط، ولا مجال للعلاج بالكهرباء في هذه الأنواع، إذ يلزمه بالإضافة إلى العقاقير أو بدونها نوعاً خاصاً من العلاج النفسي. وعادة ما تتعقد حياة هؤلاء المرضى بسبب مرضهم أو أن مرضهم يحدث نتيجة تعقيدات وصعوبات في حياتهم. أو بسبب ظروف خارجة عن إرادتهم.

توفيت والدة أحد المرضى فحزن عليها حزناً شديداً. إذ فقد معها حناناً وتعاطفاً لم يجدهما عند زوجته أصلاً. وطال به الحزن على والدته حتى ضاقت زوجته به وطلبت منه أن ينفصلا لمدة طويلة. ثم شاء أن يغير عمله الذي أضجره. ومن المدينة الأخرى التي عمل وعاش فيها وحيداً، أرسل خطاباً إلى زوجته يطلقها فيه ويعفيها من ارتباطها. وأخيراً هداه حزنه المضاعف إلى الطبيب النفسي.

يلجأ كثير من المرضى إلى التداوي بأنفسهم ويطلقون شتى، أو بعد مشورة من صديق أو قراءة إعلان في الصحف، ومنهم من يقبل على تناول العقاقير اللطيفة والمنبهات وخاصة الامفيتامينات. ومنهم من يلجأ إلى الأدعياء ومستحضري الأرواح ومنهم من يقيم علاقة أو زواج بمن لا تليق به، أو يبعثر أمواله فيما لا ينفع أو يقامر بعمله أو مستقبله. أرسل إليّ أحد الأصدقاء بطاقة بريد من أوروبا كتب عليها العبارة التالية «بكل تداوينا...» لقد كان مكتئباً.

ميتسوبيشي اليكترونيك

اسم يستحق ثقتكم في مجال التبريد

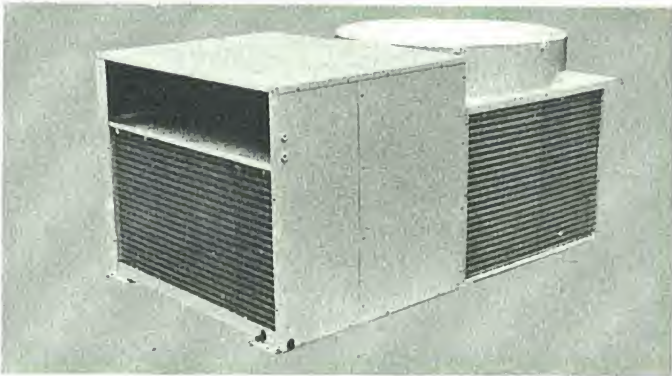


وبجانب وحدات الشبابيك المألوفة

نحن نقدم مجموعة من :-

الأجهزة الصامتة ذات القطعين وأجهزة التكيف المركزي

وكلاهما تمتاز بكفاءة عالية - أسعار منافسة - خدمة تامة وضمان شامل



للمعلومات إتصلوا ب: وكالة ميتسوبيشي اليكترونيك

الشركة السعودية للإلكترونيات

الرياض : ت ٣٩١٩٢ - ص.ب ٦٢١٤ عمارة الرصيص الجنوبية - شارع الملك فيصل

جدة : ت ٢٦٨٥٨ - ص.ب ٦٥٩٢ عمارة البنك الأهلي - طريق مكة - كيبو (١)

الدمام : ت ٢٨٣٤٤ - ص.ب ٢٨٤٠ الشارع ١٥ من الشارع العام - خلف سوق السكة



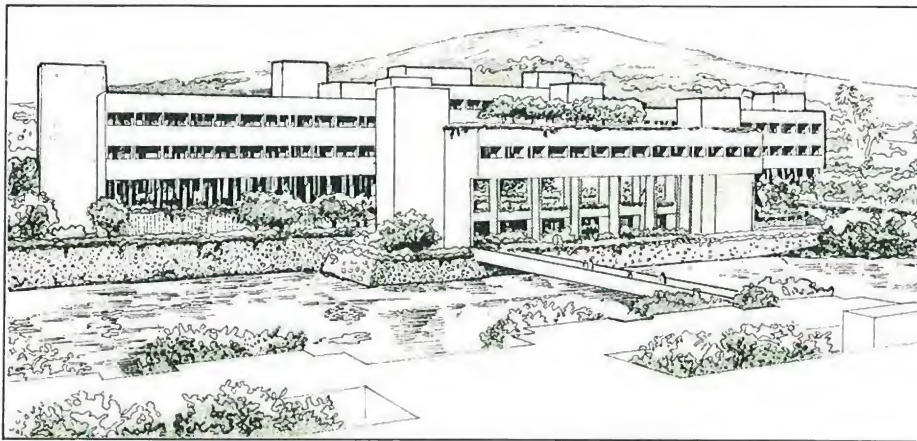
العمل لمواطن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسرني أن أعرض على أنظاركم أن جمعية البر بالجنوب قد قررت أن ننشئ مستشفى في مدينة أبها يتسع لما يقرب من (٢٠٠) سرير وبه سكن للعاملين يتسع لستائة (٢٠٠) شخص من الأطباء والمرضى والممرضات وملحق به فندق صغير لأجاء المستشفى وسيكون العلاج فيه مجانياً للفقراء وبرسوم للأغنياء والقادرين. وتقدر تكاليف هذا المستشفى بأكثر من خمسمائة ٥٠٠ مليون ريال جُمع منها حتى الآن خمسون (٥٠) مليون بالإضافة إلى الأرض وسيطلق على المشروع (مركز أبها الصحي). وجمعية إذ تعرض هذا الأمر على أنظاركم فإنها لا تستغني عن دعمكم ومساعدتكم له، مما يجود به كرمكم وروحكم الإسلامية النبيلة مساعدين جمعيتنا لتكون يداً واحدة في خدمة بلدنا ومواطنينا في سبيل رفعة وتقدمه وتخفيف الآلام عن الذين يقاسون من أبناء أمتنا ..

والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .. وفقكم الله ولهداكم إلى طريق الخير وفي انتظار ردكم .. تقبلوا أطيب تحياتي .. رئيس جمعية البر بالجنوب

خالد الفيصل بن جبر العنبر



سيشمل مركز أبها الصحي على مايلي:

- ٢٠٠ سرير للعناية بالحالات المرضية الحادة
- ٥٠ وحدة منه نوع موبيل MOTEL
- لجانته المعالجة والعناية طويلة الأمد
- مبنى خدمات
- مركز للبيج
- وحدات سكنية للعاملين في المركز الصحي
- مرافق عامة لتأدية خدمات مختلفة مثل
- معالجة المياه وتخزينها .. الخ

مشروع مركز أبها الصحي



الاعتبار عند تخطيط المستشفى، التخطيط لتوسيعها في المستقبل .

قسم الموبيلات MOTELS للمعالجة طويلة الأمد .
لقد أنشئ لهذا القسم فترمة عرضين رئيسيين أولهما تقديم السكن المناسب للعاملين لمبنى أو لأحد صغارهم صمد لأيتطون تلك المنطقة بل يعيشون في مناطق بعيدة عن المستشفى مما يترتب عليهم السفر كما أرادوا زيارتهم مريضهم . ولربما الفرض فقد خصصت ٢٥ وحدة سكنية . لهذا وربما نضع بعض أفراد العائلة الزائرة أن يقيموا في غرف المستشفى مثل قسم الأطفال والغرض الثاني من إنشاء هذا القسم هو تقديم السكن المناسب للمرضى الذين انتهت معاملتهم في أقسام المستشفى المختلفة ولكنهم لا يزالون يحتاجون للعناية والملاحظة بالقرب من المستشفى وعندما يتوفر أفراد عائلة المريض وهو في هذه الأقسام ، أن يكونوا بالقرب من مريضهم فيستطيعون له العون والمساعدة لكي يشعروا بالراحات النفسية وأغنيها مما يطلبه الأطباء والممرضون على المعالجة . ولقد خصصت ٢٥ وحدة سكنية أخرى لهذا الغرض ..
مركز البيج ، يقدم لهذا المركز خدمات وقسميلات لجس زوايا المركز وموظفهم ومرضاة ويشمل على محل بيع الهدايا وزاوية مخصصة لتناول الفيتون والمطبخ . ورغم أن هذا المركز لا يقع ضمن بنا والمستشفى كما لا يقع ضمنه بنا والموبيلات إلا أنه قريب منها وقد تناول النزيل ، والزوار ومهمها .
الموظفين والعاملين بالمركز ، تشير الدراسة الأولية أن العاملية في مستشفى أبها مريضون كما يلي :
• الأطباء والعاملون والإدراة العليا وعددهم ٧٠ - الفسيون والممرضات وعددهم ٢٠٠
موظفو الصيانة والفرمات العامة وعددهم ١٥٠ - كتبة ١٨٠ - مجموع = ٦٠٠ وسيتبع المساحة الإجمالية لبنى المستشفى دون الماء الخاصة بسكنى الأطباء ، والموظفين (١١٨٢٥) م سبعة عشر ألفاً وثمانمائة وثمانية وأربعون متراً مربعاً .

إن مركز أبها الصحي بفضل ما سيشمل عليه من منشآت ومرافق ، وبإدارة العالمية المتقنة صحتهم ، سيتمكن من تقديم العناية الصحية على نطاق واسع لساكن تلك المنطقة ، وسيقدم المركز جميع خدمات الإسعاف في حالات الطوارئ ، وكذلك خدمات التحريض الدافئ والعناية بالحالات ذات المعالجة طويلة الأمد . بالإضافة إلى مساهمة لا تفتقر ومؤثرة لعائلات المرضى

سيتمكنه مستشفى مركز أبها الصحي من استقبال حالات الإسعاف والطوارئ وذلك لما يقارب ٣٠٠ حالة إسعاف ، هذا وسيكون المستشفى أهمية خاصة لمبنى الحالات الراحية . وستوزع الأشرطة في المستشفى على النحو التالي :

- ١٥٠ سريراً للمعالجة الطبية / الجراحية / أمراض النساء .
- ١٢ سريراً لحالات العناية المشددة / أمراض القلب .
- ٢٤ سريراً لحالات التوليد .
- ٢٠ سريراً لأمراض الأطفال .
- ٢٠٠ المجموع .

بالإضافة إلى ما سبق ها فتمت للفتح حديثي الولادة . بالإضافة إلى وحدات العناية بالمرضى فإن خدمات المستشفى سوف تشمل برامج متنوعة للتعليم الصحي مثل : التشريب الصحي المساعد ، تدريب الممرضات للعناية السريعة ، برامج تنقيية للعاملية بالمستشفى ، برامج تنقيية لعموم المقربين بالمستشفى ، وهناك البرامج سوف تساعد في المحافظة على مرافق العاملية في المستشفى من تحسن وإدراك الأفرامه فتقام في المستشفى قاعة اجتماعات تتسع لـ ٦٥ مقعداً وقاعة أخرى أصغر منها وكذلك غرف للمرضى والعائلات والمناقشات .. لهذا وقد أخذ بعين

البريق العبد

شعر: طاهر زمخشري

فأغرق في السنا لجج الدجون
صدى الإنشاد بالنغم الحنون
على رغم التجافي والظنون
فحرك في الحشا نار الشجون
له الإحساس غرد بالخنين

★ ★ ★

فباح القرب بالسُر الدفين
وأخرس بالرضا رجوع الأنين
يصفق بالبشاشة والفتون
ليخلص من جواه المستكين
وطافت بالرؤى عبر السكون
يعيد نشيده همس الجنون

★ ★ ★

وآلامي بلجته سفيني
ومجدافي نكسر في يميني
وقد جرفت زوابعه سنيني
إلى لقيا أبر بها يقيني

أهل الحسن وضأح الجبين
وغرّد صوت فرحتنا فأسرى
ليعرب عن صفاء الود فينا
وفي الأعماق قد جاش التبع
وأبرد حرّ لاهبها لقاء

وكان البعد يلذع باشتياق
وضمّد في الخنايا كل جرح
وعاد لنا ربيع الحرف نضراً
يناعم بالشذا قلب المعنى
وأطيف المسرة قد تهادت
وناعت كل جارحة بلحن

وكنّت أهم في بحر التصابي
وفي الأنباج أشرعتي تهاوت
وإعصار المهموم بضج حولي
وإني قد عبرت جسور صبري



لقد أثقن علم الفلك الحديث فهم النظام الشمسي اتقاناً رائعاً . وكيف لا يفهم هذا النظام وهو الذي نعيش فيه . ومع تطور التقنية واختراع الآلات الدقيقة ، أصبح بعد جهد طويل ودراسات متواصلة على معرفة بعدد الكواكب التي تدور حول الشمس وأبعادها وحجومها وأقارها وكيفية دورانها ، وقياساته الدقيقة وآلاته التي لا تخطئ بحيث أعطته فكرة قريبة من الحقيقة . فأصبح يعرف أبعادها إلى أقرب كيلومتر ، ويقس مواقعها في السماء ، لا يكتفي بالدرجة ولا بالدقيقة بل بالثانية وأجزاء الثانية .

السائران عكسياً

(شكل ٢)

★ نسبة حجم الشمس إلى حجوم الكواكب ونسبة حجوم الكواكب بعضها إلى بعض مع ظهور الألفاء التي تدور حول كل كوكب ★

بلوتو

نبتون

أورانوس

زحل

المشتري

المريخ

الأرض

الزهرة

عطارد

الشمس

يقام : د . عبد الرحيم حيدر

كان كل شيء يبدو أمام عينيه كأنه ظاهرة طبيعية ، وكل ما بدا شاذاً استطاع أن يجد له تفسيراً معقولاً .

كانت الزهرة التي عبدها الإغريق على أنها إلهة الحب والجمال ، وعبدها العرب في الجاهلية وأطلقوا عليها اسم « العزى » هي الكوكب الوحيد الذي لم يعرفوا مدّة دورانه حول نفسه ولا اتجاه دورانه . على أية حال ، فقد افترضوا أنه مثله مثل غيره من الكواكب .

وهذه الدقة التي يسير بها النظام الشمسي سائرة كأى ظاهرة طبيعية أخرى بتدبير الخالق سبحانه وتعالى .

وفي سنة ١٩٦٢ م ، ١٣٨٢ هـ ، اكتشف العلماء أن هذه الإلهة الكاذبة التي خدعت الإغريق والجاهلية ، قد خدعت علماء الفلك أيضاً . وجدوا أنها تحت مظهرها البراق اللامع تخفي حقيقة لم يكونوا يتوقعونها ... حقيقة بسيطة .. وهي أنها تدور حول نفسها في عكس

الاتجاه الذي تدور فيه الكواكب الأخرى ، بحيث جعلت كل النظريات القائمة لتفسير نشوء النظام الشمسي تنهار دفعة واحدة /... ليس ذلك فقط ، بل لم يعد هناك مجال لقيام نظرية عقلانية جديدة تستطيع أن تفسر النظام الشمسي .

عودة إلى النظام الشمسي

سبق أن قلنا إن الشمس في مركز النظام الشمسي ، تدور حولها كواكب تسعة في مدارات محددة معينة . ويبدو أننا الآن بحاجة إلى التوسع قليلاً .

الواقع أن هذه الكواكب تدور كلها حول الشمس في نفس الاتجاه . ولو اتيج لنا أن نلقي نظرة من مكان أعلى من النظام الشمسي كله ، لرأينا أن الكواكب كلها تدور حول الشمس في اتجاه هو عكس اتجاه عقارب الساعة (كما في الشكل رقم ١) .

وسنرى أن مدارات هذه الكواكب على مستوى واحد تقريباً ، اللهم إلا مدار الكوكب التاسع البعيد جداً - بلوتو - فإنه ينحرف انحرافاً ملحوظاً عن المستوى .

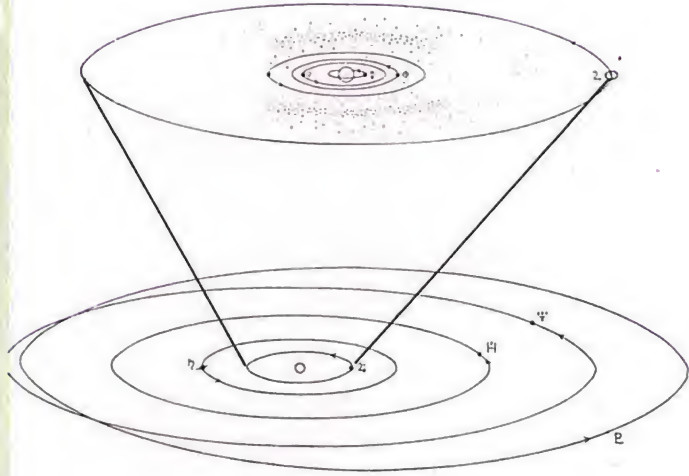
ومعظم هذه الكواكب لها أقمار تدور حولها ، أي أن كل قمر يدور حول كوكبه . ونحن نعرف مثلاً أن للأرض قمراً واحداً ، هو الذي يتغنى به الشعراء والأدباء ، ومن دورته حول الأرض يعطينا الشهر القمري . ومعظم الكواكب لها أكثر من قمر واحد . وسنجد أن معظم هذه الأقمار ، وليس كلها ، تدور حول كواكبها في الاتجاه نفسه ، وتدور حول نفسها في الاتجاه نفسه أيضاً .

أحجام الكواكب

عندما نحاول أن ننظر إلى أحجام الكواكب نجد اختلافاً ظاهراً بينها . سنجد أن الكواكب الأربعة القريبة من الشمس - عطارد والزهرة والأرض والمريخ - صغيرة الحجم إذا ما قيست بالكواكب الأبعد . وليس ذلك فقط ، بل إن تكوين أجسام هذه الكواكب القريبة يختلف أيضاً . فهي تتكون في الأساس من مواد صلبة مثل التراب والصخور والمعادن ، وقد يحيط بها غلاف رقيق السمك من جو غازي . ونظراً لتكوينها هذا ، يطلق عليها اسم الكواكب الترابية .

أما الكواكب البعيدة عن الشمس - المشتري وزحل وأورانوس ونبتون - فهي ضخمة جداً ، وتتكون أجسامها في الأساس من غازات وأبخرة . ويطلق عليها اسم الكواكب الغازية لهذا السبب .

ويرى القارئ أننا لم نذكر أقصى الكواكب وهو بلوتو ، وذلك لأن المعلومات الأكيدة غير متوفرة عنه ، نظراً لبعده السحيق عنا وعن الشمس . ولكن يعتقد أنه أصغر من الأرض حجماً بقليل ، وأن جسمه ترابي . (الشكل ٢ - حجم الكواكب) .



(شكل ١)

★ الشمس هي الكرة الصغيرة الموجودة وسط النظام والخطوط الاهليلجية حولها مدارات الكواكب الطرفية . الرموز المكتوبة هي الرموز التي يعطيها الفلكيون لكل كوكب ★

أبعاد الكواكب عن الشمس

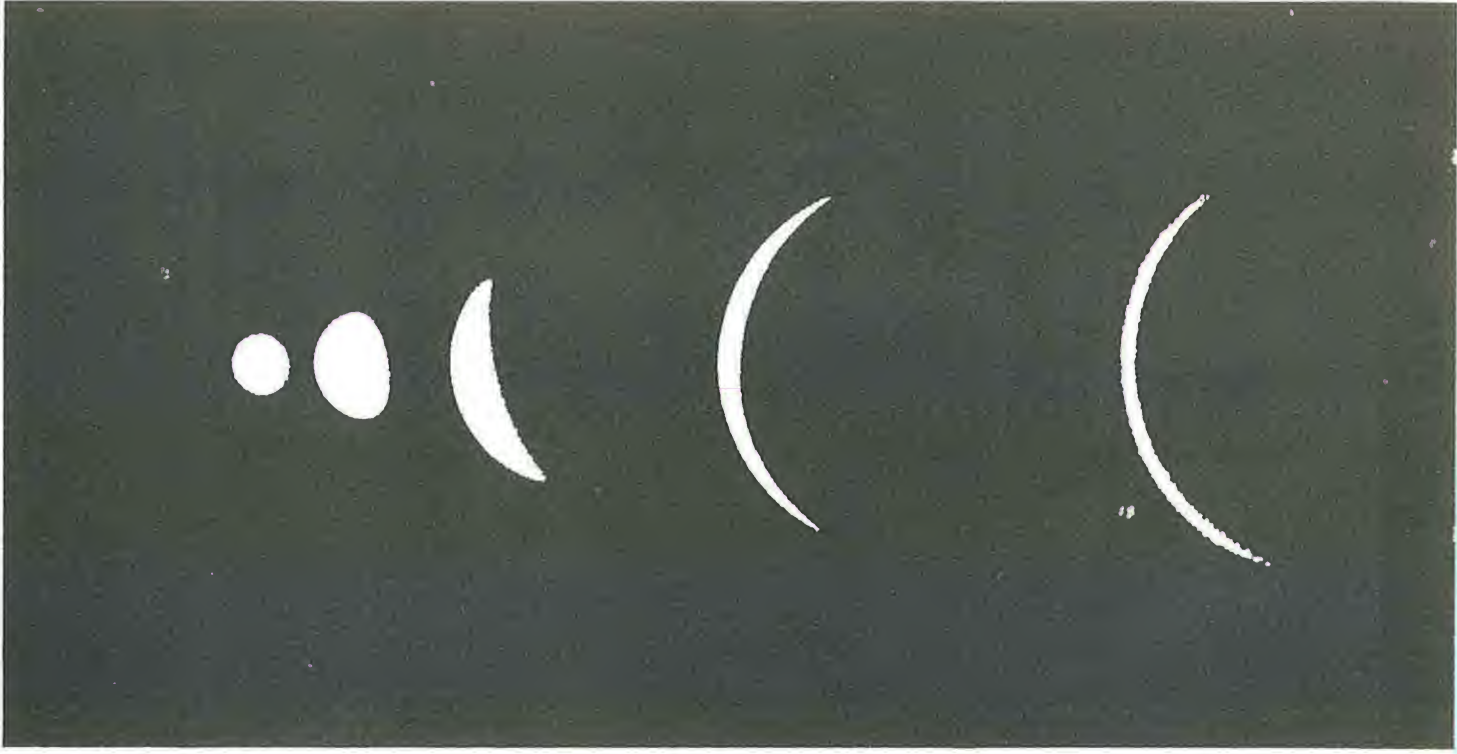
إن الكواكب حين تسير حول الشمس في اتجاه واحد ، يتخذ كل كوكب مداراً معيناً يسير فيه ، على بعد معروف من الشمس ، لا يغيره . وشكل هذا المدار ليس دائرياً تماماً ، وإنما هو مفلطح قليلاً ، أو كما يقولون في التعبير العلمي «اهليلجي» . ولا تتقاطع هذه المدارات مع بعضها البعض ، اللهم إلا إذا استثنينا مدار بلوتو ، هذا الكوكب البعيد الشاذ .

وأبعاد هذه الكواكب عن الشمس ليست أبعاداً عفوية ، وإنما تتخذ تناسقاً حسابياً هندسياً بحسب قانون اكتشفه عالم اسمه «بود» (بتضخيم الواو) ، فسمي بناء على ذلك «قانون بود» . ولكي نعرف هذا القانون ، نسمك بالرقم ٣ ، ونضاعف هذا الرقم في سلسلة . ويتتج لدينا ما يلي : ٠ ، ٣ ، ٦ ، ١٢ ، ٢٤ ، ٤٨ ، ٩٦ ، ١٩٢ ، ٣٨٤ ، ٧٦٨ ... الخ .

والآن نبدأ من الصفر ، نضعه في أول هذه السلسلة ، ونضيف إلى كل رقم فيها العدد ٤ . فنحصل على الأرقام التي تدلنا على نسبة أبعاد هذه الكواكب ...

٤ ، ٧ ، ١٠ ، ١٦ ، ٢٨ ، ٥٢ ، ١٠٠ ، ١٩٦ ، ٣٨٨ ، ٧٧٢ .

والواقع أن هذا الجدول حين وضعه بود في القرن الثامن عشر ميلادي كان ذا قيمة كبيرة . وقد اعتمد عليه العالم الذي اكتشف نبتون ، ووضع في حسابه وأخذ يفتش عن نبتون بناء عليه . لكنه عندما اكتشف نبتون ، وتأكد علماء الفلك منه ، وجدوا أنه لا يتمشى



(شكل ٣)

★ الزهرة تبدو لنا في وجوه مختلفة كما يبدو لنا القمر ★

الصورة . وهم في الواقع لم يكتشفوا القمر التاسع من أقمار زحل إلا سنة ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) ، ولم يكتشفوا القمر الثالث عشر للمشتري إلا قبل سنتين ، أما اكتشاف القمر الوحيد للكوكب بلوتو فقد تم في السنة الماضية فقط .

مهما يكن من أمر ، فإن الصورة النهائية الموجودة أمامنا كانت بحاجة إلى تفسير عقلائي ، كما هي عادة من يؤمنون بالعقل وحده .
إن هناك بعض الثغرات التي تشوّه بعض اللقطات في الصورة ...
وقد تكون الثغرة الأولى هي شذوذ قانون بود عند تطبيقه على الكوكبين البعيدين : نبتون وبلوتو . لكن قد يكون حدث شيء في النظام أخلّ بمجاذبيته ، فحاذ هذان الكوكبان عن المدار الذي كان مقرراً لهما ... إن هذه النقطة لا تحتاج إلى كثير من التفكير وانشغال البال . . . ويمكن أن نمرّ عليها مرور الكرام .
ولكن هناك نقطة أخرى ، قد تكون أقسى من هذه قليلاً .

قلنا إن معظم الكواكب لها أقمار تدور حولها . ومعظم هذه الأقمار تدور في نفس الاتجاه الذي تدور فيه الكواكب في مداراتها وفي نفس الاتجاه الذي تدور فيه الكواكب حول نفسها .
ولكننا نجد عدداً غير قليل من هذه الأقمار تدور حول كواكبها في اتجاه معاكس لا يتسجم مع الدورات التي نعهدها .

إن الكوكب أورانوس له أقمار خمسة ، كلّها تدور في اتجاه معاكس . ولكن الرد على هذه القضية بالذات أمر بسيط . فلإن زاوية الميل التي يميل فيها أورانوس عن مستوى مداره حول الشمس أكثر من زاوية قائمة ، فنحن إذن نراها من الناحية الأخرى ، وهذا تبدو أنها تسير

مع الجدول في قانون بود . فمن المفروض أن يكون عند الرقم ٣٨٨ ، ولكنهم وجدوه في الرقم ٣٠١ . حينئذ بدأ الشك في قانون بود . وزاد الطين بللاً حينما اكتشف الكوكب التاسع - بلوتو - بوجدوه يشذ شذوذاً كبيراً عن القانون ، وأصبح قانون بود مزعزجاً .
على أية حال ، فإننا إذا ألقينا نظرة على الجدول ، نرى أن هناك فجوة بين المريخ والمشتري فارغة لا يوجد فيها كوكب في موضع الرقم ٢٨ . وأخذ العلماء يبحثون ، فاکتشفوا أن هناك أجساماً صغيرة عديدة تدور في هذا النطاق ، أطلقوا عليها اسم « الكويكبات » . وقد وجدوا آلافاً منها ، أكبرها يبلغ قطره حوالي أربعائة ميل . من المنتظر أن تكون هذه الكويكبات بقايا كوكب تحوّل إلى فئات قبل أن يتكوّن ، أو تكون وتحوّل إلى فئات بعد ذلك لسبب لا نعلمه . على أية فرضية من الفرضيات ، فإن هذه الكويكبات تملأ الفراغ في قانون بود .
وإذا صرفنا النظر عن الحديث في الشهاب والنيازك - وهذه ذات كتل ضئيلة تافهة في هذا النظام - نكون قد أعطينا صورة شبه كاملة عن النظام الفلكي الذي نعيش فيه .

ثغرات صغيرة نستطيع تفسيرها

لقد أخذت البشرية حوالي أربعة قرون من الزمن (أي بعد كوبرنيكس) في دراسة النظام الشمسي ، حتى وصلت إلى الشكل الذي وصفناه فيه . وكان العلماء يسرون سيراً ويبدأ بخطوات مترنة في اكتشافاتهم هذه ، بحسب ما يستجدّ من أدوات حديثة تساعدهم في البحث . وكانوا يجمعون هذه الحقائق مع بعضها البعض لاكمال



(شكل ٦)

★ الخطوة الثانية من النظرية تشكيل حلقات معينة من التيارات التي كانت تدور حول المركز ★



(شكل ٥)

★ الخطوة الأولى من نظرية «كانت - لايبلاس» سديم لا يستطيع أن يحافظ على شكل متناسق ★

(شكل ٤)

★ أشباح غيوم غبارية أمام خلفية مضيئة منتشرة. هنا وهناك وبين النجوم في المجرات ★



في اتجاه معاكس . وهذا كلام منطقي معقول يجب أن نقبله .
لكننا عندما ننظر إلى المشتري نجد أن أقماره ثلاثة عشر قرراً . . تدور
حول الكوكب بالاتجاه المتوقع ما عدا الكواكب : الثامن والتاسع
والحادي عشر والثاني عشر . أي أن أربعة أقمار من أقماره تدور في اتجاه
معاكس .

أما زحل ، صاحب الأقمار التسعة ، فالقمر التاسع يدور دورة
عكسية وحده ، دون سائر الأقمار الأخرى . والكوكب نبتون ، صاحب
القمرين ، فإن الأول منها يدور في الاتجاه المعاكس ، أما الثاني فيمشي
على القاعدة .

لماذا تسير هذه الأقمار في عكس الاتجاه الذي نتوقعه
منها ؟

هناك رد يورده الفلكيون يحلّ هذه المعضلة . وهو أن هذه
الأقمار لم تكن في أصلها أقماراً لكواكبها ، وإنما هي أجسام كانت تسير في
الفضاء ، وربما تكون من الكويكبات ، ابتعدت بسبب عوامل الجاذبية
عن النطاق الذي كانت تسير فيه واقتربت من هذه الكواكب الضخمة
ذات الجاذبية الكبيرة ، فجذبتها هذه الكواكب إليها ، وجعلتها تدور
حولها .

وهذا تفسير فيه شيء كثير من المنطق . وليس لنا إلا أن نقبله ،
لأنه لا يوجد تفسير غيره .

وعلى الرغم من وجود هذه الثغرات البسيطة نسبياً ، فإن الصورة
جميلة تمشي مع العقل ، وفي استطاعتنا أن نفسر كلّ شيء فيها بناء على
خصائص المادة وصفاتها الطبيعية . ونحن نستطيع من الصورة الموجودة
أماننا أن نبحث كيف تطوّرت هذه المادة في النظام الشمسي إلى أن



(شكل ٨)

★ الخطوة الأخيرة من النظرية .. الشمس وقد انكست على نفسها جاذبة إليها كل ما هو قريب منها من الغاز وارتفعت حرارتها ★



(شكل ٧)

★ الكتلة الموجودة في المركز ترتفع حرارتها لتشكل الشمس في بدايتها لتبدأ بالإشعاع ولكنها أقل حرارة من الشمس التي نعرفها اليوم ★

في الصباح ، وهي نفسها نجمة المساء إذا كان موعد اشراقها في المساء . وإذا أصبحت عند القارئ رغبة في رؤيتها بعد هذا الحديث يستطيع أن يراها في الصباح الباكر ، قبل طلوع الشمس إذا نظر إلى الشرق . إنه سيراهما تنالاً فوق الأفق . ولن يخطئ في معرفتها . وكان متاحاً للقارئ حتى الشهر الحادي عشر (ذي القعدة) من السنة الماضية ١٣٩٩ هـ . أما بعد هذا التاريخ فإنها ستنتقل وتصبح نجمة مساء . وفي هذه السنة (١٤٠٠ هـ) يستطيع أن يراها بعد غروب الشمس في الناحية الغربية من السماء .

إن منظر الزهرة الجميل راجع في الحقيقة إلى أن جوها كثيف ملبد بالغيوم والأبخرة التي تعكس ضوء الشمس فتعطيها هذا الالاء الرائع . وجوها كثيف إلى درجة كبيرة ، تحرم الفلكيين من رؤية سطحها الترابي الموجود تحت الجو . ويعرف الفلكيون أنها كوكب ترابي من قياس وزنها ، باستعمال قوانين جاذبية نيوتن ، ويعرفون أيضاً أنها تدور حول الشمس في الاتجاه نفسه الذي تدور فيه الكواكب الأخرى . ويعرفون أيضاً نوع الغازات التي يتكوّن الجو منه باستعمال المحلل الطيفي ، ويعرفون درجة الحرارة فيها . أما أكثر من ذلك فلا يعرفون شيئاً .

فهم إذا سلطوا مراقبهم لا يرون سوى هذا البريق الخاطف الذي يصدر عنها ، وسيرون في المرقب أن شكلها مستدير إذا كانت في التقابل ، أو هلالاً إذا كانت مائلة . فهي تمرّ بدور الهلال والقمر الذي يمرّ فيه قمر الأرض .

ومع أن الزهرة أقرب كوكب إلينا ، إلا أن معلوماتنا الفلكية عنها هي أقل المعلومات . إننا لا نرى سطحها ولا نعرف الزمن الذي تدور

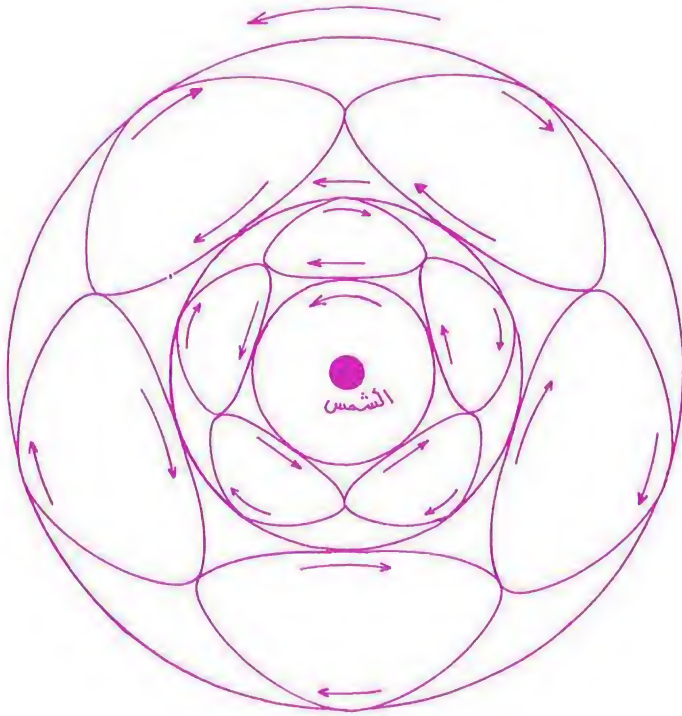
اتخذت شكلها الحاليّ الجميل . وبحسنا هذا سيكون قائماً على الناحية العقلية فقط ... وهي الناحية التي سارت عليها كل العلوم الأخرى منذ عصر النهضة الأوروبية . ولكننا قبل أن نتطرق إلى آراء العلماء في هذا الشأن ، علينا أن نلقي نظرة أخرى على الحب والجمال .

الزهرة

منذ أن بدأ الإنسان يرنو إلى السماء ويلاحظ ما فيه من أجرام ، عرف أن الشمس والقمر هما أشد تألّقاً وسطوعاً من غيرهما . وهذا لا جدل حوله ، فنحن نرى ذلك بأم أعيننا . ولكن الجرم الثالث الذي يليهما في التألّق والسطوع هو الزهرة .

فهي في أوقات تألقها تكاد تخطف الأبصار . وإذا نظر إليها الإنسان في ليل مظلم غاب فيه القمر ، فإنه يجد أنها ترمي له ظلاً على الأرض . إن هذا اللعنان والبريق هو الذي جعل أنظار الأقدمين تضيئ عليها نوعاً من القداسة ، قبل مجيء الأديان السماوية ، فسماها البابليون (عشتروت) ، وكانت عندهم تتقمص روح آلهة الحب والجمال . وسماها الإغريق (افروديت) ، وكانت عندهم إلهة الحب والجمال بنفسها ، ونقل التقديس عنهم الرومان وسموها (فينوس) إلهة الحب والجمال . أما العرب في الجاهلية فقد أطلقوا عليها اسم (العزى) (مؤنث الأعز) وكان لها صم خاص بها .

ولم يتركها الشعراء . فهي عندهم نجمة الصباح إذا كانت تشرق



(شكل ١٠)

★ النطاقات والحلقات في نظرية وايزاكر *

الرادار

بعد الحرب العالمية الثانية ، توسّعت نوعية الآلات التي يستخدمها علماء الفلك في أبحاثهم . أخذت المراصد ما تبقى من أجهزة لاسلكية وادارات من الحكومات التي لم تعد بحاجة لها ، ونشأ علم الفلك الراديوي ، وهو يرصد الأصوات اللاسلكية القادمة من الفضاء ، واستعمل الرادار لإرسال موجاته التي تنعكس عن الأجرام السماوية فتخبرنا عنها أشياء كثيرة لم نكن نعرفها .

وكان أن سلّط الرادار على الزهرة ، فهو الجهاز الوحيد الذي يستطيع أن يخبرنا عن سطحها المحتبئ تحت الجو الكثيف . وأصبحنا نعرف أن فيها سلاسل من جبال وأودية وسهول ... وعرفنا ارتفاع السلاسل الجبلية وكيفية امتدادها ... وأخذنا فكرة لا بأس بها عن تضاريسها .

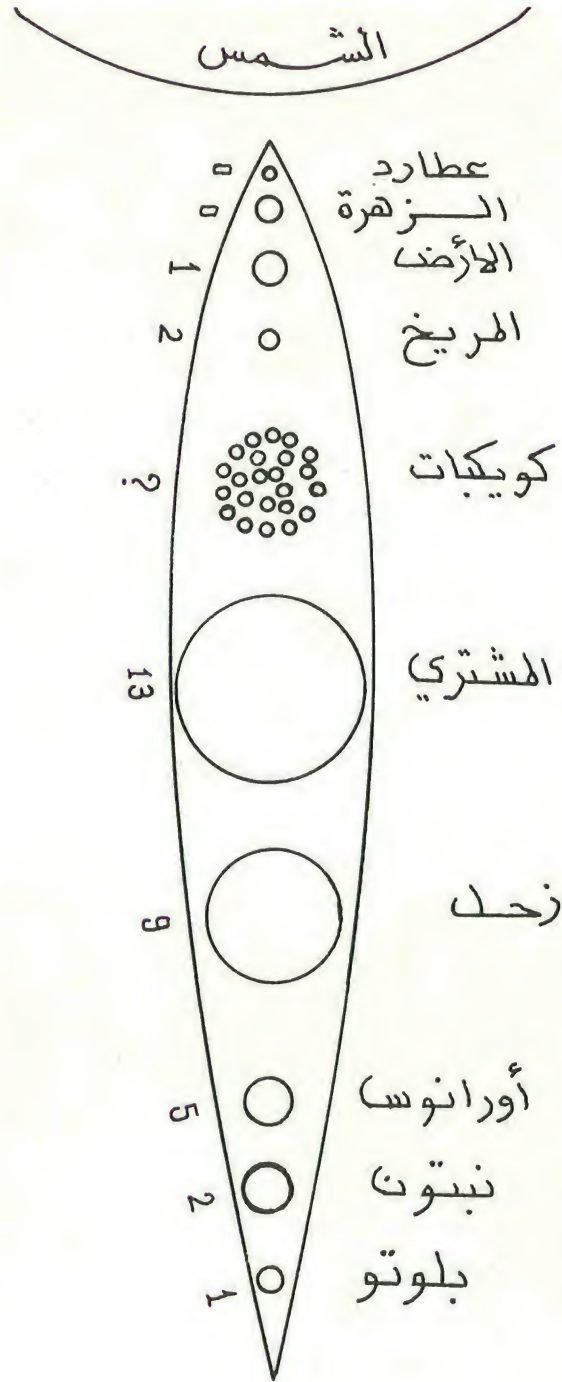
ولكن جاءتنا من الرادار أيضاً أخبار مزعجة للعلماء . مزعجة جداً .

ذلك أن الزهرة تدور حول نفسها ... لكن في اتجاه معاكس لكل الكواكب ...

كان هذا الاكتشاف سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) .

كيف نشأ النظام الشمسي

إن التفكير في الأسلوب الذي نشأ به النظام الشمسي ، كان قد بدأ



(شكل ٩)

★ نظرية جيمس جينز *

فيه حول نفسها . لكن الشيء الذي لم يتطرق إليه الشك في يوم من الأيام ، هو أنها يجب أن تدور حول نفسها في نفس الاتجاه الذي تدور فيه بقية الكواكب . ودورة الكوكب حول نفسه هي يوم ذلك الكوكب . فالأرض تدور حول نفسها في أربع وعشرين ساعة ، ولهذا نقول إن يوم الأرض أربع وعشرون ساعة . فما هو يوم الزهرة ؟ وقد صدرت تقديرات للعلماء فلكيين مختلفين عن مدة هذا اليوم ... ولكن ... (شكل ٣ - صورة الزهرة) .

ومع أن الذي وضع اللمسات الأخيرة على هذه النظرية هو عالم رياضي ، إلا أن فشلها رياضياً هو الذي قضى عليها في القرن العشرين . ولكنها كانت هي النظرية السائدة قبل ذلك .

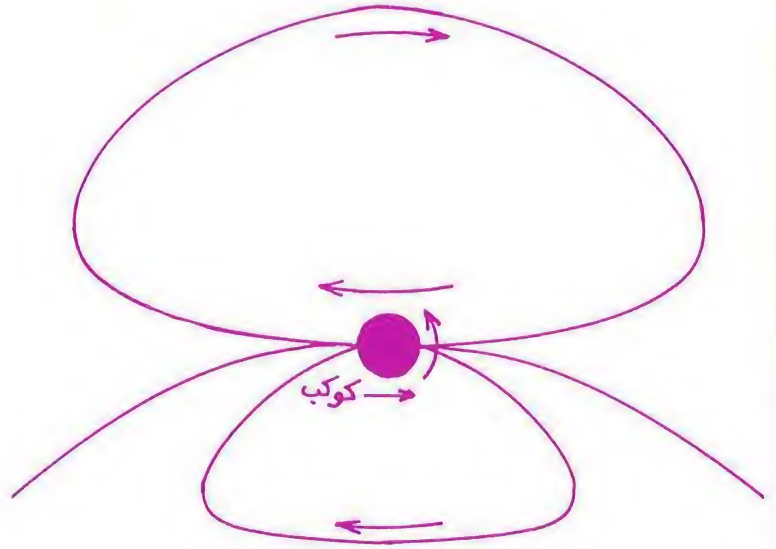
ومن النظريات الشهيرة في نشوء النظام الشمسي تلك التي طورها وقدمها السير جيمس جينز ، العالم البريطاني في مطلع هذا القرن الميلادي . وقد ظلت هي السائدة في العقود الأربعة الأولى منه . وتقوم هذه النظرية على أن الشمس كانت وحيدة فريدة في الفضاء لا كواكب لها في الأصل ، وحدث إن مرّ بالقرب منها نجم آخر . وتقابل النجمان عن بعد . وحيث إن النجوم غازية كما نعرف في الفلك ، فقد أثر الجذب المتبادل بين النجمين الضخمين ، فجعل انتفاخ مدّ في الناحية المقابلة للنجم الآخر . وقد زاد هذا الانتفاخ باقتراب النجمين أكثر فأكثر ، إلى أن انفصلت كتلة من جسم الشمس تريد أن تتبع النجم الآخر ، ولكن النجم الآخر كان قد ابتعد . فأخذت هذه الكتلة الغازية الضخمة بالدوران حول الشمس وانقسمت بعد ذلك فكوّنت الكواكب . (شكل ٩ - نظرية جيمس جينز) .

وقد ظلت نظرية جينز مهيمنة حتى سنة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٣ م) ، فهي تفسّر حجوم الكواكب وتفسّر اتجاه دورانها ودوران أقمارها أكثر من غيرها من النظريات . لكنها لا تفسّر لنا أبعادها بحسب قانون بود .

ولكن في سنة ١٣٦٥ هـ ، طلع علينا العالم الفلكي الألماني فون وايزاكر بنظرية تكاد تفسّر كل الظواهر التي مرّت بنا ، تفسيراً معقولاً قائماً على حسابات هندسية وكياوية وفلكية وفيزيائية . وقدم لنا نموذجاً رائعاً للطريقة التي تصوّر أن النظام الشمسي نشأ فيها ، وفيه الرد تقريباً على جميع المشاكل التي كانت تعترض النظريات الأخرى .

عاد (وايزاكر) إلى البداية التي ابتدأ بها (كانت) . وقال إن الكواكب تشكلت من غلاف غازي مسطح كان يدور حول الشمس ، قد يكون من بقايا الغاز الكوني الذي تكاثفت الشمس في الوسط منه . وهذا الغلاف الغازي - الذي نستطيع أن نسميه قرصاً لأنه مسطح - قد لا تزيد كتلته عن واحد في العشرة من كتلة الشمس . وكانت الغازات الخفيفة مثل الهيدروجين والهيليوم تتبعرق منه نظراً لضعف الجاذبية فيه ، فيذهب معظمها إلى الشمس . وهذا يفسر لنا قلّة الهيدروجين والهيليوم في الكواكب . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن الأجزاء الداخلية من القرص ، القريبة من الشمس ، ستنجذب إليها . وفي مدّة قد لا تزيد عن عشرة ملايين سنة لا يبقى في القرص إلا عشرة في المئة من كتلته الأصلية . وهذا كلّ يتفق مع الواقع من حيث كتلة الشمس وتكوينها العنصري بالنسبة إلى مجموع كتلة الكواكب وتكوينها .

ويشرح (وايزاكر) ما يحدث في القرص الغازي ، فيقول : «إنه على الرغم من عدم ثباته العام ، إلا أن حركات دائرية تنشأ فيه ، تصبح ثابتة دائماً» ، واستطاع أن يثبت أن الذرات والجزيئات داخل القرص - الدائر حول الشمس - تشكل حلقات داخلية دائمة ، تدور فيها . وهذه الحلقات تتكوّن في وقت غير طويل قد لا تتحمّل أكثر من بضعة قرون من الزمن . وستدور كل حلقة حول مركزها على شكل



(شكل ١١)

★ تشكل الكواكب في نظرية وايزاكر ★

منذ أن عرفنا هذا النظام على حقيقته الهندسية ، وهو موضوع قد دار في عقل كل علماء الفلك ، وكتب فيه الكثيرون . وقد طرحت نظريات عديدة في هذا الموضوع ، كان العلماء اللاحقون يقومون بتعديلها لكي تنسجم مع الحقائق التي كانوا يكتشفونها ، أو كانوا يملونها إذا لم تكن قابلة للتعديل بحسب مقتضى المعلومات التي كانت تتوفر لهم تبعاً .

وقد يكون من أشهر هذه النظريات تلك التي قدّمها الفيلسوف الألماني عمانوئيل كانت . فقد قال بأن النظام الشمسي كان في البدء غيمة ضخمة مدوّمة من الغبار والغاز . وهذا كلام لا يزال مقبولاً حتى الآن ، وإنما يحتاج إلى زيادة في التفصيل . فالفضاء في مجرتنا مليء بمثل هذه الغيمة الضخمة ، وإنما تنتشر بين النجوم هنا وهناك ، ولا نرى منها إلا ما كان واقعاً أمام منطقة متلاثلة . أما الغيوم نفسها فلا نراها لأنها سوداء لا يصدر منها ضياء . (شكل ٤ - أشباح غيوم غبارية أمام خلفية مضيئة) .

وجاء العالم الرياضي الفرنسي بيير سيمون لابلاس ، فبنى شوطاً آخر بنظرية (كانت) . وقال بأن الغيمة كانت تدور حول نفسها ، وتتقلّص في الوقت ذاته ، فانطلقت منها على فترات أقنعة رقيقة تشكلت منها الكواكب . أما الكتلة الموجودة في المركز فقد انكمشت وتكوّنت منها الشمس . (شكل ٥ - الخطوة الأولى في نظرية كانت لابلاس) ، (شكل ٦ - الخطوة الثانية في نظرية كانت لابلاس) ، (شكل ٧ - الخطوة الثالثة في نظرية كانت لابلاس) ، (شكل ٨ - الخطوة الأخيرة في نظرية كانت لابلاس) .

بود . والأقمار التي تدور في اتجاه معاكس يمكن أن نفسرها بأنها أجسام جاءت من الخارج . . كما سلف أن مرّ في النظريات السابقة .

المهم ، أن الأمور الأساسية كلّها قد وجدت تفسيراً معقولاً في هذه النظرية . ولنا الحق في أن نعتبرها نظرية صلبة متأسكة ، وأن نعتبر أننا توصلنا - أو كدنا أن نتوصل - إلى معرفة كيفية نشوء النظام الشمسي .

طلع وايزاكر على العالم بنظريته هذه - كما قلنا - سنة ١٣٦٣ هـ . وقد عاش الفلكيون في هذا الحلم البديع تسعة عشر عاماً . وما كادوا يتمتعون بهذا الحلم حتى طلعت علينا الزهرة بسرّها الرهيب .

وإذا بالرادار اللعين ، يحدّثنا بأنها تدور حول نفسها في اتجاه معاكس

هذا الخبر يبدو بسيطاً في مظهره ، ولكنه يحطم كل نظريات نشوء النظام الشمسي ، من (كانت) ، إلى (لابلاس) ، إلى (جيزز) ، إلى (وايزاكر) . . .

لقد انهارت هذه النظريات ونهاوت ركاباً . . في كومة من الأنقاض . . بضربة واحدة .

ليس ذلك فقط ، بل يبدو أنها أغلقت الأبواب أمام أية نظرية من هذا القبيل بعد الآن . . . ولم يعد هناك مجال لعالم من العلماء أن يطرح نظرية أخرى .

دوامة ، ومراكز هذه الدوامات تدور حول الشمس . (الشكل ١٠ - النطاقات والحلقات في نظرية وايزاكر) .

وسيحادث احتكاك بالطبع ، بين كل نطاق من الحلقات والنطاق المجاور له ، سواء الداخلي أم الخارجي . فتنجم كتل الجزينات عند مواضع الالتقاء ، ويزايد حجمها . وفي أثناء سيرها على الخط الفاصل بين نطاقين ، تلتحم مع مثيلاتها من الكتل لتشكل الكواكب (الشكل ١١ - كتل الجزينات تتشكل عند التقاء النطاقين) .

وإذا فرضنا أن في كل نطاق من هذه النطاقات تتكوّن خمس حلقات ، فإن الخطوط التي تفصل بينها - وهي تلك التي تنشأ فيها الكواكب - سيكون بعدها عن المركز بحسب قانون بود تماماً . إذن فهذه النظرية تعطينا التفسير لأبعاد الكواكب عن الشمس .

والنظرية نفسها - كما يستنتج القارئ - تفسّر لنا لماذا تدور الكواكب كلّها في اتجاه واحد حول الشمس ، ولماذا تدور كلّها حول نفسها في الاتجاه نفسه .

وقد قدّر وايزاكر أن العملية كلّها لا تستغرق أكثر من مئة مليون سنة .

على أية حال ، لا تزال هناك اعتراضات على النظرية لكنها بسيطة لا تطعن في صلبها . فالكواكب التي تشدّ عن قانون بود يمكن تفسير شذوذها هذا ، بأن عدد الحلقات التي كانت تسير في النطاق كان أكثر من خمس حلقات . وهي بهذا تعطينا رقماً آخر غير الذي يفترضه قانون

جدول بعض الصفات في الكواكب

اسم الكوكب	قطره بالأميال	كثته بالنسبة للأرض	بعد مداره عن الشمس بفرض أن بعد الأرض (١٠)	بعده عن الشمس بملايين الأميال	عدد أقماره
عطارد	٣١٠٠	٠,٠٦	٣,٨٧	٣٦	
الزهرة	٧٧٠٠	٠,٨٢	٧,٢٣	٦٧,٢	
الأرض	٧٩٢٧	١	١٠	٩٢,٩	١
المريخ	٤٢٠٠	٠,١١	١٥,٢٣	١٤١,٥	٢
الكويكبات	عددها بالآلاف		٢٨		
المشتري	٨٨٧٠٠	٣١٨,٣٦	٥٢,٠٢	٤٨٣,٣	١٣
زحل	٧٥١٠٠	٩٥,٢٢	٩٥,٥٤	٨٨٦,١	٩
أورانوس	٣٠٩٠٠	١٤,٥٨	١٩٢,١٨	١٧٨٣	٥
نبتون	٣٣٠٠٠	١٧,٢٦	٣٠١,٠٩	٢٧٩٣	٢
بلوتو	؟	؟	٣٩٦,٠	٣٦٧,١	١

اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذليلاً ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ٤ .

وتوكلنا على الله ، وبدأنا نطبق النصيحة ، فبمجرد استيقاظي من النوم ، وقبل أن أتناول الطعام والشراب التقليدي ، كنت أتناول ملعقة كبيرة من عسل مع عصير ليمونة واحدة ، هذا وحجم الليمونة متروك لتقديرك ، وطبيعي أن الإنسان يستعجل الخير أو الشفاء دائماً ، ومع ذلك فقد صبرت أسابيع تلو أسابيع على هذه العادة الطبية ، فلقد كفتني طعام الافطار التقليدي وشرابه ، وكأنما هي بمثابة وجبة غذائية كاملة .

وبالفعل اختفى السعال ، وعادت الحيوية ، وجال بالنفس تساؤل جديد : وما يدريك أن هذه الخلطة السكرية الحمضية (أي العسل مع الليمون) هي التي فعلت ما فعلت ؟ .. أوليس من المحتمل أن يكون للعقيدة دخل فيما نحس به من نشاط ؟ .. وهل الفضل يرجع لهذه الخلطة ، أم أن هناك عرضاً قد حل بالجسم ، وكان من الممكن أن يزول تلقائياً حتى ولو لم أتناول هذه الخلطة ؟ ... الخ . والواقع أن هذه التساؤلات أو الشكوك تتبع من طبيعة المجال الذي نعمل فيه ، فنحن في علومنا لا نستطيع أن نقفز إلى الاستنتاجات قفزاً ، بل لا بد من تحري الحقيقة بالبحث والتطبيق ، فإن أعطت نفس النتائج مع عدد كبير من الناس ، فإننا - بلا شك - نكون مصيبين في نظرياتنا أو اعتقاداتنا .

لكن لا علينا من كل ذلك ، فالناس لا تجمع على باطل ، وهم جميعاً يتحدثون عن فوائد عسل النحل تارة ، وعن فوائد عصير الليمون تارة أخرى ، ولقد دفعني هذا إلى البحث في مراجعي وكتبي ، علي أعثر على رأي يمكن الاستناد إليه في هذا المجال .

مضاد لتكاثر الميكروبات

فأول الحقائق التي نعرفها أن عسل النحل جاء بتركيز خاص ، وبحيث لا يسمح لأي ميكروب أن يعيش عليه .. صحيح أن أطعمتنا - نحن معشر البشر - قد تفسد في ساعات أو أيام (على حسب درجة حرارة الجو) ما لم نأخذ حذرنا ، ونستنبط الوسائل الفعالة لحفظها (بالغليان أو التبريد أو التجفيف أو الاشعاع أو تعقيمها وعزلها عن الميكروبات) ، لكن هذا الطعام - طعام النحل الذي استحللناه طعاماً لنا - لا يفسد حتى ولو تعرض لكل أنواع الميكروبات ، والفضل يرجع في ذلك إلى «حكمة» النحل ، فكأنما هو قد أدرك فائدة التركيز المناسب ، ليبقى له طعامه دون أن يمسسه سوء ولو بقي على حاله شهوراً طويلة .

صحيح أننا نحن معشر البشر نقوم أيضاً بصنع مربات وأطعمة مجففة ، وبحيث لا تنال منها الميكروبات ، أو لا تستطيع أن تعيش عليها ، لكن ذلك يستلزم عقلاً مفكراً ، أو تكنولوجيا تسبقها بحوث وتطبيقات أو ما شابه ذلك ، ومع هذا فلا نستطيع أن نقول إن النحل قد امتلك أفكاراً مثل أفكارنا ، رغم أنه يقوم بضبط التركيز في الحدود التي تحفظ له طعامه ، إذ لو أضفت قليلاً من الماء لعسل النحل ، لوجدت أنه يتخمر ، والتخمر دليل على حياة ، والحياة لميكروبات استطاعت أن تعيش على العسل ، وتعيش فيه تخمراً وفساداً !

ففي جامعة كولورادو ، وفي كلية الزراعة هناك ، أجرى دكتور



”شفاؤ للناس“

بقلم : د. عبد المحسن صالح

★ أشار علي طبيب صديق أن أتناول صباح كل يوم - وعند استيقاظي من النوم - ملعقة من عسل النحل مضافاً إليها عصير ليمونة واحدة ، فهذا - على حد ظنه - كفيل بأن يعيد إلي بعض الحيوية التي بدأت تأفل في جسمي ، وتحد من نشاطي ، كما أن هذا الخليط قد يفيد في التهاب الزور الذي يجعلني أسعل بين الحين والحين ! ★

وطبيعي أنني توجست في قول صديقي هذا مزاحاً ، خاصة وأنه طبيب ، والطبيب عادة لا يصف إلا حيوياً منمقة ، أو حقناً وكبسولات معبأة ، أما أن يركن إلى هذه الوصفات الطبية الشعبية ، فذلك أمر يدعو إلى الشك ، وبشير الريبة .

ومع ذلك ، وشيء من المنطق ، جالت بالخاطر فكرة ، إذ ليس في العسل ضرر ، ولا كذلك في عصير الليمون ، بل العكس هو الصحيح تماماً ، ففي كليهما عناصر غذائية لا يستغني عنها الجسم أبداً في أي طعام وشراب ، فإذا لو جربنا ما أشار علينا به صديقنا ، خاصة وأننا لن نخسر شيئاً ؟ .. ثم إن التجربة هي الحد الفاصل دائماً بين ما نظنه حقاً أو باطلاً ، أو ما نحسبه واقعاً أو خيالاً !

ولا شك أننا بحكم عقيدتنا ، فقد تحمسنا للفكرة ، خاصة وأنه قد ورد ذكر عسل النحل في القرآن الكريم ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن

وبالإضافة إلى هذه العناصر الأساسية الثلاثة توجد في عسل النحل عناصر أخرى ضرورية لحياتنا ، أو ربما لحياة النحل أيضاً ، فهي غذاء الأوحاد الذي عاش ولا يزال يعيش عليه منذ زمن طويل ، أي قبل أن نظهر نحن على الأرض بعشرات الملايين من السنين . . ومن هذه العناصر الكالسيوم والبوتاسيوم والصوديوم والفوسفور والألمنيوم والمغنسيوم والكوبالت السيليكا والكلور . . الخ ، فلو أنك - على سبيل المثال - قد تناولت دواء من الأدوية التي سجلوا عليها أنها غنية بالأملاح المعدنية ، لوجدت أن هناك توافقاً بين ما تحتويه ، وما يحتويه عسل النحل من تلك العناصر . . صحيح أن نسبة هذه العناصر قد تختلف من عينة عسل إلى عينة أخرى (يتوقف ذلك على البيئة الزهرية) ، إلا أن العناصر الأساسية تبدو متقاربة .

وحافظ للفيتمينات

على أن أهم ما يتميز به هذا الإنتاج الطبيعي أنه يحتفظ بنسبة عالية من فيتامين ج - أعلى من الموجود في كثير من الفواكه والخضروات . . وكلما زاد محتوى العسل من حبوب اللقاح ، زادت فيه نسبة ذلك الفيتامين .

هذا ومن المعروف أن الفاكهة والخضروات تفقد نسبة من فيتاميناتها بالتخزين ، وكلما زادت فترة تخزينها ، زاد تبعاً لذلك معدل فقدائها لفيتامينها ، إلا أن الأمر ليس كذلك بالنسبة للعسل . . فالسبانخ على سبيل المثال تفقد حوالي ٥٠٪ من فيتامين ج بعد قطعها بأربعة وعشرين ساعة ، إلا أن العسل يحتفظ بهذا الفيتامين لفترات طويلة ، وهذا ما يعطيه أصالته في التغذية الصحيحة .

أضف إلى ذلك أن العسل يحتوي على فيتامين ب المركب (الريبوفلافين والثيامين وحامض النيكوتينيك والفوليك والبيريدوكسين والبيوتين) بل ويعتبره علماء التغذية واحداً من أهم الأطعمة التي تحتوي على معظم الفيتامينات التي تحتاجها أجسامنا .

والواقع أن السكريات التي يحتويها العسل جاهزة لامتصاص مباشرة ، فهي لا تحتاج إلى مخاطر هاضمة ، ومن هنا كانت طاقتها ميسرة ، هذا بعكس الأطعمة الأخرى التي تحتاج إلى هضم وأعباء تقع على أمعائنا ، ثم ما يتبع ذلك من نفايات ضارة ، لكن عسل النحل ليس له أية نفايات ، وربما كان لهذا السبب غذاء مثالياً .

فوائده الطبية

ومن فوائده الطبية يسوق لنا دكتور د . س . جافريس تسع فوائد بالمقارنة لفوائد السكريات :

- ١ - فهو لا يسبب أي تهيج لجدار الجهاز الهضمي .
- ٢ - وسهل الامتصاص والتشيل الغذائي .
- ٣ - وسريع في إطلاق الطاقة الحيوية اللازمة للخلايا .
- ٤ - ويعيد الحيوية والنشاط بسهولة للذين فقدوها أثناء المجهودات الجسدية الكبيرة .
- ٥ - وسكريات العسل هي أنسب السكريات التي تتعامل معها الكلى أثناء الترشيح .

ج . ساكيت أحد علماء البكتيريولوجيا تجربة معينة ، إذ أحضر بعض أنواع الميكروبات المسببة للأمراض (التيفود والبارتيفود والدوزنطاريا والسل . . الخ) ، وزرعها في عسل النحل ، وانتظر ساعات ، أو على أكثر تقدير تسعين ساعة ، ثم حاول أن يعيدها إلى الأوساط الغذائية التي تنهواها ، فوجدها قد ماتت . . بعضها هلك في غضون خمس ساعات ، أو عشرة أو ٢٤ ساعة ، والذي قاوم ، لم يستطع ذلك إلا لأربعة أيام ، وبعدها هلك ! ولقد تكررت التجربة ذاتها في واشنطن وفي كندا وفي معامل أخرى ، فأشارت إلى النتائج نفسها ، لكن ذلك لا يعني أن العسل يحتوي على مواد مضادة للبكتيريا ، أو أنه يصلح لمحاربة هذه الأمراض في أمعائنا ، بل يعني أن النحل قد صنع غذاءه وركزه للدرجة التي لا يسمح بها لأي ميكروب أن يعيش عليه ، بل هو مقبرة حقيقية للميكروبات طالما هو باق على حاله ، وسبب ذلك لا يخفى على لبيب ، فالعسل يسحب بشدة ماء الميكروبات الكامنة فيها ، ومادام الكائن قد فقد ماءه فلا بد أن ينجر حياته . . إذ لا حياة بدون ماء . . مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ .

مخزن لكل العناصر الحيوية

والذين قاموا بتحليل العسل وجدوه يحتوي أساساً على سكريات بسيطة ، وبحيث تستفيد منها الكائنات الحية استفادة مباشرة - أي تمتصها دون حاجة إلى هضم أو تحليل إلى جزئيات أبسط ، ومن أهم السكريات الموجودة سكر العنب وسكر الفاكهة (دكستروز وليفيلوز) . . كما يحتوي على نسب قليلة من سكر القصب والشعير ، وقليل من البروتينات (الانزيمات) والفيتامينات والدكستريانات (مواد صمغية خاصة) وحبوب اللقاح والأملاح المعدنية والأصماغ والمواد الراتنجية الشمعية والأحماض العضوية (حامض الفليك والخل والماليك والستريك والسكسينيك) والأحماض الأمينية . . الخ .

وعن مخزون العناصر المعدنية الموجودة في العسل يقول البروفيسور ه . أ . سكويست الأستاذ بقسم الكيمياء بجامعة ويسكونسين : « من العناصر الضرورية الموجودة في العسل يبرز النحاس والحديد والمنجنيز ، وهذه العناصر الثلاثة توجد بتركيزات أكبر في العسل ذي اللون الغامق عن العسل ذي اللون الفاتح . . وفيما يختص بأهمية هذه العناصر للجسم ، يبرز الحديد ، لأنه يدخل في تكوين مادة الهيموجلوبين التي تعطي للدم صبغته المعروف بها ، والتي تشارك في نقل الأوكسجين إلى الخلايا والأنسجة » .

ثم يأتي عنصر النحاس . . صحيح أنه لا يوجد في العسل إلا بتركيزات جد ضئيلة ، إلا أنه قد جاء بالنسب المضبوطة التي تحتاجها أجسامنا في بعض عملياتها الحيوية ، ومهمة النحاس في أجسامنا - على ما يبدو - مهمة غامضة ، إلا أنه قد يساعد في فتح مغاليق الأمور أمام الحديد ، فهو مثلاً - أي النحاس - يعيد الهيموجلوبين إلى محتواه الطبيعي خاصة عند المصابين بالأنيميا ، أو بمعنى أبسط يبدو أن النحاس يحث الحديد في وظائفه داخل الأجسام الحية ، فيسري كل شيء بحسب ومقدار !

ومهمة المنجنيز أيضاً أكثر غموضاً ، لكن ذلك لا يعني أنه غير لازم لحياتنا ، بل هو ضرورة من ضروريات الحياة ، إذ لو غاب منها ، لظهرت فيها بعض الأمراض ، ولهذا يذهب بعض العلماء إلى القول بأن المنجنيز يتبادل العمل مع النحاس والحديد بطريقة لسا ندرها بعد .

٦ - وللعسل أثر طبيعي ملين وملطف للأمعاء .

٧ - وذو أثر مهدئ وملطف للجسم .

٨ - ويمكن الحصول عليه في أي وقت نشاء .

٩ - ونسبياً غير مكلف ، كما هو الحال في الأدوية !

ويعلق الدكتور جافريس على هذا بقوله : ومع ذلك فإن أعجاد عسل النحل وشهرته تكمن في فائدته الطبية ، وبما أنني رجل مهني الطب ، فإنه من الطبيعي أن ينصب اهتمامي على مادة أفنعتني الدراسات والتجارب على أنها صالحة للحياة من المهد حتى اللحد . . فأين يستطيع الإنسان منا أن يجد طعاماً يومياً له خاصية مهدئة للجسد والأعصاب في عصر تنطلق فيه كالمخول الجامحة ، فإذا بهذا الطعام - يعني العسل - يفيد الجسم ولا يضره على الإطلاق؟!!

ويذكر الدكتور جافريس بعض الفوائد التي يمكن لعسل النحل أن يترك بها بصماته على الأجسام الحية ، فهو - على حد اعتقاده - يجعل حياة الشيخوخة والكهولة أكثر سهولة وليونة ، ويخفف من حدة السعال ، ومن الآلام الناتجة من التهاب المفاصل ، ويجعل نومنا أكثر هدوءاً ، وحياتنا أقل قلقاً .

وغذاء أمثل للأطفال

وفي واحد من البحوث الكثيرة التي أجراها العلماء على فوائد سكر العسل في تغذية الرضع والأطفال بالمقارنة مع السكريات الأخرى التي تضاف إلى رضعاتهم أو طعامهم يذكر كل من شولتز والدكتور نوت من قسم طب الأطفال بجامعة شيكاغو أنها جهاز وجبات مناسبة للأطفال رضع تتراوح أعمارهم ما بين شهرين وستة أشهر ، ولصبيان وبنات تتراوح أعمارهم ما بين سبع سنوات وثلاثة عشر عاماً ، ثم قدما لنصف عدد هؤلاء غذاء به عسل نحل ، وللنصف الآخر غذاء به سكريات تقليدية وبنفس التركيز الموجود في الوجبات التي تحتوي على العسل ، وقاما بعد ذلك بأخذ عينات من الدم كل ١٥ ، ٣٠ ، ٦٠ ، ٩٠ ، ١٢٠ دقيقة بغرض دراسة الاستفادة من عناصر الغذاء (السكريات على وجه التحديد) في كلا الطعامين .

ومن هذه التجارب اتضحت بعض نتائج مثيرة ، إذ تبين أن سكر عسل النحل قد امتص بمعدلات أسرع ، لكنه لم يتجمع في الدم كما تجمع السكر الممتص من الطعام الذي لا يحتوي على العسل ، ويبدو أن وجود سكري العنب والفواكه في العسل بتركيزات خاصة قد أثر على امتصاصها في الأمعاء بطريقة جعلت محتوى الدم متوازناً ، وبالقدر الذي يسمح بتمثيله داخل الجسم تمثيلاً مضبوطاً ، وهذا ما لم يحدث في سكريات الأطعمة التقليدية .

ويوصي كل من الدكتور شولتز والدكتور نوت بأفضلية العسل في تغذية الأطفال . . صحيح أنه أغلى ثمناً لكنه - بالمقارنة - أعظم قيمة ، فهو يحتوي على اثنين من السكريات التي يمتصها الجسم بسهولة ، وله في امتصاصها توازن يذكر ، كما أنه يحتوي على كثير من العناصر التي يحتاجها الجسم أثناء نموه ، هذا بالإضافة طبعاً إلى العناصر الأخرى المضافة في طعام الأطفال (بما في ذلك اللبن والبروتينات) .

ويقال إن الأطفال الذين يتناولون عسل النحل في طعامهم نادراً ما يصابون بالمغص المعوي ، إذ إن سرعة امتصاص السكريات لا يؤدي إلى عمليات تخمير يكون من جراثيها انطلاق الغازات !

وهناك اعتقاد شعبي بأن بعض الأطفال الصغار الذين يتبولون ليلاً وهم نيام قد يقلعون عن هذه العادة إذا ما تناولوا ملعقة من عسل النحل قبل النوم ، ويقال إن ذلك ربما يهدئ جهازهم العصبي من ناحية ، ومن ناحية أخرى يحتفظ بالسوائل في الدم بقدر الامكان ، ولا يسبب بذلك عبئاً على الكلى أو المثانة !

وفوائد أخرى

هذا ويذكر لنا الدكتور جافريس في كتابه «الطب الشعبي» أن فوائد عسل النحل قد حققها بنفسه مع حالات كثيرة ، وثبت أنها تخفف من شدة بعض الأمراض .

فإذا حل بك قلق ، وجفافك النوم ، فإن ملعقة من عسل النحل تكفي لراحة الأعصاب المتوترة ، وقد يؤدي ذلك إلى نوم هادئ ومريح ، لكن ذلك لا يعني حقاً أن عسل النحل أكيد المفعول مع كل الناس ، بل إن ذلك يرجع إلى عوامل وظروف تختلف باختلاف طبيعة الناس ومشاكلهم .

والواقع أن التجربة هي أعظم ما يعتمد عليه العلم في مجالاته ، ولهذا فلا زالت عادة تخفيف حدة السعال أو شفائه بواسطة عسل النحل من الأمور التي يعترف الناس بصحتها منذ أجيال طويلة ، ولقد كانت لي معها تجربة كما سبق أن أوضحت في صدر هذه الدراسة ، على أن الدكتور جافريس يذكر أن تجهيز الخلطة الصحيحة يتطلب غلي ليمونة غلياناً هادئاً لدقائق عشر ، ثم شقها نصفين وعصرها عن آخرها ، ويوضع العصير في كوب من أكواب الشراب ، ويضاف إليه ملعقتين صغيرتين من الجليسيرين (أو بما يساوي حوالي ٢٥ جراماً) ، ثم يقلب الخليط جيداً ، ويملا الكوب بعسل النحل ويم خلط هذا مع ذلك ، ومن هذا الخليط تؤخذ ملعقة كاملة في الصباح والمساء ، أو كلما حلت نوبة السعال ، أما إذا كانت نوباته شديدة ، فمن الأفضل تناول ملعقة منه ست أو سبع مرات يومياً ، وعلى فترات متساوية ، وهذا المزيج صالح للصغار والكبار ، فهو - زيادة على أنه يحتوي على عناصر غذائية فإنه لا «يقلب» المعدة ولا يسبب لها مضايقات ، كما هو الحال مع الأدوية الأخرى ! ولعسل النحل فوائد أخرى في التغلب على توتر العضلات أو تصلبها (الكرامب) ، وفي علاج بعض الحروق ، وفي تغذية الأجسام الهزيلة ، والتهابات المسالك الهوائية ، وحصى الهشيم أو القش ... الخ .

على أنه يجدر بنا - مع اعترافنا ببعض فوائد عسل النحل - أن نشير هنا إلى أن عسل النحل ، أو مشتقاته ، لا يصلح للشفاء من كل الأمراض - كما يعتقد عامة الناس - بل قد يصلح بعض الخلط الوطني ، أو يخفف من بعض الأمراض ، ومن هنا تحفظ الآية الكريمة في ذكر عسل النحل ولم تذكر أو تعمم أن فيه الشفاء ، بل قالت «فيه شفاء» .

على أية حال ، فليس في تناول العسل ضرر ، بل هو غذاء طبيعي وطيب ، ولم تتدخل فيه أية ألعيب أو تحويرات بشرية ، والغذاء الطيب لا يؤدي إلا لصحة طيبة ، وهذا هو المراد من رب العباد الذي قال ﴿يُخْرِجُ مِنْ بَطْنِهَا شَرَابًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ ، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴿... صدق الله العظيم .

الفيتامينات

وطريقة تأثيرها في أجسامنا

بقلم : د . أحمد كرز

كثيراً ما نسمع في حياتنا اليومية تعبيراً يطلقه الكبير والصغير والمتعلم وغير المتعلم والطبيب والمريض ... هو الفيتامينات . فما هذه المركبات الكيميائية ، وأين توجد ، وكيف تؤثر في أجسامنا ؟ .. وفي هذا المقال أردت الإجابة عن بعض المسائل المتعلقة بالفيتامينات بصورة مبسطة ، بحيث يستطيع معها القارئ العادي استيعابها وتفهمها .

تعاريف عامة

إن تعبير فيتامينات « Vitamins » مشتق من الأصل اللاتيني Vita amine ويعني الأمين الحياتي ، أي المركب الأميني الضروري لحياة الإنسان . ومن الناحية الكيميائية تعرف الفيتامينات بأنها مركبات عضوية مختلفة ذات حجم صغير نسبياً ، ولكل فيتامين بنية كيميائية تختلف عن الآخر . ولا تصطنع هذه المركبات عادة في جسم الإنسان ، وإنما تصطنع بصورة رئيسية في النسيج النباتية . وبشكل طبيعي يحتاج جسم الإنسان إلى كميات ضئيلة من الفيتامينات التي يجب أن تأتيه من الوسط الخارجي مع الراتب الغذائي اليومي . أما نقصها أو انعدامها من الأغذية فيؤدي حتماً إلى اضطرابات في عمليات استقلاب المواد داخل الجسم ، وبالتالي ، إذا استمر هذا النقص أو الانعدام ، يؤدي إلى ظهور بعض الأعراض المرضية . هذا وتسمى عادة الأمراض الناتجة عن نقص الفيتامينات باسم Avitaminoses ، أي أمراض النقص الفيتاميني . وهناك في الوقت الحاضر عدد كبير من هذه الأمراض معروفة ، من الناحية الطبية ، أعراضها وطريقة علاجها .

لمحة تاريخية

لقد عرف في العصور الوسطى بأن البحارة الذين يمضون فترة طويلة في البحار ، تصيبهم أعراض مرضية لا تصيب الأشخاص العاديين . ولقد كان هؤلاء البحارة يعتمدون في غذائهم بصورة رئيسية على الأغذية المحفوظة والمحفوطة ، وكانت وجباتهم الغذائية خالية تماماً من الخضار والفواكه واللحوم الطازجة . إضافة إلى ذلك كانت تظهر على أطفال العائلات ، الذين يعيشون حياتهم الأولى في أجواء بعيدة عن الشمس والضوء ، ويعتمدون على راتب غذائي ضعيف جداً ، أعراض مرضية وتشوهات في أشكال أطرافهم السفلية . أما أسباب ظهور مثل هذه الأعراض المرضية عند البحارة والأطفال فلم تكن معروفة في ذاك الوقت .

إلا أن الدراسات العلمية الجادة لمعرفة أسباب ظهور هذه الأعراض قد بدء بها اعتباراً من عام ١٨٨١ م ، على يد الباحث لونين Lunin ، الذي يعتبر من المؤسسين الأوائل لعلم الفيتامينات . ولقد كانت تجاربه الأولى في هذا المضمار يجريها على الفئران ، حيث كان يقدم إليها غذاء مؤلف من الكازيئين (وهو بروتين مستخلص من الحليب) المفسول والسكر ، ونوع معين من الزيوت النباتية وبعض الأملاح بنسب تشبه مما هي عليه في الحليب . وكان في الوقت ذاته يقدم إلى فئة أخرى من الفئران حليب طازج . فكانت ملاحظته الأولى بأن الفئران التي حصلت على الحليب الطبيعي خلال تربيتها بقيت على قيد الحياة ، بينما تلك التي قدم إليها حليب تركبي على النحو المذكور فقد مرضت ومُحِل جسمها وماتت بعد فترة من الزمن . إن مثل هذه التجارب قد دعت الباحث المذكور إلى القول بأنه يوجد في الحليب الطازج بعض المواد

الإضافية (والتي لا توجد في الحليب التركيبي) إذا ما حذفت من الغذاء لفترة طويلة من الزمن أدت إلى هلاك الفئران .

تصنيف الفيتامينات

إن أول من اقترح تسمية المركبات الضرورية لحياة الإنسان والحيوانات بالفيتامينات هو الباحث فونك Funk في عام ١٩١٢ م . وفي الوقت الحاضر تصنف جميع الفيتامينات المعروفة في الطبيعة إلى زمرتين رئيسيتين وذلك بالاعتماد على خاصية انحلالها . فتعرف الزمرة الأولى باسم الفيتامينات المنحلة في المواد الدسمة (الشحوم) ، والزمرة الثانية باسم الفيتامينات المنحلة في الماء . وفي الجدول المرفق تصنف الفيتامينات إلى هاتين الزمرتين ، وكذلك التركيب الكيميائي لكل فيتامين وتأثيره في الجسم كعامل مضاد للأمراض . هذا ولقد اصطلح منذ بداية نشوء علم الفيتامينات على تسميتها بالأحرف الأجنبية ، كأن تقول مثلاً الفيتامين (A) والفيتامين (B) والفيتامين (D) ... الخ .

دور الفيتامينات في جسم الإنسان

لإعطاء فكرة واضحة عن دور الفيتامينات في أجسامنا لا بد من التعرض لشرح بعض المبادئ البيوكيميائية الأولية .

●● عمليات الاستقلاب : يقصد بتعبير الاستقلاب Metabolism وعملياته بأنه مجموع التحولات التي تطرأ على المركبات الحيوية خلال وجودها ضمن الخلية ، وكذلك عمليات التبادل ما بين العضوية والوسط الخارجي . إن جريان هذه العمليات هو الذي يعطي لأجسامنا وجودها بصورة طبيعية في هذا العالم وملاءمتها وتكيفها مع ظروفه الطبيعية . ولتقريب الموضوع بصورة أوضح إلى ذهن القارئ نورد المثال التالي : إن جميع البروتينات الداخلة إلى الجسم مع الأغذية المختلفة تتعرض أولاً في القناة الهضمية إلى عمليات تفكك تؤدي بالنتيجة إلى تحطيم جزيئاتها العملاقة وتشكيل نواتج أقل تعقيداً في بنيتها من البروتينات تعرف باسم الحموض الأمينية (التي هي الوحدات الأولية في بناء جميع البروتينات الموجودة في الطبيعة) البالغ عددها حوالي العشرين . تمتص فيما بعد الحموض الأمينية بواسطة الجدران المعدية ويحملها الدم إلى الكبد والأعضاء الأخرى في الجسم . وهناك تسلك هذه الحموض خلال تحولاتها عدداً من الطرق : قسم منها يستخدم لاصطناع بروتينات جديدة خاصة بهذه الخلية أو بهذا النسيج ، وبالتالي خاصة بهذا الجسم . وقسم آخر يستخدم لاصطناع عدد من المركبات التي لها دور فيزيولوجي معين في الجسم (منها اصطناع هرمون الأدرينالين Adrenalin - هرمون الطبقة الداخلية للغدة الكظرية - وهرمون التيروكسين Thyroxine - هرمون الغدة الدرقية - ومركب الكولين Choline - أحد المركبات الهامة في الجملة العصبية - وغيرها من المركبات . أما القسم الثالث فإنه يتفكك ليعطي نواتج تنطرح فيما بعد من الجسم إلى

الوسط الخارجي . وهذه النواتج بشكل رئيسي هي البولة وغاز ثاني أكسيد الكربون والماء . إضافة إلى ذلك هناك كمية من الطاقة تتشكل خلال هذا التفكك .

إن مجموع هذه العمليات في استقلاب البروتينات ما هي إلا عبارة عن تفاعلات كيميائية تجري بصورة منتظمة داخل الجسم الحي . ونقول عادة بأن لكل تفاعل كيميائي يجري في أي كائن حي مهما كان نوعه وفي أي جزء من الخلية الحية أو في الجسم لا بد وأن يكون له أنزيم Enzyme (أو كما يعرف باسم الخميرة) يشرف على انجازه وبالتالي ينظم سرعة جريانه .

●● الأنزيمات : هي مركبات ذات بنية بروتينية (أي مؤلفة من حوض أمينية مرتبطة مع بعضها البعض) تصطنع داخل الجسم الحي وتقوم بتسريع التفاعلات الكيميائية . وتعتبر آخر يمكن القول بأن الأنزيمات هي عبارة عن وسائط حيوية لها خواص تسريع التفاعلات البيوكيميائية الجارية داخل الجسم الحي ، وكقاعدة عامة بأن لكل تفاعل كيميائي واحد أنزيم معين فقط يقوم بانجازه ، أو أحياناً يمكن لأنزيم واحد أن يحقق عدداً محدوداً من التفاعلات الكيميائية المشابهة .

وهكذا ، ونظراً للعدد الكبير من التفاعلات الجارية في أجسامنا ، هناك أعداد كبيرة من الأنزيمات أيضاً . وبالفعل لقد استحصل في الوقت الحاضر على عدد كبير منها بشكل نقي مبلور وذلك من مصادر بيولوجية مختلفة (إنسان ، حيوان ، نبات ، جراثيم) . ولقد صنف البيوكيميائيون هذا العدد الكبير من الأنزيمات إلى ستة صفوف وذلك لتسهيل دراستها والتعرف عليها ، ولا مجال في هذا المقام بالخوض في تفاصيل أكثر عن هذه الوسائط الحيوية وتصانيفها .

أما من الناحية الكيميائية التركيبية فتقسم الأنزيمات إلى زميرتين : الأولى تلك التي تتألف جزئياتها من بروتينات فقط ، أي أن جزيئة الأنزيم بكامله عبارة عن بروتين فقط ، وبالتالي تعطي عند تفككها حموضاً أمينية فقط . تعرف هذه الزمرة باسم الأنزيمات البسيطة . أما الزمرة الثانية فتلك التي تتألف جزئياتها من قسم بروتيني يدعى بالجزء الحامل (أو بـ Apoenzyme) ومن قسم لا بروتيني يدعى بالجزء الملحق (أو بـ Coenzyme) . تعرف هذه الزمرة باسم الأنزيمات المعقدة (أو المركبة) .

●● العلاقة ما بين الفيتامين والأنزيم : بعد هذا العرض الموجز لطبيعة التفاعلات الكيميائية الجارية في الجسم بتأثير أنزيماتها الخاصة ، بقي أن نقول بأن هناك كثيراً من الفيتامينات تدخل في تركيب الجزء الملحق اللابروتيني الخاص بالأنزيم . ومن هذه النقطة بالذات تأتي العلاقة الوثيقة بين الفيتامينات وبين الأنزيمات ، وبالتالي ما بينها وبين التفاعلات الكيميائية . وبشكل عام يمكن القول بأن جميع الفيتامينات المنحلة في الماء تشكل زمراً ملحقة لعدد كبير جداً من الأنزيمات التي تحقق انجاز تفاعلات هامة في الجسم الحي . بينما فيتامينات الزمرة الأولى (أي المنحلة في الشحوم) فنادر ما تشكل زمراً ملحقة

لبعض الأنزيمات .

●● مثال عن التأثير الفيتاميني : لايضاح أكثر لطبيعة العلاقة ما بين الفيتامينات وتفاعلات الاستقلاب نذكر مثلاً واحداً لذلك وهو الفيتامين B₁ (أو ب - ١) وتأثيره في الجسم . من المعروف بيوكيميائياً بأن سكر العنب (الجلوكوز Glucose) في خلايا النسيج العضلية أو العصبية أو في أي نسيج آخر يمر خلال أكسدته (لنقل تفككه ، أو احتراقه ، تجاوزاً) بعدد من التفاعلات الكيميائية تقدر بحوالي ٢٠ تفاعلاً وذلك حتى تشكل النواتج النهائية لهذه العملية وهي غاز ثاني أكسيد الكربون والماء وكمية محدودة ومعروفة بصورة دقيقة من الطاقة . إن هذه التفاعلات العشرية تكون ضمن مرحلتين : تعرف الأولى باسم مرحلة التحليل الجليكوكولي Glycolysis (أو التحليل السكري) ، وتعرف الثانية باسم مرحلة حلقة كريبس (أو حلقة حمض الليمون) . فتفاعلات المرحلة الأولى تنتهي عند تشكيل مركب يعرف كيميائياً باسم حمض البيروفيك . إن هذا الحمض لكي يتابع تفككه في المرحلة الثانية يجب أن يتعرض مسبقاً لتفاعل كيميائي يحققه أنزيم مؤكسد خاص ينسب إلى زمرة الأنزيمات المعقدة ، حيث زميرته الملحقة هي مشتق للفيتامين B₁ . وعن طريق هذا الفيتامين بالذات (المرتبط طبعاً مع أنزيمه) يتحقق تفاعل الأكسدة ويستطيع حمض البيروفيك أن يدخل في تفاعلات حلقة كريبس ليتابع تفككه . فلو انعدم دخول هذا الفيتامين إلى الجسم من الوسط الخارجي لآدى ذلك إلى اضطرابات بالغة الأهمية في سير عمليات الاستقلاب السكري ، وبالتالي لما استطاع سكر العنب (السكر الرئيسي الذي يمد الجسم بالطاقة) أن يتفكك لإعطاء النواتج النهائية .

إن هذا مثال واحد من بين المئات بل الآلاف من التفاعلات الكيميائية الأنزيمية الجارية في الجسم والتي تشترك في تحقيقها الفيتامينات المختلفة .

●● كلمة لا بد منها : إن الناظر إلى الخلية الحية ، مهما كان نوعها سواء أكانت في جسم الإنسان أو في الحيوان أو في النبات أو الخلية الجرثومية ، وما يجري فيها من تفاعلات كيميائية ذات العدد الكبير والمتنوعة الاتجاهات والتي كل واحد منها يحد ذاته مجالاً واسعاً من العلم والمعرفة وذلك لما يتضمنه من مركبات تدخل لتحقيقه وشروط وعوامل متعددة تشترك في انجازه . وكذلك الناظر إلى الاختلافات ما بين تفاعلات تجري في خلية عضلية وخلية عصبية ، والطرق المختلفة لتنظيم سير جميع هذه التفاعلات إن الناظر المتعمق إلى هذه الأمور كلها سيصل بفكره العلمي إلى حقيقة أزلية وهي أن وراء كل ما يجري في الخلية الحية بصورته المنظمة إلى أبعد حدود التنظيم والدقة الفائقة خالق عظيم مبدع ومسير لجميع هذه الأمور . وصدق قوله تعالى في محكم تنزيله : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ . وما زلنا نكتشف في كل ما يمر بنا أشياء جديدة عن حياة هذه الخلية وما يجري فيها من أعمال وأفعال .

جدول : تصنيف الفيتامينات وبنيتها الكيميائية ودورها كعامل مضاد للأمراض ومصادرها الطبيعية

الزمرة	الفيتامين	البنية الكيميائية	دوره كعامل مضاد للأمراض	أهم مصادره الطبيعية
الفيتامينات المنحلة في الدهون	A	مشتقات الريتينول	عامل مساعد لعملية الرؤية في العينين .	زيت السمك ، الزبدة ، الخضار الحمراء والمصفرة (مثل الجزر) .
	D	مشتقات الستيروول	عامل مضاد لمرض الخرع عند الأطفال .	الحليب ، صفار البيض ، الدهون .
	E	مشتقات البنزوبيران	عامل مساعد لعمليات الإخصاب الجنسي عند الإنسان والحيوانات .	الحليب ، الزبدة ، بذور الحبوب ، أوراق النباتات الخضراء .
	K	مشتقات الكوينون	عامل مساعد لعملية تخثر الدم .	أوراق النباتات الخضراء .
	F	مجموعة من الحموض الدسمة غير المشبعة	عامل مساعد للنمو ولتنع جفاف الجلد وسقوط الشعر .	الزيوت النباتية .
الفيتامينات المنحلة في الماء	B ₁	التيامين	عامل مضاد لمرض البري - بري .	قشور الحبوب (التخالة) .
	B ₂	الريبوفلافين	عامل مساعد لنمو الحيوانات حديثة الولادة .	الحليب ، صفار البيض ، الكبد .
	B ₃	حمض البانتوتينيك	عامل ضروري لنمو الجسم بصورة طبيعية .	الحليب ، صفار البيض ، الخميرة ، أوراق النباتات الخضراء .
	PP	مشتقات حمض النيكوتينيك	عامل مضاد لمرض البيلاجرا	نخالة الحبوب ، الكبد .
	B ₆	مشتقات البيريد وكسال	عامل مضاد لبعض الأمراض الجلدية .	نخالة الرز ، اللحوم ، الكبد .
	B ₁₂	مشتقال الكوبال أمين	عامل مضاد لفقر الدم .	صفار البيض ، الحليب ، اللحوم ، الكبد .
	B _C	مشتقات حمض الفوليك	عامل مضاد لفقر الدم وعامل ضروري لنمو الحيوانات بصورة طبيعية .	أوراق النبات الخضراء ، اللحوم ، الثمار الخضراء ، الحليب ، البيض .
	C	حمض الأسكوربيك	مضاد لمرض الاسقربوط .	الفواكه الطازجة ، الحمضيات ، البندورة .
	H	مشتقات البيوتين	عامل مساعد لعدم تساقط الشعر والتهابات الجلد عند بعض الحيوانات .	البيض ، الخميرة ، اللحوم ، الأغذية النباتية .



تطبيق عملي لأحدث أعمال الديكور الرائعة

المشهورة : الممثلون الوحيدون لمؤسسة جنسان العالمية

بناء قصور وفلل - مشاريع عمرانية
ديكورات داخلية وخارجية .

تلفون ٢٣٧٤٥ / ٢٣٧٠٠ - تليكس ٢٠١٣٣٦ - الرياض

مؤسسة المشهورة

من الأدب الألماني المعاصر
تأليف: هورست بينك
ترجمة: د. مصطفى ماهر



أحداث في الظلام

كلمة عن هورست بينك

★ ولد هورست بينك في ٧ مايو / أيار من عام ١٩٣٠ م، في مدينة جلايفيتس، بمنطقة سيليزيا العليا (التي كانت جزء من الأراضي الألمانية حتى عام ١٩٤٥ م، ثم أصبحت بعد الحرب العالمية الثانية إقليماً بولونياً)، وأقام حيناً في بوتسدام وبرلين الشرقية. وقد عرف عن هورست بينك شغفه بمسرح برتولت بريشت، واتصاله بالأديب المسرحي الكبير اتصال التلميذ بالأستاذ، وفي عام ١٩٥١ م، قبضت عليه السلطات وحاكمته، وحكمت عليه بالسجن خمسة وعشرين عاماً، قضى فترة منها في سجون موسكو، وفي معتقلات نائية عند المحيط المتجمد الشمالي. وظل هورست بينك في ظلمات سيبيريا حتى عام ١٩٥٥ م، حيث صدر عفو عنه بعد موت ستالين. وفي عام ١٩٥٦ م، نرح إلى ألمانيا الغربية، وعمل هناك في إذاعة منطقة هيسن، ثم عمل بعد ذلك كاتباً ومحرراً ومراجعاً في دار نشر بيمونيخ، وأخرج مجلة «صفحات وصور» لتشجيع أدب وفن الطليعة. وله إلى جانب نشاطه الأدبي نشاط في الإخراج السينمائي.

نذكر من أعماله : كتاب أحلام سجين (قصائد) ١٩٥٧ م، قطع ليلية (قصص) ١٩٥٩ م، أحاديث مع بعض الكتاب عن أعمالهم وكيف ينشؤونها ١٩٦٢ م، ماذا كان وماذا يكون (قصائد) ١٩٦٦ م، الزنزانة (رواية) ١٩٦٨ م، قصائد وجدتها (شعر) ١٩٦٨ م، الزنزانة (فيلم سينمائي) ١٩٧٠ م.

وتحتل خبرة السجن والاعتقال مكاناً هاماً في أدب هورست بينك، الذي يدعو إلى الحرية في أسمى صورها منطلقاً من صور الأسى والمعاناة، التي يجيد رسمها وينفذ بها إلى حواس القارئ وقلبه وعقله، حتى يظن أن الكاتب غارق في الحزن واليأس، ولكنه يعرف كيف يسلك به في هدوء فلسفي إلى طريق الأمل : فهو القائل في قصيدة «الزمان الذي يليه» :

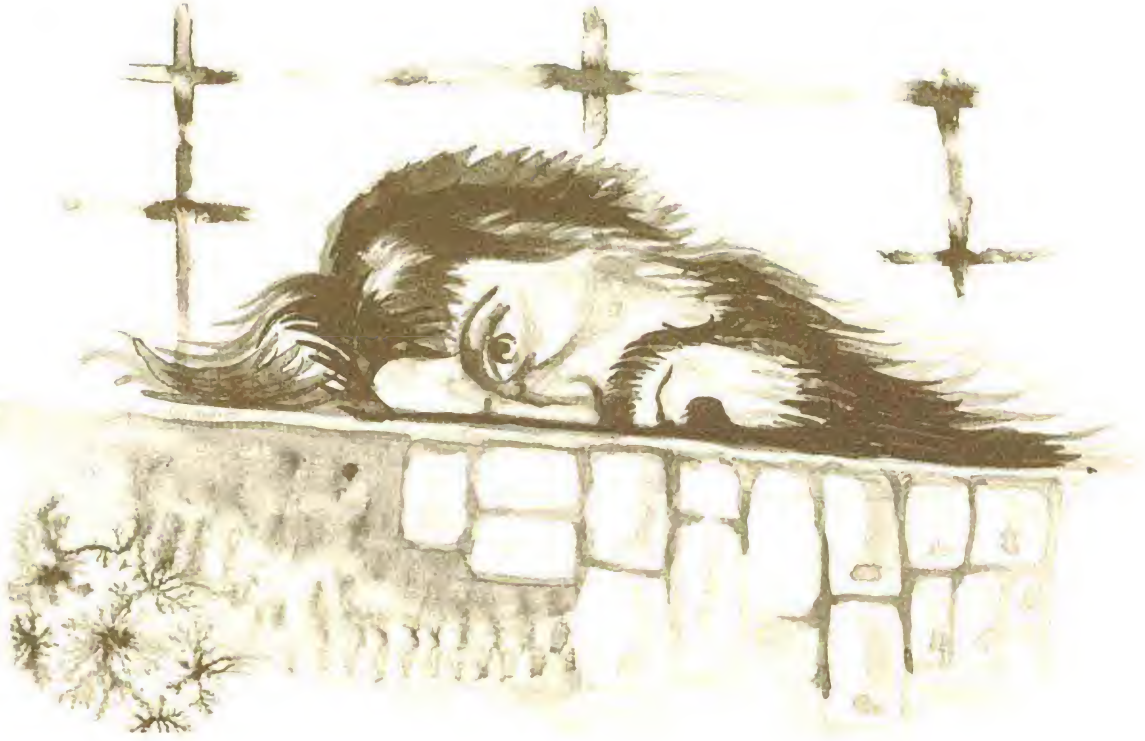
«ونستأنف المسير

على الطريق من زمان

إلى الزمان الذي يليه» .

وقصة «أصوات في الظلام» ظهرت لأول مرة مطبوعة في عام ١٩٥٦ م، ثم ضمها فيما بعد إلى

مجموعة «قطع ليلية» ★



انخرست ، وعاد السكون ، فخم على المكان كاملاً . إلا الرجل الذي تكلم منذ قليل ، فقد أخذ يتلوى قلقاً ، فزعاً ، فوق جوالق قشه ، وظل يتمم على نحو خفيض مبهم حيناً ، ثم سكن هو الآخر سكوناً كاملاً .

وزحف السكون بالسيف على روبرت ، وتزايد الألم الذي كانت تحدثه به الحلقة كلما تزايد سكونها . ورأى أن عليه أن يقول شيئاً . . أن عليه أن يحطم هذا الصمت . فلم يعد يطبق ذلك السكون الذي امتد فيه هذا المكان غير المحدد إلى ما لا نهاية .

— أنت هناك ! لقد صرخت منذ قليل ، أليس كذلك ؟ قال هذه الكلمات متلعثماً ، وأحس كأن كل كلمة من كلماته اصطدمت بالحيطان ، وارتد إليه صداها . فلم يتلق جواباً . إلا أن الرجل الذي كان قد صرخ منذ قليل ، عاد فتلوى من جديد فوق جوالق قشه . فوجد روبرت في ذلك ما شجعه على الاستمرار في الكلام :

— لا بد أن أعتذر إليك . فقد أفزعتك . لقد خطوات بضع خطوات فعثرت في جوالق قش . وعند ذاك . . . وعند ذاك . . . وسكت فجأة . وأحس بالآخر ينهض . حقيقة أنه لم ير ذلك رأي العين ، ولكن كان يعرف حق المعرفة أن الرجل الآخر قد قعد الآن ، وأخذ ينظر إليه .

وقال الآخر في ببطء وتؤدة :

— ما أشد الظلام !

● نعم . إن الإنسان لا يستطيع أن يرى حتى يده ، مهما قربها من عينيه .

لقد أحدثت هذه الكلمات في وسط الظلام طنيناً كطين الحشرات .

— أين نحن هنا ؟

أن يكون في سجن مظلم ظلام الليل ، فذلك فكرة بدت لروبرت مضحكة وسخيفة ، حتى أنه مسح بيده على وجهه : وكم كانت دهشته عندما وجد على ذقنه شعراً قصيراً خشناً له وخز كالإبر ، ونهض وهو ما يزال في حيرة الإدراك ، وتحسس طريقه إلى الأمام على الحائط البارد الرطب . وما كاد يخطو خطوتين ، حتى تعثر في جوالق من القش كان ممدوداً على الأرض . فهوى وارنطم رأسه ارتطاماً عنيفاً بجسم رجل ، صحا من نومه فجأة مفزوعاً ، وصرخ صرخة عالية كصرخة الحيوان . فقفز روبرت إلى الخلف ، والتصق بالحائط وهو يرتعد . وهنا خطرت بباله التفصيلات كلها مرة أخرى : القبض ، والتحقيقات ، المحكمة ، الحكم ، ثم هذه الزنزانة الآن ، التي لم يكن هناك من يعلم هل هي زنزانة حقاً ، فلم يكن بها سوى ظلام دامس ، وحلقة مُطبقة في كل الاتجاهات تطبق على جسده كالثوب الضيق ، وتنفذ إليه من خلال أنفه وقفه وأذنيه ، فلم يعد يحس شيئاً سوى الحلقة المريرة المسرفة . ثم ها هوذا الآن يحس أصواتاً مختلطة تصافح أذنه ، ويتبين صوت خرشة وزحف ، ثم يسمع بعد ذلك أصواتاً ترتفع ، وترتفع مطالبة بالهدوء . وسكت الرجل الممدد فوق القش شيئاً فشيئاً . واستند روبرت إلى الحائط منحنياً ، منطوياً على نفسه ، مثل إنسان خائف . ولكنه لم يكن خائفاً ، بل كان يجحد في ذاته رغبة في اختراق الظلام بعينه ، فإن لم يستطع ، فبأذنيه . وقال الرجل الذي كان قد صرخ منذ قليل شيئاً ، قاله بصوت لا يزال الفزع يتردد فيه :

— رياه ، ماذا حدث ؟ ماذا جرى ؟

فلم يرد عليه أحد . كذلك روبرت لم يرد عليه . كل ما في الأمر أن روبرت دهش لسماع صوت بشري ، ولغة فهمها . فقد ظن ، عندما سمع الصراخ منذ قليل ، أن الحيوان عندما يقتل يصرخ على هذا النحو . وحبس روبرت نفسه حتى لا ينكشف أمره . وكانت الأصوات التي صافحت أذنيه قد



من المساء . وهم يدفعون إلينا الطعام من خلال طاقة ، ولكن الممر الخارجي مظلم كذلك ، لا يرى الإنسان فيه شيئاً .

— ولكنهم عندما يدفعون إلى هنا بزييل جديد ، أو عندما يأخذون منا واحداً إلى الخارج ، لا بد يفتحون الباب فنستطيع أن نرى من يقوم بمراسمتنا .

● أنا لم أر حتى الآن حارساً . فهذا الذي تحدث عنه ، يحدث فجأة عندما ينام الجميع ، فينفتح الباب ، ويدفعون بالزبل الجديد إلى الداخل . كما فعلوا بك منذ قليل . فلا يتسرب إلا بصبص قصير من النور ، وتيار بارد من الهواء . هذا كل ما في الأمر .

وقال روبرت موجهاً الكلام إلى نفسه أكثر مما وجهه إلى الآخر :

— رباه ، هذا شيء رهيب !

ثم قال بصوت مرتفع :

● إنك لا تفتأ تقول «نحن» فهل هنا آخرون ؟

— نعم . أظن أننا الآن خمسة . والآخرون يرقدون إلى الخلف . وليس منا من يعرف على وجه التحديد عدد من هنا . فقد أخرجوا في الفترة الماضية أكثر مما أدخلوا .

وأحس روبرت برجفة ساخنة في بدنه . وقبض بيديه في عنف البياض الجيري الرطب المتفتت . واستحالت الحلقة السوداء إلى حلقة بنفسجية وأخذت تتراقص .

وسمع الرجل الآخر يقول :

● ارجع إلى الخلف خطوتين تجد جوالقاً من القش خصص

لك . وإذا أصبت بغثيان في الركن دلو .

وترنح روبرت خطوتين إلى الخلف ، وهوى فوق جوالق القش . ودهش إذ

● هذا هو بالضبط السؤال الذي كنت أريد أن أوجهه إليك .

وأحس الاثنان أن أفضل ما يفعلانه هنا هو الصمت . فمن لا يستطيع الإجابة على هذا السؤال ، لا يستطيع الإجابة مطلقاً . ولكنها استمررا برغم ذلك في الكلام ، وتشبها بكلمات فارغة غريبة حتى لا يفترقا في الظلام .

— هل يوجد هنا شباك ؟

● لا . لكن هناك سرادب للتهوية . في هذه الناحية .

ويبدو أن الآخر أشار بيده إلى اتجاه ما . ونسي أن أحداً لن يستطيع رؤيته .

— ... ونحن نسمع أحياناً من خلال السرداب صرخات تأتي

من أعلى . وصوت تصفيق أبواب . ولقد سمعت منذ أتيت إلى هنا ثلاث مرات صوت اطلاق أعيرة نارية .

● هل أنت هنا منذ مدة طويلة ؟

— لا أعرف . وأنا أتصور أحياناً أن سنوات لا بد قد مضت

منذ حبسوني هنا . وأتصور في أحيان أخرى ، أنني هنا منذ ساعات معدودة . وأنا في الحقيقة لا أعرف .

وسكت روبرت هنيهة ثم عاد يسأل :

— ألا يدخل النور إلى هنا أبداً ؟ أعني ، ألا يعلم من هنا

أبداً ، متى يكون نهار ، ومتى يكون ليل ؟

● هنا ليل دائم . هذا ما نعرفه . هذا هو الشيء الوحيد الذي نعرفه .

وعض روبرت شفتيه . ولم يعد يعرف كيف يسأل . وقد بدا له أن الآخر يعرف المزيد . ولم يكن بد من أن يستخرجه منه . فسأل متردداً :

— وماذا عن الطعام ؟

● ليس رديئاً . وهم يقدمون إلينا نوعاً واحداً دائماً ، فلا نعرف الصباح

وقع على شيء طري ، ودهش أكثر لأن الرجل الآخر ، كان يعرف الأشياء معرفة دقيقة . فكيف استطاع أن يرى في الظلام الخالك جوالق القش ، وكيف استطاع أن يعرف مكان الدلو ؟ ربما كانت الظلمة ، الظلمة الخائفة الراجفة المؤلمة ، له وحده . أو ربما كان أعمى ؟ وهنا استبد به الخوف . لقد عاد يحس بالخوف ينساب في عروقه لأول مرة منذ وقت طويل . لم تكن التحقيقات والحكم والطلبات النارية ، هي التي أعادت إليه الشعور بالخوف . أما أن يكون قد أصيب بالعمى ، فلم يعد يستطيع الرؤية في وقت ظل فيه يستطيع التفكير ، فكان الشيء الذي أخافه وأفزعه . وتلمس عينيه ، وشعر بجفنيه يرتجفان . وصرخ :

— أترى أصبت بالعمى ؟

وجاء صوت الرجل الآخر هادئاً عاقلاً . وأرهف روبرت السمع :

● لا ، إن الظلمة الخالكة في هذا الجحر هي التي تعمينا . وعندما يمضي عليك حين في هذا المكان ، ستتعلم الرؤية في الظلام . لقد اعتدنا جميعاً عليه .

ونهض الرجل . وسمع روبرت حركته ، فاعتدل وحلق ناحيته . وظن أنه يرى شبحاً عندما سمع وقع أقدام زاحفة . فقد ذهب الرجل إلى الدلو ففتحه وتبول فيه . وسمع روبرت الماء يترجح ، فخطر بباله على الرغم منه أن الرجل كان قد صرخ منذ قليل كالحيوان وفكر في أن الغزال يصرخ على هذا النحو عندما يقتلونه . وعاد الرجل إلى مكانه .



ورقد روبرت وضم ذراعيه تحت رأسه . وشل التعب أفكاره بضع ثوان . وفجأة أحس على نحو واهن مشتاق بجنين إلى إحداث ضوءاء ، إلى إحداث ضجة عالية تصم الأذان ، لا هذه الزحزحة الخفيفة والخريشة التي تنتهي إلى السمع من أقصى الخلف . أحس برغبة في الاستمتاع بضجيج قاعة تمتلئ بالالآت ، أو دوي وإبل من القنابل . وانطوى على نفسه . وسأل بصوت خفيض :

— ما اسمك ؟

ولم يرد الرجل الآخر . فقال روبرت :

— سأسميك غزالاً . فأنت عندما صرخت ، خطر ببالي أن الغزال يصرخ على هذا النحو عندما يقتلونه .

وأضاف :

— هل أدنت ؟

فرد الغزال :

● كل من هنا مدانون .

— هل أنت أيضاً... ؟

فقاطعه الغزال قائلاً :

● لا . لقد قتلت إنساناً . ولكن نفس العقوبة .. أنت كثير الأسئلة .

وسكت روبرت . أما إلى الخلف في وسط الظلام ، فقد أحدثت الخفافيش حفيفاً . كانت تنهاس وتنشاور . وبسط أحد الخفافيش جناحيه على سعتها وانطلق يتردد خلال المكان . ورأى روبرت طيفاً أكثر ظلمة من الظلام . أم هل خدع بصره ؟ وتوقع أن يلمسه جناح . وانتظر الإشارة . انتظر أن ينير الظلام . لا دفعة واحدة ، كمن يدير المفتاح ، فإذا بالفراغ حوالبه قد استحالت إلى مكان ، بل توقع أن يتلون شيئاً فشيئاً . ربما باللون الأزرق أولاً ، فيصبح الهواء كالحرير ، ثم يزداد نضاعة فيصبح الهواء ، كالدخان الذي يتحلل ، وأخيراً يصبح الحائط الأصفر أصفر بالفعل ، والأرض السوداء سوداء حقيقة ، وتتراحم الخفافيش في الأركان وتحطم في فزعها نسيج العناكب . وقعد الطيف الذي كان يقترب كالخفافيش عند جوالق القش : لقد جلس إنسان من البشر وتكلم معه :

● أنت الجديد ، أليس كذلك ؟

وحلق روبرت فيمن ظنه طيفاً ، في ذلك الذي جلس قريباً من رأسه ، يكاد يلامسه وهز رأسه . وخطر بباله أن الآخر لا يقدر على رؤية إماءته . فقال بصوت عال :

— نعم ، لم يمض عليّ وقت طويل هنا . وأنا لا أعرف أين أنا .

وبدا على الآخر كأنه يفكر . ثم سأل :

● أترى أتيت من فوق ؟ هل قابلت أخي ؟

ثم أضاف ، وكأنه يهدف إلى التوضيح :

● فانا أبحث عن أخي .

وجلس روبرت . وأحس إحساساً واضحاً بمن أمامه . بل لقد تصور أنه يستطيع وصفه ، لشدة اعتقاده في أنه كان يراه بوضوح : لا بد أنه كان صغير السن ، لا يزيد على العشرين ، قصير الشعر ، رقيق الوجه ، لين القسبات وإن ظللها الحزن ، كبير الفم ، أحمره ، فكانه جرح ينزف ، يرتدي سترة سوداء مشقوقة مقللة حتى أعلى الرقبة : هكذا عاش في خيال روبرت .

وسأل روبرت :



— ومن أخوك ؟ أنا لا أعرف من تكون ؟

وأسرع الآخر شارحاً :

● أنا أركادي ، وأوليفر أخي . إنه يكبرني بعامين . ولكنه يشبهني جداً .
إلا أن فيه أصغر من في وأكثر منه انقباضاً . وهو صموت جداً . ولا بد أنك
رأيتَه فوق .

وحاول روبرت أن يتذكر . فلم يختلط منذ اعتقاله إلا بالقليل من الناس .
فأجاب بالنفي .

— أنا لا أعرف هل أتيت من فوق . كل ما أعرفه أنني كنت
في زنزانة انفرادية .

وقال الآخر الذي يبحث عن أخيه مؤكداً :

● كلهم يأتون من فوق . وهم يدفعون بنا إلى أسفل فأسفل . حتى نجبر
الأم .

عندما كانوا يجرون روبرت إلى التحقيق تلو التحقيق سمع عن رجل أراد
الهروب فأطلق الحرس عليه النار في الخارج . كان الناس يتحدثون عنه ،
ويتحاكون قصته بالدق على جدران الزنانات جميعها . وتذكر روبرت القصة
فجأة ، وخطر الاسم بباليه : أوليفر . لقد كان الرجل الذي قتلوه على الأرجح
أخاه . ويبدو أن الخبر لم يصل إلى هنا بعد . فهل يقصه عليه ؟ أكان من
المستطاع فتح هذا الجرح النازف أكثر مما فتح ؟ ذلك الفم الذي ذبل من كثرة
الموت .

وسمع الآخر يقول له :

— يمكنك أن تقول كل شيء دون ما قلق . فنحن هنا جميعاً
من قطاع السياسة . إلا هذا هناك (وقام بحركة ما في الظلام)
فهو قاتل . ولكنه إنسان طيب . وأخي بريء ، أتعلم هذا . لقد
نسبت أنا كل شيء إلى نفسي . ولعلهم قد أطلقوا سراحه ؟
وقال روبرت مضطرباً كل الاضطراب :

● نعم .

ربما لم يكن أوليفر هذا قد مات . وربما كان هو ، روبرت ، ذلك
الشخص الذي قتلوه في أثناء الحرب . فقد كان دائم التفكير في الحرب . وربما
كان الموت الحقيقي على هذا النحو : ظلمة أبدية مطبقة صفيقة . وفي هذا
المكان اللانهائي بعض الملعونين ، قد غُلِّوا إلى الليل البهيم فلا فكك لهم منه .
فهل لو قال له إن أخاه مات ، يكون قد قال له الحقيقة ؟ وصمت .

وقال الشاب :

— أنت إذن لا تعرف شيئاً . لقد كنا ، أنا وأخي ، متحابين ،
يجب الواحد منا الآخر كل الحب .

وظل روبرت صامتاً . ومسح بيده على جبهته التي نبت عليها بعض
الشعر القصير الحشن . وقام بعضهم في أقصى الخلف محدثاً ضجيجاً ، وخطا
خطوات ثقيلة إلى الدلو . لقد سار في الظلام مطمئناً اطمئناناً أثار دهشة
روبرت . وبدأ عليه لبعض ثوان أن تفكيره تشتت ، ثم اتجه مرة أخرى إلى
الشاب وسأله :

● هل تستطيع أن تراني ؟

فأجاب الشاب في غير تردد :

— نعم . منظر كمنظر كلب كبير . ولقد كان عندنا في
البيت كلب حراسة أسود كان يشبهك .

وأراد روبرت أن يضحك . ولكنه فزع من نفسه . ومسح تلقائياً على
وجهه ، ونحس بكفه أنفه وفه وذقنه . ثم مد يديه إلى أمام ، كأنما أراد أن
يصد عن نفسه شيئاً . وغطى بعضهم في الخلف الدلو ، وسار بأقدام ثقيلة
عائداً أدراجه . وسأل روبرت :

● من هذا ؟

— إنه فلاح مسن . يدعي أنه دخل السجن منذ كان شاباً . ونحن
نسميه بكل بساطة حصاناً لأنه يحب كالحصان القبيح .

وضحك الشاب ضحكة قصيرة ، كانت نغمتها توحي بأن شيئاً لم يرد له
أن يخرج من ذات نفسه قد انساب معها . وساد صمت طويل .

كان الشاب لا يزال يقعد إلى روبرت ملتصقاً به . وإذا به يهمس :
● سيأتي الطعام بعد قليل . لقد سمع العجوز صلصلة الأواني ، فله سمع
حاد كسمع القطط . ابق هنا قاعداً حتى أناديك . ويمكنك أن تسميني
خفائشاً . والجميع هنا يسموني خفائشاً ولا أعلم السبب في ذلك . ولكن من
الأفضل ألا يعرف أحد الاسم الحقيقي .
ثم انطلق .

وهز روبرت رأسه . وقام واقفاً وسار ببطء في الاتجاه الذي ظن أن الدلو
سيكون فيه . وعقد النية على ألا يعود إلا إذا وصل إلى الدلو . ولمست قدمه
شيئاً طرياً . كان ذلك هو الموضع الذي رقد فيه الرجل الذي أسماه غزالا .
واستأنف السير . واعتقد أنه يرى من تحته أجساماً دافئة تنفس كأنها حيوانات
مظلمة في مرعى بهم . وتجاوزها ، وسار مئة خطوة ، ألف خطوة ، دون أن
يصطدم بحائط ، ودون أن يصل إلى الدلو . ولكن أصوات النائمين ظلت
حوله ، قريبة ، شديدة القرب منه ، وأحس أنه تاه في أدغال الظلام . كانت
الأجساد الحيوانية المظلمة تقفز وتتدافع . وكان هو يتبع الأصوات . فاصطدم
برجل كان يثني ذراعيه . فوقف روبرت خلفه ، وتحسس رأسه ورقبته
وجسده : لقد كان إنساناً . وهنا تلقى لكزة في جنبه ، فانتفض . ودفع بنفسه
إلى الأمام ، فوصل إلى فتحة ينساب منها تيار . وقدمت إليه ذراع نحيفة ،
باهتة البريق صحناً يتصاعد منه بخار . فتناول الصحن ، وحاول أن يلقي نظرة
من خلال الفتحة ، ولكن بعضهم لكزه من الخلف ، فابتعد بصحنه ، ووجد
طريقه الآن إلى جوالق قشه في غير صعوبة .

وقعد هناك وأكل . وسمع الآخرين يقلبون في حسانهم أو يتجرعون
بصوت عال . وقال في نفسه : رياه ، هل ستبقى هذه الظلمة أبداً ؟ ثم قال
في نفسه : إنني سأجن هنا . ثم قال في نفسه : هذا هو الجحيم .
وأتى الخفائش بعد الطعام وأخذ الصحن . وتمدد روبرت فوق جوالق
القش ونام . وكان الخفائش قد حمل إليه غطاء قديماً مهلهلاً وغطاه به .
فلما صبحا سمع الثلاثة يتكلمون في الخلف . كان الغزال يرقد غير بعيد
ويغني لنفسه بصوت خفيض ، وقد فتح شفتيه فتحة صغيرة . وامتدت
الأصوات في بحر الظلام كأنها أحبال النجدة . ووجد فيها ما طمأنه . لقد
تبددت العزلة . ونهض وسار بخطوات لم تزل مضطربة ، ولكنه سار مستقيماً إلى
الدلو . ووجده في الحال .

فلما عاد أمسك الغزال بسريره فأوقفه وقال له بصوت خفيض كالصغير :
— هه يا ... أقعد هنا .

وقعد روبرت على ركن من أركان جوالق القش . وظل الآخر ممسكاً به .
وسأله الغزال بصوت خائف :

● هل تعتقد أننا سنخرج من هنا يوماً ما ؟

ودق قلب روبرت بشدة دون أن يعرف السبب ، وقال بسرعة :

— لا أعرف . لا أعرف . ولكنني سأجن إذا لم يحدث هذا عما قريب .
وأحس كأن الظلمة شلال ينهمر فوقه . وأحس كأنه مخدر . ودوى هدير
القنابل ، وارتج الهواء . صرخ روبرت عندما نظر في الهاوية تحته ، ورأى
الحيوان يحمق فيه بألف عين : الجنون . وأحدث الهواء طنيناً ، وفاحت منه
رائحة الرمة ، واستحال الهواء إلى إبر ، وأخذ الحيوان يلعبه باللسنة دامية .
فلما التحمت الهاوية ، كانوا يجلسون حوالبه ، وسمعهم روبرت يتكلمون .
كانوا يتكلمون بصوت خفيض . كانوا يحكون عن يوم الأحد ، وعما كانوا

يعملونه فيه . عندما كانوا في الخارج ينعمون بحرية يوم يضيء بنور الشمس .
كانت الكلمات تتصاعد كدخان من بيوت ساكنة وترسم صوراً مخزعة . وذهب
إلى جوالق قشه ، وارتق الجزيرة . ومن خلفه تضاربت أمواج الالم .

ولم يبرح روبرت جوالق قشه إلا نادراً . كان يرقد مرتكزاً على يديه ،
ويحمق بعينين متألمتين في الظلام . لم يكن ينتظر إلا تلك اللحظة التي قد
ينفتح فيها الباب فيدخل شعاع من ضوء . كان ينتظر لحظة النور هذه . وكان
التعب يغلبه أحياناً ، فيهوي رأسه ، ويستغرق في نوم كالغروب ينتزعه منه
أوهى صوت . فقد كان الخوف من أن يفتح الباب في غيبة منه يحدث في مخه
طنيناً كطنين حشرة خبيثة .

ولقد حدث ذلك عندما كانوا جميعاً نائمين . فقد تحرك مفتاح في القفل .
وسحب المزلاج ، وانفتح الباب . وقطع شعاع أبيض من النور الظلام بسكين
حادة . وجهد النور في الزلزلة ، فكانه جدار مائل من الرخام الأبيض . وانحنى
روبرت على جوالق القش وحلق في النور بعينين محمومتين . ووقف بالباب
جندي على رأسه خوذة عالية . وسرت في جسد روبرت قشعريرة ، وأحس
بنفسه وحيداً ، عارياً ، منعزلاً . وسمع الجندي يصرخ . وسمعه يسب ويلعن .
ثم رأى أجساد الحيوانات المظلمة تقفز إلى شعاع النور . وجذب النور المعاندين
كما يفعل المغناطيس . وتقدم الحصان مثاقلاً يغلبه النعاس ، وتدلّى العرف
الرمادي القدر الطويل إلى الخلف ملبداً على رقبته النحيلة . أما جسمه ، فكان
قد عجف وأخذ يتأرجح بين ساقين مشلولتين . لقد كان الحصان حصاناً
فعلاً . وتبعه الخفائش ، وقد تدلى رأسه الصغير إلى جانب ، ولم ينتشر جناحاه
إلا إلى النصف ، ولكنها كانا كبيرين على نحو يشير الرعب . وأحس روبرت
لحظة أن عيني أركادي اتجهتا نحوه ، وكان يعرف أنه تصورها على هذه الهيئة ،
كان يحس كأن حشرات مؤذية تحيط به أسراباً أسراباً ، والدود يأكل من
لسانه . وتحركت عضلات فكاه ، وخشي أن يتقيأ في أية لحظة . وهنا رأى
الغزال . كان الغزال كبيراً رمادي اللون . وقد تدلت أذناه واهنتين إلى جانبيه
رأسه الذي طأطأه . وترنح الغزال في النور كحيوان أعمى ، وتعثر في أرجله ،
وانكفأ على رجليه الأماميتين . ودفعه الجندي بحذائه الطويل وبغير رحمة خلال
الباب ، فانزلق الجسد على الأرض . وقبل أن يغلق الرجل الذي يلبس الحلة
الرسمية الباب من الخارج ، جرى حيوان صغير أسود إلى الخارج بقفزات
سريعة ، ولم يستطع روبرت أن يتبين من هو . ثم أغلق المزلاج في عنف .
وعلا زيد الظلمة وطوته كموجة من أمواج البحر .

ثم تسلل السكون ، ذلك الحيوان الهائل النهم الصموت ، وهجم على
روبرت . فصرخ وهو في المكان الذي كان يقيم فيه الرجل الذي أسماه غزالا .
كان جوالق القش خالياً . ونادى روبرت على أركادي ، وانطوى صوته على
نفسه ، فلم يخرج من حلقه سوى نباح مبجوح . وقفز إلى الخلف ونهيش في
جوالق القش الأخرى . كانت كلها خالية . كان هو وحده الذي بقي في هذه
الظلمة اللعينة الجنونية الفتاكة . هو وحده . وأحس بالدود في فمه ، وبالقرف
يخنقه . وأخرج لسانه كما يفعل الكلاب ، وانتظر أن يأتي من يناديه بالسباب
واللعنات .

مسرح حبل

والخشونة في لعبهم ، كنا نعتمد على الفن والذوق .. وبينما كانوا يلعبون ارتجالياً ، كنا نلعب بخط مرسومة ومحكمة ، نقضي الأوقات الطوال في إعدادها والتدرب عليها .

يضم فريق الورشة بين ما يضم من لاعبيه « عمر القرمة » الذي كان يلعب حافي القدمين ، ولا يفرق بين ركل الكرة أو قطعة من الحجر ، وما اشتهر عنه ، أنه لم ينظر إلى الكرة مرة وهو يسدها بقوة ، فسدد في الأرض وشق ظفر أصبعه الأكبر ونزف منه الدم غزيراً ، فما كان منه إلا أن انحنى على أصبعه ، ونزع الأظفر وألقى به جانباً وأكمل اللعب ، وكأن شيئاً لم يكن .

كنا نناضل في مبارياتنا ضد عمر القرمة وزملائه .. وكانت الجماهير تضحك لذلك - حتى مشجعهم - عندما نهزأ بهم لعباً .. وهو ما كان يُطير صوابهم ويدفعهم أكثر إلى تعمد الخشونة واستعراض الألعاب الفدائية ، فلم يكن يهمهم إلا الفوز بأي ثمن .

وفي إحدى مبارياتنا ، التقطت أذني ، ونحن مندبجين في اللعب من أحد المشجعين كبار السن قوله : « ربنا يسترها اليوم ، لا بد أن اليوم سينتهي بقتيل .. » ، أفزعني الكلمات ، وكدت أوقف اللعب لأحذر زملائي ، فقد جئنا للعب لا لنقاتل فيموت منا أحداً ، وعلقت بهذا المعنى عندما ارتطم بي المعلم رشاد ، أكبر لاعبي فريق الورشة ، وعلق هو على كلامي بأن قال : « يا عم قل يا باسط .. لا أحد يموت ناقص

لم يكن يمر علينا يوم ونحن صغاراً ، لا نلعب فيه الكرة ، كما يفعل معظم الأطفال عندما يجتمعون ، وكنا نمتاز عن الآخرين بأن كافة مبارياتنا منظمة ، نقيمها في شكل دوري ونصف دوري .

كان كل أفراد فريقنا من طلبة الثانوي ، وكنا نطلق على أنفسنا اسم « فريق سددو » - بكسر السين - وذلك لأننا كنا متشابهين في ضآلة الجسم ، وبروز عظام القفص الصدري ، وفي نفس الوقت فنانين في اللعب ، متفاهمين مكملين لبعضنا البعض ، فزنا في أغلب مبارياتنا وخاصة تلك التي كانت ضد فريق « الورشة » أقوى الفرق .

كان فريق الورشة يتكون من صبيان الورشة والعاملين باليومية في إحدى الشركات التي كنا نلعب في الطريق المجاور لها في ظلال أشجار الصنوبر التي ذبحوها أخيراً .

كانت كل مباريات فريق الورشة ، سواء أمامنا أو أمام غيرنا ، تقام بين الساعتين الحادية عشرة والثانية عشرة ، وقت الراحة والغداء ، وكان يتجمع لتشجيعهم أعداد غفيرة من العمال الذين كانوا ينقطونهم بالمال .. وكانوا يكافئونهم أولاً بأول ، لذلك كانت مباريات فريق الورشة ، وخاصة ما هو ضد فريقنا ، من أقوى المباريات .

كما كانت مبارياتنا معهم مباريات قة ، كانت مباريات تناقضات .. فبينما هم عمالقة ، كنا نحن أقزاماً .. وبينما كانوا يعتمدون على القوة

يذهب ، فابنته تحتضر وهو ذاهب ليبحث لها عن الدواء الذي لا يمتلك شيئاً من ثمنه . . رفضنا خوفاً من المسؤولية . . إلا أن الرجل الكبير الذي جس نبضه في البداية ، وطلب إلينا في صيغة الأمر أن نرحم الرجل ونتركه لحال سبيله ، وسوف يحل هو محله أمام رجال الإسعاف عندما يحضرون . ودس الرجل الذي كان يرتدي جلباباً أبيض كشعر رأسه ، مبلغاً في جيب الرجل المسن وساعده حتى سار بالدراجة وجلس هو على حافة الطريق ينتظر معنا .

ولما تبادرت أصوات أجراس سيارة الإسعاف إلى أسماعنا ، سارع الرجل واستلقى على الأرض ، وأغمض عينيه إمعاناً في قيامه بدور المغمى عليه . . ووقفت سيارة الإسعاف أمامنا في سرعة . . وقفز منها رجل الإسعاف ممسكاً بحقيبته ، اخترقنا وجثا على ركبتيه بجوار الرجل المتمدّد على الأرض ، ونحن نكم ضحكاتنا على هذه التمثيلية الهزلية التي اضطررنا الظروف إلى المشاركة فيها . .

أمسك رجل الإسعاف بمعصم الرجل المستلقي بعد أن مس جبهته ، وفي حركة ثقيلة مد يده وأغلق حقيبته ، ووقف وهو يقول . . آسف . . لا أستطيع عمل شيء ، ولا حتى حمله ، فالقانون يمنعنا من حمل الموق . . صحننا جميعاً : مستحيل ، فالرجل يمثل ، يقوم بدور من تركيبنا !! وعاد رجل الإسعاف يتأسف ويقول إن الرجل فعلاً ميت . . وعدنا نحن نضرب كفأ على كف ونقول . . مستحيل .

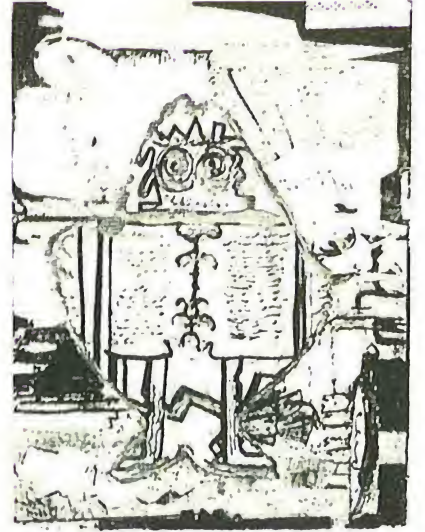
استمر اللعب بعدها واشتد ، واضطررنا إلى تهدئة اللعب ، وتبادل التمريرات الطويلة تضييعاً للوقت ، وكنا ننتهز الفرص لنسد كرات قوية من بعيد تمكنا معها من إحراز عدد من الأهداف ، وهو ما طير صوابهم أكثر ، وجعلهم كالحیوانات الهائجة وسط الملعب فتعمدوا الخشونة القتالة .

وبينا المباراة كذلك والمشجعون مندبحين على الجانبين ، اخترقت أرض الملعب دراجة يقودها رجل مسن ، سار وكأنه لا يرى تجمهرنا ، وسار هكذا بدون مبالاة . . قذفت الكرة قريبة منه فتراجع أحد مدافعي فريق الورشة ليوقفها ، ولم ير الدراجة خلفه فارتطم بها ، وأسقط الرجل المسن على الأرض يثن وهو فوقه ، وغاب الرجل عن الوعي . . غلب ظني بأن الرجل قد مات ، فتحرك نظري لا شعورياً إلى الرجل الذي قال منذ قليل يا رب استر . .

وهمت أقول له . . لقد تحققت نبؤتك ، إلا أن رجلاً كبيراً من بين المشجعين أمسك بيد الرجل وقال : « إلينا بالإسعاف فلا يزال ينبض » . . وجرت عدة محاولات للإسعاف طلب خلالها الإسعاف تليفونياً ، وبعد فترة أفاق الرجل ، ووقف من فوره يبحث عن الدراجة ويحاول ركوبها . . ولما سألناه أن ينتظر حتى تحضر سيارة الإسعاف ، حتى لا يتهمونا بالإبلاغ بالكاذب وإفلاق السلطات ، استرحنا أن نتركه



صناعة الكتاب من المؤلف إلى الناشر إلى القارئ



مطالعات...
في الكتب

المؤلف :

داتيس س. سميت

عرض وتلخيص :

فاروق صالح باسلامة

١٩٤٩ م ، والأستاذ محمود عبد المنعم مراد دبلوم المعهد العالي للصحافة والتحرير والترجمة عام ١٩٥٢ م . وقد بدأ الكتاب بتصدير بقلم الأستاذ أحمد رياض أباطة المدير العام لمؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر الذي يقول عن إسناد عمل ترجمة الكتاب إلى المترجمين المذكورين : « ولعلي أطمئن بهذا أنني اعطيت القوس بارها وأسكنت الدار بانيتها - على حد قول المثل العربي - » .

وبعد التصدير كانت المقدمة بقلم الدكتور السيد الصادق أبو النجا الذي يستهل مقدمته بقوله :

« يعجبني في هذا الكتاب أنه وضع يده في « زكية الفحم » من أول صفحة . لم يكتف بالمبدأ والنظر ، وإنما عالج التطبيق والممارسة . . لم يقل للقارئ « ماذا » وإنما قال « كيف » . لم يطف فوق السطح ، بل جال في الأعماق » (ص ٣) .

يشتمل كتاب (صناعة الكتاب . . من المؤلف . . إلى الناشر . . إلى القارئ) على خمسة أجزاء في مجلد واحد ، يضم نص الكتاب دون التصدير والمقدمة ٣٤٠ صفحة ، في ٢١ فصلاً .

الحقيقة أننا كمتقنين في دول نامية بدأت تفتح أعينها على مجالات علمية وثقافية وفكرية وأدبية وصحفية جديدة في أفاق الحاضر النامي والمستقبل المأمول ، أقول إننا والوضع كذلك ، بحاجة إلى أن نتعرف على ثقافات غيرنا من المجتمعات في الدول المتقدمة في مختلف مجالات العلوم والمعرفة .

وهذا كتاب جديد في موضوعه يتحدث - كما هو معروف عند الوهلة الأولى من اسمه - على كيفية تأليف وصناعة الكتاب بدءاً من لدن المؤلف نفسه مروراً بالناشر الذي يتولى طبع الكتاب وبالتالي توزيعه عبر المكتبات وبائعيها ومن ثم يصل إلى يد القارئ .

والكتاب ممتع وهو مترجم إلى العربية ، ألفه داتيس س . سميت الذي عرف بأنه « السفير الأميركي للكتب » والذي كان يشغل رئيساً لمؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر لفترة امتدت أكثر من أربعة عشر عاماً ، وهي المؤسسة الثقافية المعروفة . أما مترجمو الكتاب فهم الدكتور محمد علي العريان دكتوراه في التربية من جامعة كولومبيا سنة ١٩٥٢ م ، والأستاذ عصمت أبو المكارم ماجستير في المحاسبة عام

ومركزاً .

عملية نشر الكتاب

الجزء الثاني : وهذا الجزء من الكتاب يحتوي على سبعة فصول هي على التوالي :

- ١ - اقتصاديات نشر الكتاب .
- ٢ - إنشاء التحرير .
- ٣ - تحرير المخطوط .
- ٤ - تصميم الكتاب .
- ٥ - إنتاج الكتاب : الطبع والتجليد .
- ٦ - بيع الكتب .
- ٧ - الترويج للكتاب : تحضيض الناس على شراء الكتاب .

والمؤلف في هذا الجزء من كتابه يحاول مجتهداً إلى استيفاء موضوع نشر الكتب منذ طباعتها مروراً بتحريرها وتصميمها وتجليدها وبالتالي فيما بعد نشر الكتب على أسس وقواعد مادية مدروسة ومنسقة ، ويلاحظ على هذه الأسس أو البناء الفني - إن صح التعبير - لموضوع نشر الكتب وسيكولوجيتها أنه بناء مصطبغ بالنظرة المادية كالفصل الأول الذي خصصه المؤلف من هذا الجزء من كتابه عن اقتصاديات نشر الكتاب . ولا أعني أن هذه النظرة المادية عيباً من المؤلف بقدر ما أريد توضيح النظرة العامة في العمل الحياتي عند الغربيين عموماً .

أنواع نشر الكتب

الجزء الثالث : ويشتمل هذا الجزء على ستة فصول . وواضح أن المؤلف ، منذ الجزء الأول من كتابه فالجزء الثاني فالجزء الثالث هذا ، وهو يتحدث ويفصل القول عن نشر الكتاب أو الكتب . وسيتحدث أيضاً عن هذا النشر في الجزء الخامس وهو الجزء الأخير من الكتاب . ذلك يدل دلالة واضحة على أهمية نشر الكتب وأقصد به «عملية» النشر للكتاب وطبعه وتوزيعه وبيعه حتى قراءته بالتالي في نهاية المطاف . وهذه قضية ثقافية أو أنها ظاهرة علمية كبيرة منتشرة انتشاراً واسعاً في دور الكتب وطباعتها في البلدان المتقدمة كأمريكا الشمالية ودول أوروبا . أما فصول هذا الجزء فهي :

- ١ - الكتب التجارية وأنواع أخرى من النشر .
- ٢ - الكتب الدراسية .

ويتحدث المؤلف في هذا الفصل عن استحسان بعض دور نشر الكتب وتوزيعها في الغرب في بعض الأحيان لطبع ونشر الكتب والمقررات الدراسية سواء كانت الابتدائية أو الثانوية .

٣ - كتب الأطفال : يقول المؤلف في هذا الفصل :

« إن كتب الأطفال هي أهم كتب في العالم طراً ، ما في ذلك أدنى ريب (كذا) ، لأسباب ودواع عديدة .. » .

وهذا صحيح ليس فقط بالنسبة للكتب الدراسية التي تستعمل في

نشر الكتاب والتنمية

الجزء الأول وهو باسم : نشر الكتب والتنمية القومية ، ويشتمل على فصلين :

● الفصل الأول - فن التدبير والمآرب العامة .

ويستهل المؤلف هذا الفصل بقوله :
« في أي بلد سواء أكان مكتمل النمو أم في سبيل النمو والتطور ، فإن صناعة الكتب تعتبر صناعة صغيرة بالقياس المالي » .
ثم يستطرد المؤلف على قوله بهذا التمثيل الجميل إذ يقول :
« ولكن تماماً مثلما يستطيع محوّل صغير أن يحرك ويضبط آلة ضخمة أو جهازاً كهربياً يحمل الطاقة إلى مناطق بعيدة ، فكذلك نشر الكتب يعتبر أيضاً «مفتاحاً» .
ولكن أي مفتاح ؟ يقول المؤلف إن ذلك هو مفتاح للتنمية التربوية والاجتماعية والاقتصادية ، ومن ثم للمواطنة الصحيحة .. وأن يبلغ هذا التوضيح للرأي العام ، أو على الأقل لمن بيدهم زمام التخطيط القومي » (ص ٥) .

والمؤلف في فصله هذا يتحدث مستطرداً عن الكتاب ونشره وقراءته التي يقول بصدها :

« والقراءة الحرة التلقائية ، تمثل أرخص ضروب التعليم ، وهي خليقة بأن تنتصر على كل الصعوبات الأخرى بما في ذلك نقص المعلمين الجيدين ، وهي قينة بأن تؤثّر أكلها إذا توافرت الكتب الجيدة التي تتناول الحقائق المسيرة الفهم والأوضاع التي تمس حياة القارئ في خبراته » (ص ٦) .

● أما الفصل الثاني من الجزء الأول للكتاب الذي نحن بصده ، فهو باسم (شركاء في عالم الكتب) ، ويرى المؤلف في هذا الفصل أنه لكي تكون ثمة صناعة كتب يجب اتباع عناصر أربعة : «والعناصر الثلاثة الأولى تعتبر في حكم البديهيات المقررة التي يسهل فهمها :

- ١ - المؤلف الذي يكتب المخطوط .
- ٢ - الطابع الذي يحوّل المخطوط إلى طبعة من الكتب .
- ٣ - بائع الكتب الذي يعرض الكتب التي أنتجت .

ولكن الشريك الرابع هو الذي يحتل المركز الرئيسي والذي يعتبر عمله أقل الأعمال فهماً من جانب الناس الذين هم خارج ميدان الكتب ، وهذا الشريك هو : الناشر ، فالناشر هو المدير والمخطط والمنظم للمشروع برمته ، وهو الذي يجمع الشركاء الثلاثة الآخرين معاً . وهو الذي يأخذ عادة بزمام المبادرة في المغامرة في مشروع نشر الكتاب » (ص ١١) .
ثم يفصل المؤلف هذه العناصر الأربعة تفصيلاً دقيقاً جيداً ..

قاعات الدرس للتعليم والتدريب ، وإنما أيضاً بالنسبة لكتب الأطفال التي يقرؤها للتسلية أو المتعة خارج نطاق مناهج التعليم المقررة بالمدارس .
ويضيف المؤلف مستطرداً :

« فالكتب الدراسية ليست كافية ولا وافية بالنسبة لبلد ترتفع فيه نسبة محو الأمية على نحو موصول مع وجود نقص في المعلمين الصالحين » (ص ٢١٥) .

٤ - التوزيع الكبير .

٥ - نوادي الكتب وكتب الاشتراكات .

وبودي أن أعطي القارئ لمحة عن هذا الفصل الذي يتحدث عن نوع جديد بالنسبة لأنواع الأندية وخاصة في البلدان المتقدمة وهو أنندية الكتب . فللكتب في البلدان الراقية نوادٍ ومنتديات منظمة ومنسقة تماماً كالأندية الأدبية والثقافية في دولنا النامية .

فهناك نادي كتاب الشهر في الولايات المتحدة الأمريكية ، ونادي الكتاب العلمي ، ونادي الكتاب الديني ، ونقابة أدب الناشئة ... الخ . راجع (ص ٢٣٧) من الكتاب .

أما الفصل الأخير وهو الفصل السادس من هذا الجزء من الكتاب وهو الجزء الثالث فيتحدث عن (الترجمة : نافذة على العالم) . ويستهل المؤلف هذا الفصل بقوله : « إن الترجمة تفتح نوافذ على العالم ، وتسهم في تغذية العقل وإثراء الروح على نحو لا سبيل إليه بأية طريقة أخرى » (ص ٢٤٩) .

ثم يتحدث المؤلف - مستطرداً - عن صعوبات الترجمة ومشكلاتها بالنسبة للناشر .

وفي فائدة ترجمة الكتب وجدواها يقول المؤلف : « وطوال العصور ، كانت التراجم من بين أكثر الكتب تأثيراً ونفوذاً » . ويستطرد المؤلف حديثه عن ترجمة الكتب ويشير إلى الترجمات العربية في تراثنا العريق حيث يقول :

« والعالم الغربي بصفة خاصة يدين بالفضل العميق للإثراء والإحياء والتنبية التي جاءت إليه عن طريق التراجم التي تمت في بلاد هارون الرشيد والمأمون ، إبان العصر الذهبي لبغداد » (ص ٢٤٩) .

ويستطرد المؤلف حديثه عن فضل الترجمات والكتب العربية التي نقلت عن اليونانية وغيرها في بناء النهضة الأوروبية ، حيث يقول في (ص ٢٤٩) أيضاً :

« ولا جدال في أن التراجم التي نقلت من التراث اليوناني إلى العربية ثم فيما بعد من تلك التراجم ومن الأعمال الأصلية لعلماء العرب والفرس إلى اللغات الأوروبية ، قد أسهمت بنصيب يعتبر من أهم ضروب الإسهام في عصر النهضة الأوروبية » إ . ه .

وفي جدوى الترجمة القومية يوضح المؤلف الفوائد من ذلك بقوله :
« على أن فائدة التراجم ليست مقصورة على التبادل الثقافي بين الدول

أو بين العصور القديمة والحديثة . ففي الدول الكبيرة التي تستعمل لغات كثيرة ، تستطيع التراجم من لغة محلية إلى أخرى ، أو من اللغة المحلية إلى اللغة القومية ، أن تساعد في إيجاد روح الإخاء و التفاهم في نطاق الأمة الواحدة » (ص ٢٥٠) .

وفي فصل (الترجمة) هذا يتحدث المؤلف عن :

● اختيار الكتاب (المترجم) .

● الخطوات العملية في سبيل الترجمة .

● اقتصاديات نشر التراجم .

البناء من أجل المستقبل

الجزء الرابع من الكتاب ، وهو فصلان :

١ - المكتبات ، ومعرفة القراءة والكتابة ، وتنمية القراءة .

٢ - التعاون بين الناشرين .

وفي الفصل الأول من هذا الجزء عن القراءة ومتعتها أقتطف قول المؤلف :

« إن متعة القراءة ، بمجرد أن يكتشفها قارئ جديد ، خليقة بأن تمكنه من المضي قدماً في تعليم نفسه وتثقيف عقله حتى بدون وجود المعلمين الكافين أو الاستمرار في التعليم بالمدرسة ، بشرط أن تكون الكتب في متناول يده وبشرط أن تكون ممتعة في قراءتها لأنها تشبع حاجاته وميوله واهتماماته » (ص ٢٦٦) .

وعن المكتبات ونشر الكتاب في هذا الفصل يقول المؤلف مستطرداً :
« فالمكتبات والتعلم وتنمية الوعي بالقراءة ونشر الكتاب ، كلها مسائل ترتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً ، وأي تحسين أو نهوض بمستوى أي عنصر منها له تأثير مباشر مؤازر في العناصر الأخرى . . . والمكتبات لا يمكن أن توجد ، ما لم تكن هناك صناعة لنشر الكتاب تنتج الكتب وتغذي المكتبات بالكتب التي تحتاج إليها » (ص ٢٦٥) .

وفي الفصل الثاني (التعاون بين الناشرين) من هذا الجزء الرابع من الكتاب يفصل المؤلف القول عن تعاون ناشري الكتب بعضهم ببعض ، وذلك في النقاط الست الآتية :

١ - العلاقات الحكومية .

٢ - علاقات تجارة الكتاب .

٣ - الترويج المشترك .

٤ - الوسائل الميسرة لمستقبل صناعة الكتاب .

٥ - تنمية وعي القراءة والترويج للمدى الطويل .

٦ - اتحادات نشر الكتاب .

ثم وفي نهاية جولتنا مع كتاب (صناعة الكتاب) نأتي لجزئه الأخير وهو الخامس ، الذي يضم أربعة فصول وهي تتحدث عن : حقوق النشر وعقوده . وبعض الملاحظات على محاسبة نشر الكتاب . ومحل بيع الكتب بالقطاعي ثم التدريب الخاص بصناعة الكتب .



مدن وأماكن المغرب العربي

ميلادية ، تقع على بعد ١٠ كيلومترات من شاطئ البحر المتوسط ، يبلغ عدد سكانها حالياً ٢٧٥ ألف نسمة ، اتسعت عماراتها خلال القرن التاسع الهجري حيث هاجر إليها الأندلسيون الذين جددوا بناءها ، وأصلحو الكثير من مرافقها . . . وقد تعرضت تطوان إلى كل من الاستعمارين الإسباني والفرنسي ، تشتهر بشواطئها وفنادقها السياحية ، وصناعاتها اليدوية التقليدية .



الثلاثاء (سوق) :

مركز تجاري مهم في سهل الشياظمة ، من الأسواق المغربية الكبرى تجري فيه المبادلات التجارية ، يبيع فيه الفلاحون المواشي والمتوجات الزراعية ، ويتزودون بكل ما يحتاجون إليه في حياتهم اليومية من سكر وشاي وملابس وغير ذلك ، وفي القطر المغربي أسواق كثيرة تضطلع بهذه المهمة أمثال سوق الأربعاء في المغرب وسوق الأحد في الربيع .



الجديدة :

كانت مركزاً تجارياً برتغالياً بين القرن ١٦ ومنتصف القرن ١٨ م ، كان يسميها البرتغاليون البريجية تقع على ساحل المحيط الأطلسي ، بها أسوار وقلاع برتغالية . يحتل ميناؤها المرتبة التاسعة في تصدير السمك ، وتعليبه وتحضير مصبرات الخضر ، وظيفتها تتجلى في دورها كمنفذ لسهل دكالة ، تصدر منه الحبوب ، وهي كذلك منطقة سياحية بشواطئها الوليدية وشاطئ سيدي بوزيد وغيرها . . . ويبلغ عدد سكانها ١١٠ آلاف نسمة .



أغادير :

إحدى مدن المغرب الأقصى تقع على المحيط الأطلسي ، عدد سكانها ١٢٠ ألف نسمة ، تعتبر عاصمة إقليم سوس ، الذي يبلغ عدد سكانه ما يقارب مليون ونصف المليون نسمة ، يعتبر ميناء هذه المدينة منفذ إقليم سوس الفلاحي ، وقد أصبح أول ميناء لصيد سمك السردين في العالم مما جعل منه كذلك أول ميناء لصيد الأسماك في المغرب ، كما يحتل كذلك الدرجة الثالثة في تصدير الحمضيات في المغرب ، أصاب أغادير زلزال مدمر سنة ١٩٦٠ م ، وقد أعاد بناءها الملك الراحل محمد الخامس .



بجاية :

مدينة ساحلية على البحر المتوسط ، سياحية بطبيعتها الخلابة لوجود الجبال والغابات بها ، فيها ميناء من أكبر موانئ شمال إفريقيا ، يصدر عن طريقه زيت الزيتون والتين والصوف والجلود والمعادن . وبجاية مدينة تاريخية عريقة ، كانت في القرن الخامس الميلادي مدينة منيعه بمصونها التي شيدها القائد . أصبحت عاصمة بني حماد سنة ١٠٩٠ م ، استولى عليها الفرنسيون ١٨٣٣ م ، وهي مرفأ بترولي هام ، ومركز دائرة ولاية «سظيف» ، عدد سكانها ٥٠ ألف نسمة .



تطوان :

مدينة تاريخية أسسها أبو عمر بن ثابت بن عبد الله المريسي سنة ١٣١٠

(سبها)]، فيها قبر «دعبل الشاعر»، سكنها إيباضيون، راجت فيها النخاسة وتجارة الجلود، فيها حبوب وأشجار مثمرة، تقع في مجموعة واحات الفزان.

لس

سوسة :

مدينة تونسية كانت تسمى قديماً «هيدرومينوم». أسسها الفينيقيون نحو القرن التاسع قبل الميلاد، ومنها خرج هنيبعل في حملته على «سقييون». اشتهرت في العهد البيزنطي، فدعيت (يوستينيانوبوليس)، ربحها الأغالية في القرن ٩م، وأصبحت مرفأ عسكرياً سنة ٨٣٧م. فيها دياميس واسعة استعملها المسيحيون في القرنين الثاني والثالث مدافن لهم، وفيها كذلك مقبرة رومانية، وهي مركز صناعي هام، بها ميناء ثانوي يصدر الزيوت والحلفا، وهي عاصمة إقليمية للساحل ومركز لإنتاج السيارات والشاحنات والمواد الغذائية.

ش

شفشاون :

وتسمى كذلك بالعامة «الشاون» مدينة مغربية تاريخية أسسها المجاهد «علي بن راشد» سنة ٨٧٣هـ/١٤٧١م، اشتهرت هذه المدينة منذ القدم بكونها مدينة للجهاد ومنطلقاً للأبطال الذين حملوا راية التحرير ضد الاستعمار الإسباني والفرنسي الذي تعرضت له، لها أهمية اقتصادية تتجلى في صناعاتها التقليدية والفولكلورية، وهي مدينة سياحية لجبال طبيعتها وهدونها.

ص

صور الغزلان :

مدينة في الجزائر تقع على سفح جبال البيبان، مركز دائرة (ولاية المدية)، وهي سوق ريفي لتسويق الحبوب والزيوت والألبان. هي «أوزيا» القديمة في العهد الروماني، وتعتبر هذه المنطقة جبلية كلسية تخترقها ممرات أبواب الحديد.

ض

الضاية (مرتفعات) :

منطقة في الناحية الشمالية الغربية من الجزائر، تقع فيها مدينة تلمسان بالقرب من الحدود المغربية، توجد بها تلال كثيرة تحيط بها غابات كثيفة، يركز اقتصادها على الحبوب وبجوارها إلى الجنوب توجد مساحات شاسعة من نباتات الحلفا.

ط

طنجة :

مدينة مغربية تقع في الضفة الجنوبية لبوغاز جبل طارق بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي أسسها الفينيقيون في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. ثم اتخذها الرومان عاصمة لمستعمراتهم بالشمال الإفريقي، أصبحت منطقة دولية سنة (١٩٢٣ - ١٩٥٦م)، فكانت مقراً لقناصل الدول الأجنبية، تلقب «بعروس الشمال». بها ميناء تجاري

ح

الحسيمة :

مدينة مغربية تقع على شاطئ البحر المتوسط، تبعد عن العاصمة الرباط بـ ٤٤٤ كيلومتراً، تشتهر بفنادقها السياحية ذات الدرجة الممتازة، يزورها السياح من كل بلدان أوروبا، بها كذلك مطار مدني، وتشتهر بصيد الأسماك والصناعة التقليدية.

خ

خريبكة :

مدينة ومركز صناعي مغربي توجد فيه مناجم الفوسفات، يمد المغرب بـ ٥٪ الإنتاج، ويملك مركز اليوسفية وابن كزير ويصدر الفوسفات عبر ميناء الدار البيضاء نحو بلدان السوق الأوروبية المشتركة والاتحاد السوفياتي والشرق الأقصى، وتبعد عن العاصمة بـ ٢٠٧ كيلومتراً.

د

الدار البيضاء :

أكبر مدن المغرب مساحة وسكاناً، تقع على المحيط الأطلسي، مساحتها ١٨٠ كلم^٢، وعدد سكانها مليوناً نسمة، وتعتبر العمالة الأولى في المغرب، وهي عاصمته الاقتصادية والتجارية والمالية، بها أكبر ميناء في شمالي إفريقيا، تشتهر بمعرضها الدولي الذي يقام كل سنتين، وبها مؤسسات بنكية وتجارية، وهي منفذ لناحية الشاوية الغنية بمحصولاتها الزراعية بالإضافة إلى الصناعات الأخرى الغذائية والمعدنية والكيميائية والنسجية وبها مطار النواصر لدولي.

ذ

غدامس (واحة) :

من أهم الواحات الموجودة في الجهة الغربية من صحراء ليبيا تقع عند ملتقى الحدود التونسية والجزائرية على الحدود مع طرابلس، توجد فيها مدينة غدامس مركز متصرفية (محافظة غريان). سكانها خليط من العرب والبربر والزنوج، بها زراعة النخيل، وفيها صناعات يدوية، وهذه الواحة ماض مهم في التجارة الصحراوية مع أواسط إفريقيا.

ر

ارزو :

مدينة جزائرية تقع على البحر الأبيض المتوسط، وهي تابعة لولاية وهران، تعتبر أهم ميناء لتصدير الغاز والبترو في الجزائر، تقوم بها صناعة بتروكيماوية، وفيها مصفاة للبترو، تمتاز بشواطئها السياحية الرملية.

ز

زويلة :

بلدة ليبية توجد على ملتقى الطرق الصحراوية، وهي مركز مديرية [محافظة

وسياحي ، وهي عاصمة المغرب السياحية ، بها صناعات تقليدية فخارية وجلدية ، توجد بها آثار قديمة كضريح الرحالة المغربي ابن بطوطة وكهوف هرقل ، وجبل «مارشان» وغيرها .



الظهرة (جبال) :

بلاد جبلية جزائرية يبلغ ارتفاعها ألف متر عن سطح البحر ، تقع على الشريط الشمالي المطل على البحر المتوسط بين مليانة ومستغانم المدينة التي تشتهر بالصناعات الغذائية كالسكر ، وفيها معامل كذلك لمعالجة الشمندر ، سكان هذه المنطقة من البربر .



عنابة :

كانت تسمى سابقاً (بونة) مستعمرة قرطاجية ، وعاصمة ملوك نوميديا ، ومقر أسقفية القديس «أوغسطينس» وكانت تدعى «هيبون» ، وهي عاصمة ولاية عنابة تطل على البحر الأبيض المتوسط ، مركز اقتصادي وصناعي ، تصدر الحديد والفوسفات ، والحمضيات ، والحلفا . بها صناعة المنسوجات والتنج والقاطرات الحديدية ، بها مركب لصناعة مشتقات الفوسفات كالحامض الكبريتي ، وبها إنتاج زراعي ، وموارد معدنية كالرصاص والزنك والنحاس .



غاردايه :

مدينة جزائرية تلقب «بجوهرة الواحات» ، تبعد عن الجزائر العاصمة بـ ٦٠٠ كيلومتر على طريق معبد ، توجد في سهل وادي ميزاب وسط أشجار النخيل الباسقة ، تنتشر قرأها وضواحيها على مسافة ٢٠ كيلومتراً تقريباً ، وهي مدينة سياحية في فصل الربيع لجوها المعتدل وزهورها الجميلة ، وهي مركز تجاري نشيط لوجود أسواق كثيرة بها ، تقوم فيها صناعات فولكلورية خاصة صناعة البسط ذات النقوش البديعة .



صفاقس :

تعتبر المدينة التونسية الثانية من حيث السكان ، بعد تونس العاصمة ويبلغ عدد سكانها ٧٥ ألف نسمة ، ويعتبر مينائها من أفضل الموانئ تجهيزاً في كل النصف الجنوبي من القطر التونسي ، وهي مركز مهم للصيد البحري ، كما يوجد بها معدن الفوسفات ، وهي منطقة فلاحية تشتهر بإنتاج الزيتون واللوز .



القنيطرة :

مدينة مغربية تقع على المحيط الأطلسي ، عاصمة سهل الغرب وأكبر مدنه ، تقع على مجرى نهر سبو الأسفل ، يحتل مينائها المرتبة الثالثة في البلاد ، وهي مركز تجاري وصناعي هام بها صناعة المعلبات والنسيج والورق المقوى وصناعات غذائية كصناعة الزيت وعصير الليمون ، ويعود تاريخ تأسيسها إلى ١٩١٥ م ، وهي منطقة سياحية في فصل الصيف لوجود مصطاف المهدية بقرها .



الكاف :

مدينة في تونس على الناحية الغربية مع الحدود الجزائرية ، كانت مركزاً فينيقياً قديماً يعرف بـ «سيكافيتاريا» ، اشتهرت ببيكل ألحها الشرقية . جعلها «أغسطس» مستعمرة رومانية ، ويبلغ عدد سكانها ٢٣ ألف نسمة ، وأهم منتوجاتها الفلاحية زراعة القمح والحبوب .



طرابلس (الغرب) :

عاصمة جمهورية ليبيا تقع على البحر المتوسط ، وهي عاصمة اقتصادية وسياسية وأكثر مدن ليبيا حيوية ونشاطاً ، يبلغ عدد سكانها ٣٥٠ ألف نسمة ، ومينائها رئيسي في البلاد ، بها آثار قديمة ، وأبنية عصرية حديثة ، تشتهر بمعرضها الدولي السنوي ، تحتل المرتبة الأولى في الصناعة ، لكن بها مؤسسات صناعية صغيرة وإنتاجها يقتصر على بعض السلع الضرورية للاستهلاك المحلي ، من مرافقها العامة الجامعة الطلابية .



المدينة :

كانت هذه المدينة الجزائرية إحدى حصون وقلاع الثورة الجزائرية ، أسست في عهد «الصنهاجيين» ، إحدى ولايات القطر الجزائري ، تبعد عن العاصمة الجزائر بـ ٩٠ كيلومتراً ، تنتشر فيها صناعات القرميد والآجر وصناعة الأحذية والكلس بالإضافة إلى صناعة المضخات ، كما أن هناك صناعة تقليدية ، وهي مدينة زراعية تنتج محاصيل مختلفة كالقمح والشعير والفواكه ... مع الاهتمام بتربية الأبقار والأغنام والدواجن ، من منشآها الحديثة مركب أولمبي مختلف الرياضات .



نفطة :

مدينة توجد في تونس ، كانت تسمى عند الرومان «ثبثة» بلدة واحة تقع في غربي تونس قرب شط الجريد ، مركز معتمدية «قفصة» تمتاز بكثرة مياهها ، ويزيد عدد النخيل فيها على مئتي ألف نخلة . عدد سكانها ١٥ ألف نسمة .



الهوقار (جبال) :

ويقال لها أيضاً الحُجَّار ، وهي كتلة جبلية بركانية في صحراء الجزائر ، يبلغ علوها ٣٠٠٠ متر ، تشتمل على أشكال تضاريسية هندسية تعبر عن مدى الجفاف الذي يمنع الحياة النباتية وبالتالي يحول دون تكوين غطاء من التربة فوق السفوح ، ويقطن هذه المنطقة الطوارق وهم إحدى القبائل البربرية التي تعيش متنقلة بين الصحارى الإفريقية ، وأهم مدن منطقة الحُجَّار مدينة غمراست .



وليلي :

كانت تسمى في عهد الرومان بـ «قصر فرعون» تبعد عن مكناس المدينة المغربية بـ ٢٦ كيلومتراً ، تعاقب على حكمها حيناً كانت مستعمرة رومانية في القديم سبعة أباطرة رومانيين وذلك ابتداء من سنة ٩٦ إلى سنة ١٩٢ ميلادية ، وكانت مقر نائب الملك وعاصمة موريتانيا طنجة . وهي الآن منطقة سياحية تاريخية بها أطلال رومانية «كقوس نصر» و«طريق ماكسموس» .



يفرن :

مدينة في ليبيا تقع في الناحية الشمالية الغربية على الحدود مع تونس ، وهي مركز متصرفية (محافظة غريان) ، تقوم بها صناعات يدوية وبها زراعة بعلية وبها مراعي للسهوب ، وإلى الجنوب منها يوجد جبل (نفوسة) الذي هو عبارة عن جرف كبير يتراوح ارتفاعه بين ٩٦٠ و ٩٧٠ متراً ، وسكان هذا الإقليم من البربر ويعتمد نشاطهم على الزراعة الشجرية .. «نخيل زيتون وتين» .

و تعاليقات

المسلمون في يوغوسلافيا

فتنير الطريق أمام القارئ، وتعرفه بأن الإسلام قديم في البلقان، حتى إن ياقوت الحموي لقي بعض مسلمي المجر في أوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، وكانوا على مذهب أبي حنيفة^(١). وهكذا فإن الإسلام في تلك المناطق الأوروبية أقدم بكثير من الفتح العثماني^(٢). بل إن أبا حامد الغرناطي المتوفي سنة ١١٦٩م - وهو عالم مسلم ورحالة عاش في المجر وتولى مشيخة الإسلام فيها - تحدث في كتابه «تحفة الألباب ونخبة الآداب»^(٣) عن المسلمين هناك قبل ياقوت بحوالي قرن من الزمان. وهكذا فإن العثمانيين عندما دخلوا يوغوسلافيا، وجدوا تربة صالحة لنشر الإسلام بدون اكراه^(٤)، ولا سباً في منطقة البوسنة والهرسك. أقول إن مثل هذه المقدمة ضرورية للقارئ العربي، للتعرف على إخوانه المسلمين، الذين هم في غالبيتهم العظمى من العنصر السلافي الذي اعتنق الإسلام ولم يكونوا من المهاجرين الأتراك أو غيرهم، كما قد يتوهم البعض، وهم بالفعل لا يزالون يتكلمون لغة سلافية لا تختلف عن لغة صربيا أو كرواتيا أو الجبل الأسود، وليس لهم لغة غيرها، إلا أنهم يصرون على أن قوميتهم هي «الإسلام»، ولا قومية لهم غيره، وقد اعترفت الحكومة اليوغوسلافية لهم بهذه القومية.

٢ - كان من واجب كاتب الاستطلاع، أن يشير إلى التنظيمات الإسلامية في يوغوسلافيا، فيشير إلى وجود إدارة مركزية في سراييفو برئاسة رئيس علماء مسلمي يوغوسلافيا (وهو الآن الشيخ نعيم الحجاج عبيديتش)، وهو المفتي الأكبر، وإلى جانبه مجلس من كبار العلماء يتولى الإشراف على المساجد والمدارس الدينية والبعثات وإدارة الأوقاف. وأن في كل جمهورية من جمهوريات يوغوسلافيا الست رئيس علماء يدير شؤون مسلميها، ومثل ذلك في إقليم (كوسوفو) الذي يتمتع بالحكم الذاتي، والذي يقطنه أغلبية من الألبان. وهذا الوضع يجعل مسلمي يوغوسلافيا أعظم جماعة إسلامية منظمة في أوروبا، لذلك فهي أصلح قاعدة إسلامية لنشر الدعوة الإسلامية في أوروبا^(٥) بالنظر لتنظيماتها وموقعها الجغرافي.

٣ - أغفل الاستطلاع التعليم الديني في يوغوسلافيا، فلم يتحدثنا عن مدرسة الغازي خسرويك في سراييفو، التي حلت محلها «كلية الدراسات الإسلامية» الجديدة، كما لم يتناول المدارس الثانوية الدينية الموجودة في بعض المراكز المهمة مثل سراييفو وبرشتينه، وهي التي تخرج الأئمة والخطباء، ومن بين خريجها يرسل المبعوثون للدراسات العليا في الخارج. هذا علاوة على الكتاتيب في المساجد، وهي التي يذهب إليها الأطفال في صبيحة كل يوم أحد، بينما يذهب إليها البالغون في أمسيات اليوم المذكور، لتعلم القرآن الكريم واللغة العربية والفروض الدينية. من ذلك مثلاً أنه كان في سنة ١٩٧٤م، وفي منطقة واحدة ٤٢ مسجداً لتحفيظ القرآن الكريم، و ٢٥ مدرسة لتعليم العلوم الدينية، وهي تضم

كانت مجلة (العربي) قد نشرت استطلاعاً عن مسلمي يوغوسلافيا، وردت فيه بعض النقاط التي تستدعي الملاحظة وتستوجب التعليق، وحيث إنني أمضيت في تلك البلاد خمسة أعوام كاملة - أثناء خدمتي الدبلوماسية - كنت خلالها على اتصال مستمر بمسلميها، فقد رأيت من واجبي أن أبادر إلى تسجيل ملاحظاتي على ذلك الاستطلاع، وبعثتها لتنتشر في المجلة نفسها. إلا أنني فوجئت بعددها الصادر في شهر آب (أغسطس) ١٩٧٨م، بتعليق يحمل توقيعني، لكنه تضمن فقط بعض ملاحظاتي التي صادفت هوى في نفس هيئة التحرير!! وقد حرّ في نفسي أن تسمح مجلة عربية كبرى لنفسها بالتصرف فيما يردّها من تعليقات دون أن تشير - على الأقل - إلى أنها اختصرتها أو اجتزأت منها، بل إنها نشرت ما نشرت وكأنه هو تعليق كاملاً غير منقوص، وفوق ذلك ذكّته بتوقيعي!! وكان بوسعها مثلاً أن تقول: «وردنا تعليق من (فلان) تضمن بعض الملاحظات على استطلاعنا عن مسلمي يوغوسلافيا نفتظ منه ما يأتي... الخ» مراعاة للأمانة الصحفية، لكنها لم تفعل!! لهذا أجد نفسي الآن في حلّ من نشر ذلك التعليق خدمة للحقيقة وتنويراً للقراء، فأقول:

من واجبي وواجب كل مسلم أن يشكر مجلة «العربي» لثقاتها الكريمة بنشر استطلاع عن «الحضارة العربية الإسلامية في يوغوسلافيا». ولكم كنت أتمنى أن تعبر صحافتنا العربية ووسائل إعلامنا شيئاً من الاهتمام لإخواننا المسلمين المرابطين في أعماق القارة الأوروبية. ولكن الاستطلاع الذي نشرته «العربي» في عددها الصادر في شهر نيسان (أبريل) ١٩٧٨م، خلافاً للاستطلاعات القيمة الغنية التي عودتنا عليها، جاء هذا الأخير تخيباً للآمال! فقد كان استطلاعاً سطحيّاً جمع فيه كاتبه معلومات قليلة مما يدور على الأفواه، ثم إنه ركز على معلومات معينة وتجاهل معلومات أخرى.

ولعل من المفيد أن أوجز ملاحظاتي عن الاستطلاع في نقاط محددة، منعاً للاستطراد الذي قد يجرنا إليه الحديث، والحديث ذو شجون:

١ - من النقاط الأساسية التي أغفلها الاستطلاع، المقدمة التاريخية التي تلقي الضوء على دخول الإسلام إلى البلقان ويوغوسلافيا بالذات، إذ لا يكفي أن يقال إن التجار العرب قد عرفوا شواطئ يوغوسلافيا وتاجروا مع أهلها، وإن بعض هؤلاء أعجبوا بالإسلام فاعتنقوه! كما لا يكفي أن يقال إن الجيوش العثمانية قد فتحت أقاليم يوغوسلافيا، وإن بعض أهلها اعتنقوا الإسلام بسبب ذلك الفتح. هذا بالتأكيد لا يكفي، ولا بد من مقدمة تاريخية مركزة مدعمة بالحقائق والتواريخ، وإن لم يزد حجمها عن نصف صفحة،

و — تعليقات

حوالي أربعة آلاف تلميذ^(١) .

٤ — كذلك لم يتناول الاستطلاع المكتبات الإسلامية ، وفي مقدمتها مكتبة الغازي خسرويك في سرايفو ، وهي التي تحوي عدداً غير قليل من المخطوطات العربية والتركية والفارسية والصربية ، فضلاً عن مكتبات الإدارات الدينية والمساجد^(٢) .

٥ — يوحى الاستطلاع لقارئه بأن الدول العربية والإسلامية مقصرة كل التقصير بحق مسلمي يوغوسلافيا ، وأن مصر وحدها هي التي تقدم المنح لأبناء المسلمين اليوغوسلاف . . وهذا غير صحيح ، وأني كممثل دبلوماسي خدم في يوغوسلافيا خمس سنوات كاملة ، أستطيع أن أصحح هذه الأفكار ، فأقول بأن الدول العربية لم تكن مقصرة إلى الحد الذي يوحى به الاستطلاع ، فإن العراق ، مثلاً ، قدم ثلاثين منحة للطلبة المسلمين لدراسة الشريعة الإسلامية في بغداد ، مع سبع منح للبنات المسلمات ، وهذا — في ظني —

حدث تاريخي لعله يقع لأول مرة في تاريخ مسلمي أوروبا ، إذ تتصدى سبع بنات لدراسة الشريعة ! (وقد لقي الأستاذ سقا أميني بعض هؤلاء في يوغوسلافيا بعد تخرجهم) . أقول وهذه المنح هي غير المنح التي تقدمها العراق للطلبة اليوغوسلاف عموماً على أساس اتفاقيات التعاون الثقافي بين البلدين ، وهي مفتوحة للطلبة المسلمين وغير المسلمين على السواء .

ثم إن الجامعة الإسلامية الليبية كانت تقدم أيضاً منحاً سخية للطلبة المسلمين بالذات . وأود أن أقول بهذه المناسبة ، خدمة للحق ، بأن إخواننا مسلمي يوغوسلافيا كانوا يتشكون (وكان ذلك في أواخر الستينات) من أن المنح المصرية كانت تقدم بواسطة الحكومة اليوغوسلافية ولا تخصص للمسلمين وحدهم ، ولذا كانت الاستفادة منها للدراسات الإسلامية محدودة .

٦ — أما بالنسبة للمكتبات والمجلات ، فأقول لو أن كاتب الاستطلاع كلف نفسه عناء مراجعة المكتبات الإسلامية سواء في معاهد التعليم أو المساجد ، لوجد أن كثيراً من الكتب القيمة فيها مهداة من الدول العربية ، بل إنه لو تفقد مكتبة جامع بلغراد (وهو جامع البيرقلي ، وليس «اليرمكي» كما توهم كاتب الاستطلاع ، إذ كان يرفع على مثذنته علم (بيرق) عندما يحين موعد الأذان أثناء النهار ، فيراه مؤذنو مساجد بلغراد الأخرى ، وكان عددها ٢٠٠ مسجد ، فيؤذنون بأذانه !) ، أقول لو تفقد مكتبة هذا الجامع لوجد فيها عدداً غير قليل من الكتب الإسلامية التي أهدتها الحكومة العراقية ، وبينها عدد من المصاحف ، بل لو سأل صديقنا الشيخ حمدي يوسف سباهيش ، مفتي بلغراد ، لآخره بوجود تلك الكتب . وعلاوة على ذلك فقد تبرعت رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بخمسة آلاف كتاب عام ١٩٧٤ م ، لمكتبة أحد المساجد^(٣) ! !

٧ — أن الحكومات العربية — وإن كان بعضها مقصراً — لم تتردد في دعم مسلمي يوغوسلافيا كلها دعت الحاجة ، من ذلك أن المملكة العربية السعودية قدمت عام ١٩٧٤ م ، مبلغ ربع مليون دولار لصحة السيد محمد صفوة سقا أميني (الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي) مساهمة منها في إنشاء مبنى كلية الدراسات الإسلامية في سرايفو ، كما تبرعت

حكومة الكويت بخمسين ألف دولار ، وحكومة ليبيا بعشرين ألف دينار ليبي ، وحكومة السودان بعشرة آلاف جنيه استرليني^(٤) للمشروع نفسه ، ولم تتأخر تلك الحكومات عن تقديم العون في مناسبات أخرى ، أذكر منها ؛ أن الزلزال عندما ضرب مدينة سكوبيا (عاصمة جمهورية مقدونيا) في تموز (يوليو) ١٩٦٣ م ، وتعرضت مساجدها الأثرية للخراب ، بادرت الحكومة

هذه بضع ملاحظات عنت لي وأنا أطلع استطلاع «العربي» وقد دفعني إلى إبدائها حرص على وضع النقاط على الحروف ، وأمل وطيء بأن يتسع لها صدر المشرفين على المجلة العربية الغراء ، فيقبلوها بروح التسامح ، ويعملوا على استكمال ما ورد فيها في استطلاع تال إن شاء الله .

العراقية بتقديم مبلغ كبير خصص لعمارة تلك المساجد (علاوة على العون المباشر الذي قدمته للحكومة اليوغوسلافية) ، وقد قمتُ شخصياً بتقديم المبلغ إلى المرحوم الحاج سليمان كمورا رئيس العلماء آنذاك . وقدمت الحكومة العراقية بعد ذلك بعامين معونة مادية سخية لمسلمي إحدى المدن التي ضربها الزلزال في جمهورية الجبل الأسود أو «مونتو نيفرد» كما يسميها الإنكليز (وليس «مونسجرو» وهو الاسم الوارد خطأ في الخارطة الملحقة بالاستطلاع ، علماً بأن اليوغوسلاف يسمونها «سيرنا غورا») .

هذا وإنني أشارك كاتب الاستطلاع المحترم رأيه في أن من واجب الدول العربية ابداء اهتمام أكبر بإخواننا المسلمين في يوغوسلافيا ، ومددهم بالعون المادي والأدبي ، ولا سيما بالكتب والمجلات على اختلاف أنواعها لإبقاء الصلة الروحية حية بيننا وبينهم ، فإنهم كما وصف حالهم أحد كبار علمائهم : «يعيشون في غربة روحية ، وأن أي شيء يرددهم من إخوانهم المسلمين ، مهما كان صغيراً ، سيساعد على تبديد تلك الغربة» . والله ولي التوفيق .

المراجع

- ١ — ياقوت الحموي «معجم البلدان» طبعة أوروبا .
- ٢ — الدكتور إسماعيل البيتش «الإسلام في الجبل»، القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٣ — محمد صفوة سقا أميني «المسلمون في يوغوسلافيا»، بيروت ١٩٧٤ م .

مناقشات و تهليلات

الاختراع إلى شوارتز في سنة (٧١٩هـ)، لأن العرب استخدمته قبل ذلك بنصف قرن في «سجلهاسة»، والفرس استخدمته قبل هذا التاريخ في محاربة نريمان مع اللصوص الذين تحصنوا في قلعة أسبندة. وباستخدام المدفع والبارود غلبت اللصوص على (نريمان) بعد أن حاصر القلعة ثلاث سنين متواليات. وخدمة للتاريخ نورد الأبيات المترجمة للمؤرخ بهاء السلطان:

نريمان در آن بارگاه شهی
نریمان في تلك الخيمة الملكية
شب آخر ش بود شب زنده داشت
شب آخر لياليه، فأحيا الليل جميعاً
مرآن خيمة بدیش برج حصار
(والخيمة كانت منصوبة بإزاء برج الحصار)
يكي ديك منجر درآن برج بود
(وكان قد رُفد في ذاك السرج)
بدارو مرآن رعد انباشتند
(ملأوا تلك القدر من البارود)
از آن برج آن سنک آمدر ها
(فمن ذلك السرج أفلت ذاك الحجر)
نریمان در آن بار که در نماز
(نریمان في الخيمة كان مشغولاً بالصلاة)
از آن بس کز آن کین کد شته سه سال
(حاصروا القلعة ثلاث سنين)
زیا لا جو آن رعد انداختند
(فلما ألغوا تلك الصاعقة من الأعالي)
همي بود تاشد زمر دم تبي
بقي حتى أصبحت خالية من الناس)
همي بیش یز دان سرا فکنده داشت
(وكان رأسه منحنياً أمام السرب)
درآن برج بمودي شه قلعة دار
وفي ذلك السرج كان سلطان القلعة)
که تیر ش بد از سنک صد من فزود
وقبلته أكثر وزناً من قنطار)
هم روز تا شب نکهد اشتمد
وأبقوه حتى الليل)
بدان اتش ودود جون اردهما
بين النار والدخان كحية تخرج من لها النار)
بدر گاه یزد اتش بود دي نیاز
وكان ينادي إلى باب الله)
هم دشمن و دو ست و زان ملال
وملّ الأعداء والأجاء من ذلك)
جهان از نریمان بسر داختمد
جعلوا الدنيا خالية من وجود نریمان)
همي بود تاشد زمر دم تبي
بقي حتى أصبحت خالية من الناس)
همي بیش یز دان سرا فکنده داشت
(وكان رأسه منحنياً أمام السرب)
درآن برج بمودي شه قلعة دار
وفي ذلك السرج كان سلطان القلعة)
که تیر ش بد از سنک صد من فزود
وقبلته أكثر وزناً من قنطار)
هم روز تا شب نکهد اشتمد
وأبقوه حتى الليل)
بدان اتش ودود جون اردهما
بين النار والدخان كحية تخرج من لها النار)
بدر گاه یزد اتش بود دي نیاز
وكان ينادي إلى باب الله)
هم دشمن و دو ست و زان ملال
وملّ الأعداء والأجاء من ذلك)
جهان از نریمان بسر داختمد
جعلوا الدنيا خالية من وجود نریمان)

فإذا اعتبرنا حكاية (نریمان) والمدفع والبارود حقيقية، يستنتج منها أن الفرس استخدموا المدفع والبارود قبل ميلاد المسيح بقرون، وإذا اعتبرنا هذه الحكاية خرافية أو أسطورية، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن الفرس كانوا يستخدمون البارود والمدفع في عصر (أسدي الطوسي) أو قبله.

ويقول المؤرخ بهاء السلطان: إن الشاعر الطوسي، ذكر في أشعاره وجود المدافع، وشرح طريقة استعمالها، وكيف كانوا يطلقونها بواسطة البارود، كما كانت جيوش الدول تفعل في مطلع القرن العشرين، وإلا فمن أين عرف أسدي الطوسي وجود البارود والمدفع وطريقة استعمالها، كما شرحها في كتابه؟ ولا يعلل ذلك إلا بوجودها في إيران قبل زمن (أسدي الطوسي) أي قبل (٤٦٥هـ) والله أعلم.

محمد أديب غالب
دمشق - سورية

- ٤ - «محنة الإسلام في يوغوسلافيا»، من مذكرات مؤتمر العالم الإسلامي العقوف في الصرمال سنة ١٩٦٤م.
٥ - الدكتور سامي الصقار «مذكرات وخاطرات من يوغوسلافيا»، لا تزال مخطوطة.

الهوامش

- (١) ياقوت «معجم البلدان»، طبعة أوروبا، ج ١/٤٦٩ وما بعدها.
(٢) محنة الإسلام في يوغوسلافيا، من مذكرات مؤتمر العالم الإسلامي الذي عقد في الصرمال سنة ١٩٦٤م، ص ٤.
(٣) الدكتور إسماعيل باليتش «الإسلام في الجبل»، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٥ - ١٦.
(٤) محنة الإسلام، ص ٨.
(٥) محمد صفوة السقا أميني «المسلمون في يوغوسلافيا»، بيروت ١٩٧٤م، ص ٣٣.
(٦) المرجع السابق، ص ٢٤.
(٧) وقبل نشر هذا التعليق تلقت رسالة مؤرخة في ١٠/١٠/١٩٧٨م، من الأستاذ نياز شكرج، أمين مكتبة الغازي خسرويك في سرايفو (وهو حاصل على شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي من جامعة بغداد)، يقول فيها: «استطلاع (العربي) فيه نواقص كثيرة وتشوش حالتنا الإسلامية، لهذا كاتبه لم يذكر مكتبة الغازي خسرويك في سرايفو وثروتها من المخطوطات العربية والتركية والفارسية - وهي تزيد من عشرة آلاف مخطوطة - ما عدا الكتب المطبوعة باللغات المختلفة، وهي المكتبة الرابعة في أوروبا من حيث المخطوطات الإسلامية القديمة».
(٨) المرجع السابق، ص ٢٤.
(٩) المرجع السابق، ص ٢٩.

د. سامي الصقار

سفير العراق في يوغوسلافيا سابقاً
ومن أساتذة التاريخ الإسلامي بجامعة
الرياض (كلية الآداب)

اختراع البارود

جاء في تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان، أن اختراع البارود كان سنة ٧١٩ هجرية، وأن العرب أسبق إلى اختراعه من الأفرنج. ويقول المؤرخ حبيب الله بهاء السلطان في رسال له حول هذا الموضوع، إن الشاعر الإيراني أسدي الطوسي المتوفي سنة (٤٦٥هـ) وأول من ألف قاموس للغة الفارسية، كان قد ذكر في كتابه المعروف به (كر شاسب نامه) ما يدل على أن في زمان (نریمان) جد (وسم) الفارس الشهير الإيراني، كانوا يستخدمون المدافع المعمولة من النحاس في محاربتهم، وأن القنابل في ذلك الزمان كانت حجارة يزيد وزنها على مئة رطل. كما هو معمول في زماننا في أوائل القرن العشرين.
وقد قام المؤرخ بهاء السلطان بترجمة الأبيات المختصة بهذا الصدد من أشعار أسدي الطوسي من الفارسية إلى العربية، تأييداً لما ذكر في تاريخ التمدن الإسلامي، بأن البارود كانت العرب والعجم تستخدمه في محاربتهم. ولا يصح نسبة هذا

علوم ومصطلحات

ألمي كبير في أن تحدثوا باباً متخصصاً في العلوم الميكانيكية والرياضية والقانونية والكونية المتعلقة بدراسة الفضاء الخارجي، وأخيراً أرجوكم أن تشرعوا ابتداء من السنة الرابعة للمجلة في نشر موضوعات عن الجراحة عبر القرون. كما أرجوكم أن تحدثوا زاوية تنشرون فيها المصطلحات العلمية التي نحن بأمس الحاجة إليها.

قائم ليلى المختار
القنيطرة - المغرب

المجلة :

لقد قدمنا بعض هذه الملاحظات وبعضها الآخر سوف يقدم ضمن المخطط القادم إن شاء الله .

عظماء العالم

في بداية حديثي أقدم لكم أحر وأنبل شكري لكم ولجميع من يساهم في مجلتكم العلمية الثقافية، ولكن أرجو منكم المذرة لو نهيتمكم إلى شيء أنتم قد نسيتموه، وهذا الشيء هو : أن تجعلوا بين زوايا هذه المجلة زاوية تتضمن الكتابة عن عظماء العالم، بحيث يتضمن كل عدد نبذة عن أحد هؤلاء العظماء، ويكون على الشكل التالي : حياته منذ طفولته، جهوده وحياته العلمية، الفترة الزمنية التي عاشها .. الخ، ولكم تحياتي .

قاسم محمد الوادي
سورية - درعا - قرية الحارة

المجلة :

إن ما أشرت إليه موضوع في حسابنا، وقد نشرنا عنه في أغلب الأعداد .

تصحيح

قرأت في الصفحة (١٣٦) العدد (٣٠) (مسجد الملاوية) لم يتبق منه اليوم سوى بعض الانقاض .

والحقيقة أن الاسم هو (الملوية) وهي مثناة لها طراز خاص قلدت في جامع (ابن طولون) في القاهرة، وما زالت شاخعة على سور الجامع الذي يظهر في الصورة، وقد رسم ولم يبق منه سوى الانقاض) بعيد عن الصواب .

وفي الصفحة نفسها (مسجد جاما) ويظهر أن الصورة نسيت وأن المعلومات مترجمة، لأن الصحيح هو (المسجد الجامع) كما لا يخفى عليكم . وكنت أريد أن أفصل القول في الملوية وجامعها ولكن كثرة ما عندكم من معلومات يمنع النشر المؤمل .

قارئ من بغداد / العراق

تهنئة وملاحظات

تحياتي وشكري لأسرة مجلة الفيصل الغراء على الموضوعات القيمة التي تقدمها في كل عدد من أعدادها .
وكأنها توعنا - وهي وفيه بوعدها - أن تقطف من بساتين العلم والأدب مع اطلالة كل شهر باقات صغيرة من الأزهار بأزهي

الوانها ، لتقدمها إلى قرائها الذين اعتادوا بدورهم انتظار مثل هذه الهدايا الثمينة .

فتارة مع (رحلة في كتاب) وتارة مع (موضوع خاص) وأخرى مع (مدينة وتاريخ) الخ .. ويسعدني أكثر من ذلك عندما أجد المجلة تخصص بعض صفحاتها (مع الأصدقاء) و(ردود قصيرة) لتقبل آراء وملاحظات قرائها برحابة صدر .

ولي ملاحظتان أود ذكرهما، أما الأولى فهي : في الصفحة (٨٤) من العدد (٢٩) الصادر في ذي القعدة ١٣٩٩ هـ / تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٩ م، وضمن موضوع (رحلة في كتاب) وموضوع الكتاب (البدو) للبارون ماكس فون أوبنهايم . بقلم الدكتور مصطفى ماهر ورد ذكر (تل حلف) في سياق حديثه عن البارون المذكور ومؤلف الكتاب على الشكل التالي : «وبدا تنفيذ رحلته الكشفية الكبرى التي كان قد بدأ يخطط لها منذ عشرة أعوام : الرحلة إلى تل حلف، وهو موقع أثري على الحدود بين سورية والعراق» .

- والحقيقة أن الموقع ليس بين سورية والعراق، لكنه بين سورية وتركيا، وعلى خط الحدود بالذات، والموقع حالياً عبارة عن قرية مأهولة بالسكان تقع على ضفة نهر الخابور وهو أحد روافد نهر الفرات، والقرية هذه (تل حلف) تقع غرب بلدة (رأس العين) المعروفة بمياهها الكبريتية، وعلى بعد (٣) كم منها فقط. والجدير بالذكر أنها تقع في محافظة الحسكة من إقليم الجزيرة . وقد ورد ذكرها

أكثر من مرة معي أثناء دراساتي الجامعية لشهرتها بالآثار الحثية خاصة . ومن المدن المشهورة قديماً والتي تقع بين سورية وتركيا (جرابلس) وتسمى كركميش بالتركية، وتقع على نهر الفرات وفي المكان الذي يدخل فيه الأراضي السورية، وهي أيضاً مشهورة بالآثار الحثية، وجرت في هذا الموقع معركة بين الحثيين والفرعنة .

ومدينة (نصيبين) تقع على نهر جفجف شمال مدينة القامشلي السورية .

والملاحظة الثانية في نفس الموضوع وفي الصفحة (٨٩) عن سيرة بني هلال «وتحكي الملحمة الشعبية المعروفة بسيرة بني هلال في الجزء الثالث منها الأحداث التي جرت على أرض شمال إفريقيا ولقد ألفها شاعر من الحضرة وانتقلت إلى البدو، فهم يتحاكونها في جبال كردستان وحضرموت وفي كل مكان» .

والحقيقة أن جبال كردستان حدود طبيعية فاصلة بين العراق جنوباً وإيران شمالاً من جهة وبين العراق وتركيا من الزاوية الجنوبية الشرقية لتركيا، وتسكنها القبائل الكردية التي تتناقل وتروي فيما بينها حكايات شهريار .. وشهرزاد .. من حكايات ألف ليلة وليلة . والقبائل العربية لا تسكن هذه الجبال الوعرة، فكان الأجدر بالكتاب بدلاً من قوله (في جبال كردستان) أن يقول القبائل العربية أو البدو في العراق وسورية .. !

محمود النعيمي
المالكية - حداد - سورية

أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة

شكراً لكم على تهنئاتكم الرقيقة وشعوركم الطيب نحو المجلة وأسرة تحريرها ، وكل ما نرجوه من الله هو أن نظل أوفياء وأن نكون عند حسن ظن الجميع .

الأخ محمد عبد الجليل أحمد جانب - الدقهلية - مصر

كثيرة هي الاقتراحات المشابهة لاقتراحك والتي سبق أن أجبنا عليها في كثير من الأعداد بأن المجلة لها نهج خاص تسير عليه بعيداً عن تقليد الآخرين وما زلنا نؤكد ذلك . أما بصدد ارتفاع السعر في مصر فهذا راجع إلى عدة عوامل منها ارتفاع أجور الشحن وارتفاع أسعار الورق وأشياء أخرى . ومع هذا فالسعر في مصر ما زال يعتبر أقل سعر إذا قورن بثمانها في الأقطار الأخرى .

الأخ إبراهيم عباس ياسين - بصرى الشام - سورية

هذا ما نأمله منك ومن قرائنا الأفاضل ، ونتمنى أن تكون علاقاتنا دائماً مبنية على الثقة المتبادلة ، ولك تحياتنا .

الأخ نبيل حبيبي - سورية

نشكرك على مشاعرك المخلصة ودعواتك الطيبة ونأسف لعدم نشر قصيدتك لأنها غير مناسبة ، مع تمنياتنا لك بالتوفيق .

الأخ زكريا عثمان - اللاذقية - سورية

مرحباً بصداقتك وشكراً على إعجابك ، ومع أسفنا نعتذر عن

نشر قصتك لعدم مناسبتها .

الأخ مصطفى نجاش - دمشق - سورية

تلقينا رسالتك وشكراً لك على ملاحظتك التي سنعمل على تلافي الممكن منها .

الأخ محبوب الأمير العكي - مديرية الجزيرة - السودان

نشاطرك حماسك وغيرتك الشديدة على ديننا الحنيف ونسأل الله أن يجعل لواءه عالياً خفاقاً . أما قصيدتك فنعتذر عن نشرها لعدم مناسبتها .

الأخ نور الدين المالح - دمشق - سورية

الأخ صلاح حسن منصور - محافظة البحيرة - مصر

نشكركم ونعتذر عن نشر قصيدتيكما ، مع أحلى تمنياتنا .

الأخ أحمد الزنبركجي - دمشق - سورية

قصتك غير مناسبة لذلك نعتذر عن نشرها متمنين لك التوفيق .

الأخ محمد عون اليافي - حمص - سورية

مشاعرك الطيبة نشكرك عليها ، وسؤالك سوف نحيله إلى اللجنة الدينية لتتولى الإجابة عليه وسوف تراه في أحد أعدادنا القادمة إن شاء الله .

الأخ السيد محمود السيد الأشقر - الإسكندرية - مصر

بالنسبة للمسابقة تستطيع

الرجوع إلى أعدادنا السابقة لتعرف الطريقة التي يتم بها توزيع الجوائز ، ولعل عدم فوزك لا يجعلك تياس من الاشتراك مستقبلاً . أما قصيدتك فنعتذر عن نشرها .

الأخ الهيثم المهتار - بيروت - لبنان

نتمنى لك الشفاء لتعود إلى مواصلة دراستك ونأسف لعدم نشر موضوعك لعدم مناسبته ، ولك تحياتنا .

الأخ البريكي عبد الإله - فاس - المغرب

شكراً على مساهمتك الشعرية وتهانينا لك على روحك الخفيفة في هجائك الظريف ونأسف لعدم النشر لأن ذلك لا يتفق مع ما تسير عليه مجلتنا .

الأخت وفاء حسن - المملكة العربية السعودية

بإمكانك الحصول على ما تطلبين من الجهات المسؤولة عن التعليم ولعلك تجدين ما يساعدك على بحثك مع تحياتنا .

الأخ صبحي أحمد عيد - كفر الدوار - مصر

بإمكانك الحصول على الكتاب الذي طلبته من مكتبات بلادك أو عن طريق أحد أصدقائك في أي بلد عربي .

الأخ جمال عبد الناصر حسن - القاهرة - مصر

لا نعتقد أن ما تقوله صحيحاً ، وأن المجلة لا تؤمن بمبدأ التفرقة بين قرائها كما أن ترتيب الفائزين بالمسابقة يعتمد على القرعة ، ونرجو أن يحسن ظنك بنا .

يهمنا جداً في الدرجة الأولى أن يستفيد المشترك في المسابقة من المعلومات التي يحصل عليها القارئ عند بحثه عن إجابات الأسئلة ، كما يهمنا أن يقضي القارئ أو يعتاد على زيارة المكتبات للاستفادة مما بها من كتب تحمل زاداً ثقافياً .

وثاني الفائدة من الفوز في المسابقة في الدرجة الثانية ، لأننا حين وضعنا المسابقة لم تكن نهدف للاغراء المادي بقدر ما كنا نهدف إلى استفادة القارئ ثقافياً .. والفوز يأتي نتيجة للجهد الذي يبذله القارئ ، وبهذا - عند الفوز - يكون الكسب مرتين ، مرة الكسب الثقافي ، ومن ثم الكسب المادي ، ومن لم يتمكن من الكسب المادي فإن الكسب الثقافي لم يفته . وهو أكبر كسب .. لأن الحكمة تقول : « المال تحرسه ، والعلم يجرسك » .

ونحن حين وضعنا شروط المسابقة ووضعتنا من بين الشروط أنه من حق القارئ أن يشترك في المسابقة الواحدة مرتين على أن يرفق قسيتين كنا نعطي القارئ فرصة للإجابة عن أي سؤال قد يجد له إجابتين ، ويختار في أي الإجابتين أصبح .

لهذا فالمطلوب أن توضع كل إجابة مع قسيتها في ظرف مستقل لتسهيل مهمة اللجنة في الفرز والاطلاع .

كما ننبه القارئ بأن تكون الإجابة على وجه واحد من الورق ، ونحيط واضح وفي حدود المطلوب ، وأن يوضع رقم العدد على الظرف من الخارج ، لأننا لاحظنا أن هذه النقطة نفوت على بعض القراء ربما عن غير قصد .. وهذه الكلمة للتنبيه .. والله الموفق .. وهو من وراء القصد .

المجلة

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ - قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ - الجائزة الأولى ٣٠٠٠ ريال

ب - الجائزة الثانية ٢٠٠٠ ريال

ج - الجائزة الثالثة ١٥٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية أخرى قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) .
٢ - المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن أمكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ - ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل - ص . ب (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .
٤ - أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .
٥ - ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن أغلب أسئلة المسابقة سوف يجدها القارئ في ثانيا المواضيع المنشورة فيها .
٦ - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



السؤال الأول :

ما الاسم القديم لكل من :
نهر العاصي - جبل طارق - المحيط الأطلسي .

السؤال الثاني :

ما اسم الخليفة الذي أطلق عليه لقب « الخليفة المثلث » .. ولماذا ؟

السؤال الثالث :

قناة (بناما) .. أين تقع .. وماذا تصل .. ومن أين وإلى أين تنجّه ؟

السؤال الرابع :

خطاط عربي ، كان والده بواب بيت القضاء في بغداد .. عرف بسعة معرفته بالفقه .. حفظ القرآن ونسخه أربعاً وستين مرة .. ابتدع الخط الریحاني ، والخط المحقق .. ما اسمه ؟

السؤال الخامس :

شاعر وبلاغي ، ولد وقتل في بغداد .. كانت نشأته بمكة المكرمة .. تولى الخلافة يوماً واحداً .. ما اسمه ؟

السؤال السادس :

اذكر عدد الأقمار التابعة للكواكب التالية :
الأرض - المريخ - المشتري - زحل .

السؤال السابع :

أين تقع الأنهار التالية :
سوبات - التبر - الليطاني - الأمازون .

السؤال الثامن :

ما الفرق بين المستمع والسامع لغة ؟

السؤال التاسع :

ما ألوان قوس قزح ؟

السؤال العاشر :

أين تقع المدن التالية :
زبيد - قرطاج - طبرية - رايغ - إسلام آباد .

تسليمية
مسابقة مجلة
الفصل
العدد (٣٥)

الاسم :
المهنة :
العنوان :

نائج مسابقة العدد الثامن والعشرين

● فاز بالجائزة الأولى وقيمتها (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف ريال سعودي الأخ محمد فريد المعطي - مهاجرين - ناظم باشا - دمشق ، سورية .	● وفاز بالجائزة الثانية وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي الطبيب سمير الخلو - مستوصف بلغة - المدينة المنورة .	● كما فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي	● فاز بها كل من الإخوة والأخوات الآتية أسمائهم : ★ الأخ عماد مصطفى الأحر - الشركة العربية لتوزيع الصحف والمطبوعات ، عمارة	● وهناك سبع جوائز قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي	● الأخ محمد نصري عبد الوهاب - كلية الهندسة - جامعة الخرطوم ، السودان .	● الأخ إبراهيم عبد الرحيم قدورة - الأعظمية ، ص . ب ٤٠١١ ، قسم ١٧ تموز للوافدين العرب - بغداد ، العراق .	● الأخ مصطفى علي محمد حسن - لاهور ، باكستان . ★ الأخت أروى عبد الغني عبد الهادي - جبل الحسين - عمان ، الأردن . ★ الأخ عبد الله إبراهيم منصور - الرجابية - مركز السنطة محافظة الغربية ، مصر . ★ الأخ الطاهر المراكشي - ١٥٥ نهج المنجي سليم - صفاقس ، تونس .
--	--	---	---	---	--	--	--

أجوبة مسابقة العدد الثامن والعشرين

- ج ١ أنشئ المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩١٩ م .
أنشئ المجمع العلمي العراقي عام ١٩٣٧ م .
أنشئ مجمع اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٣٢ م .
- ج ٢ أجنادين : بلدة في فلسطين جرت فيها الموقعة الشهيرة بين المسلمين
والروم .
- ج ٣ الأحنف بن قيس هو الذي قال فيه الخليفة عمر بن الخطاب ،
رضي الله عنه ، أنه (سيد أهل المشرق المسمى بغير اسمه) .
والأحنف ولد في البصرة سنة ٣ قبل الهجرة ، أسلم في عهد الرسول
عليه الصلاة والسلام ، ثبت على إسلامه حين ارتد قومه عن
الإسلام .
- ج ٤ السوسولوجيا : علم الاجتماع . المنيولوجيا : علم الأساطير .
- ج ٥ أبو الحسن علي بن عباس المجوسي : عالم عربي عرف واشتهر باسمه
اللاتيني (هالي عباس) ، ألف «كتاب الملكي» ضمنه آراء طبية هامة
لم يسبقه أحد إليها .
- ج ٦ العم سام : مصطلح يعني حكومة الولايات المتحدة الأميركية ،
وينسب إلى ضابط اسمه «صموئيل ولسن» ، كان يقوم بتفتيش
إمدادات الجيش الأمريكي عام ١٨١٢ م ، أثناء الحرب وكان يضع
حرفي U. S إشارة إلى عبارة - United States - فحوورها العمال
- إلى - Uncle Sam - أي العم سام مزاحاً حيث تناقلتها صحف
المعارضة ، وبعد ذلك أصبحت العبارة من الشهرة بمكان ، الأمر
الذي أدى إلى تداولها في داخل الولايات المتحدة وفي خارجها .
- ج ٧ عثمان بن طلحة القرشي من عبد الدار ، صحابي ، أسلم مع خالد بن
الوليد أثناء صلح الحديبية . شهد فتح مكة ، دفع إليه النبي ﷺ
مفتاح الكعبة ، سكن المدينة ، ومات فيها ، وقيل إنه مات في
مكة المكرمة .
- ج ٨ أول رواد فضاء وطئت أقدامهم سطح القمر هما الأميركيان «نيل
آرمسترونج» و«أدوين ألدرين» ، والمركبة التي أقلتها إلى القمر
«أبوللو ١١» التي انطلقت من سطح الأرض في ١٦ تموز (يوليو)
١٩٦٩ م ، ووصلت إلى القمر في ٢٠ تموز (يوليو) ، وعادت إلى
الأرض يوم ٢٤ تموز (يوليو) من الشهر نفسه .
- ج ٩ الجيروسكوب : جهاز يستخدم لحفظ توازن الطائرة والباخرة
والصاروخ .
- ج ١٠ من قادة الجيوش الإسلامية في حرب الردة على عهد الخليفة أبي بكر
الصديق رضي الله عنه ، خالد بن الوليد ، زيد بن الخطاب ،
عكرمة بن أبي جهل ، أبو عبيدة عامر بن الجرام وعمرو بن
العاص .

